أجاثا كريستي

لغز سيتافورد

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

لغز سيتافورد

رواية بوليسية

1931

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

إهداء

إلى "إم. إي. إم."

الذي ناقشت معه حبكة هذا الكتاب، وسبّبنا الإزعاج لكل من حولنا.

الفصل 1

منزل سيتافورد

ارتدى الميجور برنابي حذاءه المطاطي الطويل، وأحكم ياقة معطفه حول عنقه، وتناول من رف قريب من الباب مصباحاً زيتياً، وفتح الباب الأمامي لبيته الصغير بحذر، وألقى نظرة على الخارج.

وكان المشهد الذي رأته عيناه نموذجاً للريف الإنجليزي كما هو مصور على بطاقات المعايدة وأفلام الميلودراما القديمة؛ فقد كان الجليد يغطي كل مكان، وكان على هيئة طبقات عميقة، لا مجرد طبقات سطحية سمكها بضعة سنتيمترات. وظل الثلج يتساقط على جميع أنحاء إنجلترا طوال الأيام الأربعة الماضية، وهنا على أطراف دارتمور بلغ سُمك الجليد عشرات السنتيمترات. وأصبح جميع مُلاك العقارات في كل أرجاء إنجلترا يعانون انفجار أنابيب المياه، وأصبح وجود صديق يعمل سباكاً (أو حتى مساعداً لسباك) أكبر ميزة على الإطلاق.

وفي قرية سيتافورد الصغيرة، البعيدة عن العالم - والتي أصبحت الآن منعزلة عنه تماماً تقريباً - دائماً ما تمثل قسوة الشتاء مشكلة حقيقية.

ورغم هذا، كان الميجور برنابي رجلاً صعب المراس. وقد زفر مرتين، وشهق مرة واحدة، ثم شق طريقه بين الثلوج بحزم.

ولم تكن الوجهة التي يقصدها بعيدة، فقد سار بضع خطوات على ممر متعرج، ثم دخل بوابة، ثم سار على طريق خاص شبه خالٍ من الثلوج يؤدي إلى منزل ضخم مبني من أحجار الجرانيت.

فتحت له باب المنزل خادمة أنيقة المظهر، ونزعت عنه معطفه العسكري، وحذاءه المطاطي الطويل، ووشاحه العتيق.

وفتحت له باباً آخر، فمر من خلاله ودخل حجرة تمثل كل ما يسعه الخيال عن تحول المشهد.

ورغم أن الساعة لم تتجاوز الثالثة والنصف، فقد أُسْدلت الستائر، وأضيئت الأنوار، وتراقصت نار عظيمة بمرح في المدفأة. وخرجت سيدتان ترتديان فستانين مزينين

برسومات أزهار لتحية المحارب الشجاع العجوز.

قالت أكبرهما: "رائع منك أن تحضر إلينا أيها الميجور برنابي".

فرد عليهما قائلًا: "لا أبدًا، أيتها السيدة ويليت، لا أبدًا". وصافح كلتيهما.

وواصلت السيدة ويليت كلامها قائلة: "سوف يحضر السيد جارفيلد، والسيد دوك، وقال السيد ريكروفت إنه سيحضر، ولكن يصعب على المرء توقع حضوره في عمره هذا وفي مثل هذا الطقس. حقًا، هذا شيء مريع. يشعر المرء بأن عليه فعل شيء ما ليُبقي نفسه مبتهجًا. يا فيوليت، ضعي قطعة أخرى من الحطب في النار".

نهض الميجور بلطف لأداء هذه المهمة قائلًا:

"اسمحي لي بأن أفعلها يا آنسة فيوليت".

ووضع قطعة الحطب في الموضع المناسب لها على نحو يوحي بالخبرة، وعاد مرة أخرى للمقعد الذي أجلسته عليه مضيفته. وفي محاولة لإخفاء ما يفعله، ألقى نظرات خفية على أرجاء الحجرة. وما أثار دهشته هو كيفية تمكن امرأتين من تغيير منظرها... ومن دون فعل أي شيء مميز يمكنك تحديده.

لقد بُني منزل سيتافورد منذ عشر سنوات، وقد شيده الكابتن جوزيف تريفيليان - من البحرية البريطانية - بمناسبة تقاعده من الخدمة في سلاح البحرية. وقد كان من ذوي الأملاك، ولطالما كان لديه شوق شديد للعيش في دارتمور. وقد وجد ضالته في قرية سيتافورد الصغيرة. ولم تكن هذه القرية تقع في وادٍ كأكثر القرى والمزارع، بل كانت تقع بجوار سهل قريب من فنار سيتافورد. وقد اشترى قطعة كبيرة من الأرض، وبنى عليها منزلًا مريحًا مزودًا بمنشأة لتوليد الكهرباء ومضخة مياه كهربائية لتوفير الجهد في ضخ المياه. وبعد ذلك، وكما هو مُشاهد، بنى ستة منازل صغيرة، وكل منها مبني على مساحة مختصة من الأرض قدرها ربع فدان، ومصطفة بمحاذاة الطريق.

وأول هذه المنازل، وهو المنزل الأقرب إلى بوابات منزله، خصصه لصديقه القديم جون برنابي، أما البقية فقد بيعت تدريجيًا لأشخاص مختلفين، منهم من اختار العيش بمعزل عن العالم، ومنهم من اضطرته الحاجة إلى ذلك. والقرية نفسها تتكون من ثلاثة بيوت ريفية رائعة المنظر ولكن متهدمة، ودكان حدادة، ومكتب بريد ومحل حلوى مشتركة في مبنى واحد. وأقرب المدن إليها هي مدينة إكزامبتون، وتبعد عنها قرابة التسعة كيلومترات ونصف الكيلو، وتقع على منحدر شديد الميل يستلزم اتباع العلامة الإرشادية التي تقول: "الزم السير بسرعة منخفضة"، وهي شائعة للغاية على طرق دارتمور.

والكابتن تريفيليان من ذوي الأملاك كما قلنا. ورغم هذا - أو ربما لهذا السبب - كان محبًا للمال على نحو مبالغ فيه. وفي نهاية شهر أكتوبر، كتب إليه أحد وكلاء العقارات في إكزامبتون يسأله عما إذا كان يفكر في تأجير منزل سيتافورد.

وقد استعلم أحد المستأجرين عنه؛ أملًا في استئجاره لفترة الشتاء.

وكانت أول فكرة خطرت للكابتن تريفيليان هي الرفض، وكانت الثانية هي طلب المزيد من المعلومات. وتبين بعد السؤال أن هذا المستأجر هو السيدة ويليت، وهي أرملة لديها ابنة واحدة. وقد وصلت مؤخرًا من جنوب إفريقيا وتريد منزلًا في دارتمور لقضاء الشتاء فيه.

قال الكابتن تريفيليان: "يا للهول، لا بد أن هذه السيدة مجنونة. ألا تعتقد ذلك يا برنابي؟".

وظن برنابي ذلك أيضًا، وأكد على كلام صديقه.

وقال له: "على أية حال، أنت لا تريد تأجيره، فدع السيدة الحمقاء تذهب إلى مكان آخر إذا كانت تريد التجمد. فهي قادمة من جنوب إفريقيا أيضًا!".

ولكن عند هذه النقطة ظهرت عقدة الكابتن تريفيليان المتعلقة بالمال؛ فليس من اليسير أن تحصل على فرصة بنسبة واحد في المائة لتأجير منزلك في منتصف الشتاء كهذه الفرصة. وسأل عن مقدار المال الذي لدى المستأجرة الاستعداد لدفعه كإيجار.

وكان لتقديمها عرض تأجيره باثني عشر جنيهًا في الأسبوع أثر في حسم الأمر. وذهب الكابتن تريفيليان إلى إكزامبتون ، واستأجر منزلًا صغيرًا في ضواحيها نظير جنيهين فقط في الأسبوع، وسلم منزل سيتافورد للسيدة ويليت، بعد حصوله على نصف الإيجار مقدمًا.

وقال: "الأحمق وماله سرعان ما يفترقان". ولكن برنابي رأى في تلك الظهيرة - عندما تفحص السيدة ويليت خلسة - أنها لا تبدو حمقاء. كانت سيدة طويلة ذات أسلوب سخيف إلى حد ما، ولكن مظهرها يدل على الفطنة، لا الحماقة. وتميل إلى الإفراط في التأنق، ولها لكنة أهل المستعمرات المميزة، وتبدو راضية تمامًا عن الاتفاق. وكان من الواضح أنها ثرية للغاية، وهذا - مثلما فكر برنابي في الأمر أكثر من مرة - ما جعل الأمر برمته أكثر غرابة. ولم تكن من نوع النساء اللاتي يصدق المرء أن لديهن رغبة في العزلة.

أثبتت السيدة ويليت أنها جارة لطيفة على نحو محير. وكانت دعوات زيارة منزل سيتافورد تنهال على الجميع. ودائمًا ما كانت تحث الكابتن تريفيليان على الحضور بقولها: "تعامل مع المنزل كما لو أننا لم نستأجره منك". ورغم هذا، لم يكن تريفيليان يحب النساء؛ فقد تكاثرت الأقاويل حول تعرضه لخيانة عاطفية في مرحلة شبابه. وكان دائمًا ما يرفض جميع الدعوات بإصرار.

مر شهران على إقامة عائلة ويليت بالمنزل، وزالت الدهشة الأولية التي صاحبت مقْدمها.

استمر برنابي، وهو بطبيعته رجل صموت، في تفحص مضيفته دون أية محاولة لإجراء محادثة قصيرة. وكانت تلك السيدة تحب أن تظهر الحماقة، ولكنها لم تكن كذلك في الحقيقة. هكذا لخص الموقف، ونقل بصره إلى فيوليت. وكانت فتاة جميلة ونحيفة بالطبع - كلهن كن هكذا في هذه الأيام. ولكن ما الجيد في المرأة إذا لم تبدُ كامرأة؟ تقول الصحف إن موضة السمنة ستعود. وهذه مسألة وقت أيضًا.

نبه نفسه إلى ضرورة إجراء محادثة.

قالت السيدة ويليت: "كنا نخشى في البداية ألا تستطيع المجيء. وأنت قلت هذا لو تذكر. وقد سعدنا للغاية عندما قلت إنك رغم كل شيء سوف تأتي".

قال الميجور برنابي بنبرة توضيحية: "يوم الجمعة".

بدت السيدة ويليت حائرة، وقالت:

"يوم الجمعة؟".

"في كل جمعة أذهب إلى تريفيليان، وفي كل ثلاثاء يأتي هو إليّ. لقد واظبنا على فعل هذا لسنوات".

"أوه! فهمت. بالطبع، كنتما تعيشان قريبًا جدًا من بعضكما...".

"هذا نوع من العادات".

"ولكن أما زلتما محافظين عليها؟ أقصد الآن بعد أن انتقل للعيش في إكزامبتون...".

قال الميجور برنابي: "من المؤسف كسر العادات. سوف يشتاق كل منا إلى تلك الأمسيات".

وسألته فيوليت: "وأنتما تشاركان في المسابقات، أليس كذلك؟ أعني ألعاب التتويج والكلمات المتقاطعة وكل هذه الأشياء".

أومأ برنابي بالإيجاب. وقال:

"أنا أمارس لعبة الكلمات المتقاطعة، أما تريفيليان فيمارس لعبة التتويج. وكان كل منا محتفظًا بمكانته في البلدة. وقد فزت بثلاثة كتب خلال الشهر الماضي في منافسة للكلمات المتقاطعة".

"أوه! حقًا. يا له من أمر لطيف! هل كانت تلك الكتب مشوِّقة؟".

"لا أعلم. لم أقرأها؛ فهي تبدو مملة للغاية".

قالت السيدة ويليت على نحو غامض: "ما يهم هو فوزك بها، أليس كذلك؟".

وبعدها سألته فيوليت: "كيف تذهب إلى إكزامبتون؟ فليست لديك سيارة".

"سيراً على الأقدام".

"ماذا؟ هذا غير طبيعي؟ أنت تمشي قرابة التسعة كيلومترات ونصف!".

"هذا تمرين جيد. ما المشكلة في أن أمشي قرابة التسعة عشر كيلومتراً؟ هذا يحافظ على لياقة المرء البدنية. شيء عظيم أن يكون المرء ذا لياقة بدنية".

"هذا غريب! تسعة عشر كيلومتراً. لابد أنكما، أنت والكابتن تريفيليان، كنتما رياضيين رائعين، أليس كذلك؟".

"لقد اعتدنا الذهاب إلى سويسرا معاً. وكنا نمارس الرياضات الشتوية في الشتاء، ونتسلق الجبال في الصيف. وكان تريفيليان رجلًا رائعًا في ألعاب الثلوج. أما اليوم فأصبح كلانا مسنين جداً ولا نستطيع ممارسة هذه الأشياء".

سألته فيوليت: "لقد فزت ببطولة الجيش للراكيت أيضًا، أليس كذلك؟".

احمر وجه الميجور من شدة الحياء مثل الفتاة، وقال بحياء: "من أخبرك بهذا؟".

فأجابت قائلة: "الكابتن تريفيليان".

قال برنابي: "ينبغي على هذا الرجل أن يمسك لسانه؛ فهو يتحدث كثيراً جداً. كيف أصبح الجو الآن؟".

واحترامًا لشعوره بالحرج، تبعته فيوليت إلى النافذة، وفتحا الستارة، وأطلا على المشهد الموحش.

قال برنابي: "المزيد من الثلج قادم. ويمكنني القول إنه سيتساقط بشدة أيضًا".

قالت فيوليت: "أوه! يا للإثارة! إنني أعتقد أن مشهد الثلج رومانسي للغاية؛ فأنا لم أره من قبل".

قالت أمها: "لن يكون رومانسيًا عندما تتجمد مواسير المياه أيتها الطفلة الحمقاء".

سألها الميجور برنابي: "هل عشت حياتك كلها في جنوب إفريقيا يا آنسة ويليت؟".

زال عن الفتاة شيء من حماستها، وبدت متكلفة في طريقتها في الرد على سؤاله. وقالت: "نعم، هذه أول مرة أسافر فيها بعيداً. وهذه أكثر الرحلات إثارة على الإطلاق".

دهش برنابي من قولها؛ فما الإثارة في العيش بعيداً في قرية نائية وسط سهل منبسط كهذه القرية؟ هذه فكرة مضحكة. ولم يستطع فهم ما يدور في عقلي هاتين المرأتين.

ثم انفتح الباب، وقالت الخادمة بصوت عالٍ:

"حضر السيد ريكروفت والسيد جارفيلد".

وحينها دخل رجل مسن بعض الشيء وضئيل الجسم، وبرفقته شاب نضر الوجه وصبياني السمت. وتحدث الشاب أولًا قائلًا: "لقد أحضرته معي يا سيدة ويليت؛ فقد قلت لنفسي إنه لا ينبغي أن أتركه يدفن تحت أنقاض الثلوج. ها ها. أرى أن هذا كله يبدو رائعًا للغاية. ها هي كومة من الحطب تحترق".

وقال السيد ريكروفت وهو يصافح فيوليت بطريقة رسمية إلى حد ما: "كما قال، بالفعل لقد أقلني صديقي الشاب روني جارفيلد بلطف كبير إلى هنا. كيف حالك يا آنسة فيوليت؟ الجو بارد تمامًا كما هي الحال في مثل هذا الوقت من العام، بل لا أبالغ إن قلت إنه بارد أكثر مما ينبغي".

وذهب إلى الموقد للحديث مع السيدة ويليت. وافتتح رونالد جارفيلد محادثة مع فيوليت، فقال:

"كنت أتساءل عما إذا كان باستطاعتنا ممارسة التزلج في أي مكان هنا، ألا توجد بحيرات قريبة؟".

أجابته ويليت قائلة: "أعتقد أن حفر الطرق بين الثلوج سيكون رياضتك الوحيدة".

"لقد كنت أمارسها طوال الصباح".

"أوه! يا لك من رجل بكل ما تحمله الكلمة من معنى!".

"لا تسخري مني. لقد امتلأت يداي بالحصى".

"كيف حال خالتك؟".

"أوه! إنها على حالها دومًا، فأحيانًا تقول إنها أفضل، وأحيانًا أخرى تقول إنها أسوأ، ولكني أعتقد أن حالها لا تتغير في الحقيقة. إنها حياة صعبة كما تعلمين. وفي كل عام أتساءل كيف أظل متشبثًا بها، ولكن إليك السبب: إذا لم يعتنِ المرء بعجوزه في المناسبات، فقد تُقْدِمُ على التبرع بأموالها لإحدى دور رعاية القططِ. وهي لديها خمس قطط، كما تعلمينَ. وأنا دائمًا ما أمسد تلك الحيوانات البائسة متظاهرًا بأنني أداعبها".

"أنا أحب الكلاب أكثر من القطط".

"وأنا كذلك. دائمًا. وما أعنيه بالكلب هو... حسنًا، الكلب هو الكلب كما تعلمين".

"هل عمتك مولعة بالقطط دائمًا؟".

"أعتقد أن هذا مجرد نوع من العادات التي نشأت عليها السيدات العجائز. أوه! أنا أكره الحيوانات المدللة".

"عمتك لطيفة جداً، ولكنها مخيفة بعض الشيء".

"أحسبها مخيفة؛ فهي تضربني على رأسي أحياناً لأنها تعتقد أنني أحمق".

"وهل هذا حقيقي؟".

"أوه! انظري، لا تقولي هذا؛ فالكثير من الرجال يبدون حمقى، في حين أنهم على العكس من ذلك".

قالت الخادمة بصوت عالٍ: "لقد حضر السيد دوك".

كان السيد دوك آخر من وصل. ولقد اشترى آخر منزل من المنازل الستة في شهر سبتمبر. وهو رجل ضخم الجثة، وهادئ للغاية، ويحب البستنة جداً. والسيد ريكروفت - الذي كان متحمساً للطيور ويعيش بجواره - كانت تربطه به علاقة ودية، رغم أنه لم يتبنّ الفكرة القائلة إن السيد دوك رجل لطيف عادي لا يثير الريبة، ولكن ألا يمكن له... ألا يمكن أن يكون مجرد تاجر متقاعد؟

ولكن لم يرغب أحد في سؤاله عن هذا الأمر... بالتأكيد، الجهل به أفضل؛ لأن المرء إذا علم به فقد يكون ذلك محرجاً للغاية، وفي هذا المجتمع الصغير من الأفضل أن تتعرف على الجميع.

سأل السيد دوك الميجور برنابي: "ألن تسير إلى إكزامبتون في هذا الطقس؟".

فأجاب الميجور: "نعم، أعتقد أن تريفيليان لن يتوقع مجيئي في هذه الليلة".

وقالت السيدة ويليت وهي ترتجف: "هذا فظيع، أليس كذلك؟ أن يظل المرء هنا عاماً بعد عام، لا بد أنه مريع".

رمقها السيد دوك بنظرة سريعة، وحملق إليها الميجور برنابي أيضاً باستغراب.

ولكن في تلك اللحظة أُحْضِرَ الشاي.

الفصل 2

الرسالة

بعد احتساء الشاي، اقترحت السيدة ويليت لعب الورق، وقالت:

"نحن ستة أفراد. يمكن لاثنين منا اللعب في الجولة الثانية".

ولمعت عينا روني.

وقال: "ابدأوا أنتم الأربعة. وأنا والآنسة ويليت سوف نتابعكم".

ولكن السيد دوك قال إنه لا يلعب الورق، فتغير وجه روني.

قالت السيدة ويليت: "يمكننا أن نلعب لعبة جماعية".

قال روني: "أو لعبة تحضير الأرواح. هذه ليلة روحانية، وقد تحدثنا عنها منذ بضعة أيام كما تذكرون. وقد كنا نتحدث عن هذه الليلة أنا والسيد ريكروفت في طريقنا إلى هنا".

أوضح السيد ريكروفت هذا بطريقته الدقيقة قائلًا: "أنا عضو في جمعية أبحاث علم نفس الخوارق. وقد تمكنت من تعديل أفكار صديقي الشاب هذا حول نقطة أو نقطتين في هذا الشأن".

قال الميجور برنابي بوضوح كبير: "هذا هراء".

قالت فيوليت ويليت: "أوه! ولكنه أمر ممتع للغاية، ألا تعتقد هذا؟ أعني أن المرء لا يؤمن بها أو بأي شيء. إنها مجرد تسلية. ما رأيك يا سيد دوك؟".

"كما تريدين يا آنسة ويليت".

"يجب أن نطفئ الأنوار، وأن نجد طاولة مناسبة . لا، ليست هذه أيتها الأم. أنا واثق بأنها ثقيلة جداً".

هيئت الأمور في النهاية بما يرضي الجميع. وأحضرت طاولة صغيرة مستديرة ذات سطح لامع من حجرة مجاورة. ووضعت أمام المدفأة، واتخذ الجميع أماكنهم حولها بعد إطفاء الأنوار.

جلس الميجور برنابي بين مضيفته وابنتها فيوليت. وعلى الجانب الآخر للفتاة جلس روني جارفيلد. وبدت ابتسامة ساخرة على شفتي الميجور. وقال في نفسه:

"في أيام شبابي، كانت هناك لعبة تسمى إخفاء العملة". وحاول أن يتذكر اسم فتاة كثيفة الشعر أمسك بيدها تحت الطاولة لمدة طويلة. وكان هذا منذ زمن طويل، ولكن تلك اللعبة كانت جيدة.

كانت هناك ضحكات، وهمسات، وتعليقات مبتذلة معتادة.

"تستغرق الأرواح وقتًا طويلًا".

"ذلك لأنها تقطع مسافة طويلة في الحضور".

"صه، لا شيء سيحدث ما لم تأخذوا الأمر بجدية".

"أوه! اصمتوا حقًا، جميعًا".

"لا شيء يحدث".

"بالطبع لا، لا يحدث شيء أبدًا من البداية".

"أتمنى أن تصمتوا جميعًا".

وأخيرًا، وبعد مرور بعض الوقت، زالت الهمسات. وحل الصمت.

غمغم روني جارفيلد بضيق قائلًا: "هذه الطاولة ساكنة تمامًا".

"صه".

سرت هزة على سطحها اللامع. وبدأت الطاولة في الاهتزاز.

"اطرحوا أسئلة. من سيسأل؟ أنت يا روني".

"أوه، إممم.. أقول... ماذا أسأل؟".

ولقنته فيوليت قائلة: "هل حضرت إحدى الأرواح؟".

"أوه! مرحبًا، هل حضرت إحدى الأرواح؟".

وحدثت هزة شديدة.

قالت فيوليت: "هذا يعني نعم".

"أوه! ... من أنت؟".

لم يأتِ رد.

"اطلب من الروح أن تتهجى اسمها".

"كيف لها ذلك؟".

"سوف نعد الهزات".

"أوه! فهمت. من فضلك تهجي اسمك".

بدأت الطاولة في الاهتزاز بعنف.

"أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ... مهلًا، هل هذا أ أم ب؟".

"سلها، هل هذا أ؟".

هزة واحدة.

"نعم، أخبرينا بالحرف التالي من فضلك".

اسم الروح هو أيدا.

"هل لديك رسالة لأحدنا؟".

"نعم".

"لمن؟ للآنسة ويليت؟".

"لا".

"للسيدة ويليت؟".

"لا".

"للسيد ريكروفت؟".

"لا".

"لي أنا؟".

"نعم".

"إنها لك أنت يا روني. استمر. دعها تخبرنا بها".

وتهجت الطاولة اسم "ديانا".

"من ديانا؟ أتعرف شخصًا يدعى ديانا؟".

"لا، لا أعرف. إلا إذا...".

"ها هو ذا. إنه يعرفها".

"سلها عما إذا كانت أرملة".

استمرت الإثارة. وابتسم السيد ريكروفت بمحبة؛ إذ يجب أن يستمتع الشباب بمزاحهم. ولكنه ألقى نظرة واحدة خاطفة على وجه مضيفته في ومضة من ومضات النار. وقد بدت قلقة شاردة الذهن. وكانت تهيم بعقلها في مكان آخر.

كان الميجور برنابي يفكر في الثلوج. يبدو أن الثلوج ستتساقط ثانية في هذا المساء. هذا أقسى شتاء يذكر أنه مر به. وكان السيد دوك يلعب بجدية كبيرة. ولكن للأسف يبدو أن الأرواح لا تنتبه له كثيراً. ويبدو أن الرسائل كلها موجهة ل- فيوليت وروني.

قيل ل- فيوليت إنها سوف تسافر إلى إيطاليا. وسوف يسافر برفقتها شخص آخر. ليست امرأة، بل رجل. واسمه ليونارد.

وازداد الضحك. وذكرت الطاولة اسم المدينة.

وكان عبارة عن خليط من الأحرف المتنافرة التي لا تنتمي للغة الإيطالية بشيء على الأقل. وارتفعت إليها أصابع الاتهام.

"اسمعي يا فيوليت" (أسقط عنها لقب "الآنسة ويليت"). "أنت تهزينها".

"أنا لا أهزها. انظر، رفعت يديّ عن الطاولة وما زالت تهتز كما كانت".

"أنا أحب النقر. سوف أطلب منها أن تنقر على الطاولة نقرات عالية الصوت".

التفت روني للسيد ريكروفت قائلًا: "ينبغي أن يكون هناك نقر. يجب أن يكون هناك نقر، أليس كذلك يا سيدي؟".

قال السيد ريكروفت بجفاء: "في ظل هذه الظروف، أعتقد أنه يصعب احتمال حدوث هذا".

وساد الصمت لبرهة. وصارت الطاولة جامدة، ولم تجب عن أية أسئلة.

"هل رحلت أيدا؟".

هزة واحدة خفيفة.

"هل يمكن حضور روح أخرى رجاءً؟".

لم يحدث شيء. وفجأة، بدأت الطاولة في الارتجاج والاهتزاز بعنف.

"مرحا، هل أنت روح جديدة؟".

"نعم".

"هل لديك رسالة لأحد؟".

"نعم".

"لي أنا؟".

"لا".

"ل- فيوليت؟".

"لا".

"للميجور برنابي؟".

"نعم".

"إنها لك أيها الميجور برنابي. هلا قمت بتهجئتها من فضلك!".

بدأت الطاولة في الاهتزاز ببطء.

"ت، ر، ف... أأنت واثقة أنه ف؟ لا يمكن هذا، ت ر ف... لا معنى لهذا".

قالت السيدة ويليت: "تريفيليان بالطبع. الكابتن تريفيليان".

"هل تقصدين الكابتن تريفيليان؟".

"نعم".

"هل لديك رسالة للكابتن تريفيليان؟".

"لا".

"حسنًا، ماذا تكون إذن؟".

بدأت الطاولة في الاهتزاز... ببطء، وبإيقاع. ببطء شديد لدرجة يسهل معها عد الحروف.

"م..."، توقف لبرهة، "ي... ت".

"ميت".

"هل مات أحد؟".

بدلًا من نعم أو لا، بدأت الطاولة في الاهتزاز مرة أخرى حتى بلغت الحرف ت.

"ت... هل تقصدين تريفيليان؟".

"نعم".

"أنت تقصدين أن تريفيليان مات؟".

هزة حادة للغاية. "نعم".

شهق أحد الحاضرين، وسرت حركة خفيفة حول الطاولة.

وحمل صوت روني عند مواصلته الأسئلة نبرة مختلفة، نبرة خشية وقلق.

"أتقصدين أن الكابتن تريفيليان مات؟".

"نعم".

وساد الصمت لبرهة، وكأن أحداً لا يعرف عن أي شيء يسأل بعد ذلك، أو كيف يتعامل مع هذا التطور غير المتوقع.

وخلال هذا الصمت، بدأت الطاولة في الاهتزاز مرة أخرى بإيقاع وببطء. وتهجى روني الحروف بصوت عالٍ...

ج... ر... ي... م... ة...

صرخت السيدة ويليت ورفعت يدها عن الطاولة، قائلة:

"لن أستمر في هذا. هذا شيء فظيع. أنا لا أحبه".

ارتفع صوت السيد دوك رنانًا وواضحًا، وهو يسأل الطاولة:

"هل تقصدين أن الكابتن تريفيليان قُتل؟".

ولم يكد ينتهي من الكلمة الأخيرة حتى أتته الإجابة. اهتزت الطاولة بعنف وتأكيد لدرجة أن الطاولة كادت تنقلب... هزة واحدة فقط. "نعم".

قال روني: "اسمعوا". ورفع يديه عن الطاولة، ثم استأنف كلامه: "أنا أسمي هذه نكتة قذرة". وبدا الارتعاد في صوته.

قال السيد ريكروفت: "أشعلوا الأنوار".

نهض الميجور برنابي، وفعل ما قيل. وأظهر الضوء المفاجئ مجموعة من الأوجه الشاحبة القلقة.

نظر كل منهم للآخر. وعلى نحو ما، لم يعرف أي أحد منهم ماذا يقول.

قال روني بضحكة يشوبها القلق: "هذا كله هراء سخيف بالطبع".

قالت السيدة ويليت: "هراء سخيف. لا ينبغي لأحد المزاح على هذا النحو".

قالت فيوليت: "ليس عن موت الناس. هذا... أوه! أنا لا أحب ذلك".

قال روني، وهو يشعر بانتقاد ضمني موجه إليه: "لم أكن أهزها. أقسم أني لم أفعل ذلك".

قال السيد دوك: "وأنا أيضًا أقسم على هذا. وأنت يا سيد ريكروفت؟".

أجاب السيد ريكروفت بحماس: "بالتأكيد لا".

قال الميجور برنابي بضجر: "أنتم لا تعتقدون أني أمزح بهذا النوع من النكات، أليس كذلك؟ هذا حس دعابة سخيف".

"فيوليت، عزيزتي...".

"لم أفعلها يا أمي. لم أفعلها بالتأكيد. ما كنت لأفعل شيئًا مثل هذا".

كادت الفتاة تبكي.

وكان الجميع يشعرون بالحرج. وقد وقعت مصيبة مفاجئة على الحفل السعيد.

دفع الميجور برنابي كرسيه للخلف، وذهب إلى النافذة، وفتح الستائر. ووقف هناك وظل ينظر للخارج موليًا ظهره لمن في الحجرة.

قال السيد ريكروفت وهو ينظر إلى ساعة الحائط: "إنها الخامسة وخمس وعشرون دقيقة". ثم قارنها بساعة اليد الخاصة به، وشعر الجميع بأن هذا الفعل ذو مغزى مهم نوعًا ما.

قالت السيدة ويليت بمرح مصطنع: "مهلًا. أعتقد أن من الأفضل أن نتناول بعضًا من القهوة. هلا قرعت الجرس يا سيد جارفيلد!".

فأطاعها روني جارفيلد.

وأحضرت القهوة، وتولى روني توزيع الفناجين. وقلت حدة الموقف بعض الشيء.

قال روني: "حسنًا، تفضلوا بتناول القهوة".

وتناول الجميع فناجينهم... ما عدا الشخص الصامت الواقف بجوار النافذة.

"أيها الميجور برنابي، تفضل قهوتك".

انتبه الميجور برنابي برجفة، واستدار ببطء.

"شكرًا لك يا سيدة ويليت، لا أريد". وألقى نظرة أخرى على الظلام خارج النافذة، ثم عاد ببطء للمجموعة الجالسة بجوار المدفأة، وقال: "شكرًا جزيلًا لكم على هذا الوقت الممتع للغاية. طابت ليلتكم".

"لا تقل لنا إنك ستغادر".

"أخشى أن أكون مضطرًا لهذا".

"ليس بهذه السرعة، وفي ليلة كهذه".

"أنا آسف يا سيدة ويليت... ولكن لا بد من فعل هذا. آه لو كان لديك هاتف".

"هاتف؟".

"نعم، ولأخبرك بالحقيقة... أنا... حسنًا، أنا أود الاطمئنان على صديقي تريفيليان. هذه خرافات سخيفة وما إلى ذلك... ولكن هذه هي الحال. ومن طبيعتي عدم الإيمان بهذا الهراء السخيف... ولكن...".

"ولكن لا يمكنك الاتصال بأحد هاتفيًا من أي مكان؛ فلا يوجد شيء يدعى هاتفًا في سيتافورد".

"هذه هي المشكلة بالضبط. ونظرًا لأنني لا أستطيع الاتصال به هاتفيًا، فأنا مضطر للذهاب إليه".

"اذهب... ولكنك لن تعثر على سيارة على تلك الطريق! ولن يخرج إلمر سيارته في ليلة كهذه".

إلمر هو مالك السيارة الوحيدة في القرية، وهي سيارة فورد قديمة يؤجرها نظير مبلغ جيد لمن يرغبون في الذهاب إلى إكزامبتون.

"لا، لا... لا حاجة بي إلى السيارات. سوف تقلني ساقاي إلى هناك يا سيدة ويليت".

تعالت موجة من الاحتجاجات.

"أوه! أيها الميجور برنابي... هذا محال. أنت قلت بنفسك إن الثلوج ستتساقط".

"لن تتساقط في هذه الساعة... ربما بعد مدة أطول. سوف أذهب إلى هناك، لا تخافوا عليّ".

"أوه! لا يمكنك هذا. نحن لن نسمح لك بذلك".

وكانت منزعجة وقلقة عليه حقًا.

ولكن الجدال والمناشدة لم يؤثرا في الميجور برنابي إلا بقدر تأثيرهما في صخرة. لقد كان رجلًا عنيدًا، ومتى استقر عقله على أمر، فلا يمكن لأية قوة على وجه الأرض أن تزحزحه عنه.

لقد عزم على السير إلى إكزامبتون والتأكد بنفسه من أن صديقه العجوز بخير، وقد كرر لهم هذه العبارة أكثر من خمس مرات.

وفي النهاية، أدركوا، أنه يعني ما يقول. وارتدى معطفه، وأشعل مصباحه، وخرج إلى الظلام.

قال الميجور برنابي بمرح: "سوف أمر ببيتي لأخذ بعض الزاد، وسأنطلق إليه على الفور. وسوف يستضيفني تريفيليان في هذه الليلة عندما أصل إليه. أعلم أن هذا قلق سخيف، ولكني واثق بأن كل شيء سيكون على ما يرام. لا تقلقي يا سيدة ويليت.

فلتتساقط الثلوج أو لا تتساقط... سوف أصل إلى هناك في غضون ساعتين. طابت ليلتكم".

مشى خارجًا، وعاد الآخرون إلى المدفأة، ونظر ريكروفت إلى السماء.

همس للسيد دوك قائلًا: "سوف تتساقط الثلوج. وسوف تبدأ في ذلك قبل وصوله إلى إكزامبتون بوقت طويل. وأنا... أنا آمل أن يصل إلى هناك سالمًا".

بدا الحزن على وجه دوك، وقال:

"أعلم هذا. وأشعر بأنه كان ينبغي عليّ مرافقته. كان ينبغي على أحدنا فعل هذا".

قالت السيدة ويليت: "هذا محزن للغاية، محزن للغاية. لن أسمح يا فيوليت بالتسلي بهذه اللعبة السخيفة أبدًا. والميجور برنابي المسكين ربما تضربه عاصفة ثلجية... أو إذا لم يحدث له ذلك فسيموت من البرد والتعرض للعوامل الجوية. وفي سنه هذه أيضًا من الحماقة الشديدة أن يذهب هكذا. وبالطبع، الكابتن تريفيليان بحالة جيدة تمامًا".

ردد الجميع: "بالطبع".

ولكن حتى الآن لا يشعرون بارتياح حقيقي. هب أن شيئًا ما حدث للكابتن تريفيليان... هب أن...

الفصل 3

الخامسة وخمس وعشرون دقيقة

بعد مرور ساعتين ونصف الساعة، وقبيل حلول الساعة الثامنة، كان الميجور برنابي يمسك بالمصباح في يده، ويطأطئ رأسه حتى يتجنب التيارات الثلجية التي تُذهب البصر، ويشق طريقه نحو باب "هازلمور"، وهو المنزل الصغير الذي استأجره الكابتن تريفيليان.

وبدأ الثلج في التساقط منذ ساعة تقريبًا على شكل ذرات ضخمة لا تتيح مجالًا للرؤية من خلالها. وكان الميجور برنابي يلهث بصوت عالٍ يصدر عن رجل أنهكه التعب. وقد تجمد جسده من البرد، فضرب الأرض بقدميه، ثم نفث، وتأفف، وأطلق صوت غطيط، ودفع أصبعه المتجمد نحو جرس الباب.

أطلق الجرس رنينًا حادًا.

وانتظر برنابي. وبعد مدة قوامها بضع دقائق، ونظرًا لأنه لم يجبه أحد، دق الجرس ثانية.

ومرة أخرى، لم يبدُ أثر لأحياء.

دق برنابي الجرس للمرة الثالثة، ولكنه في هذه المرة أبقى أصبعه على الجرس.

استمر الجرس في الرنين، ولكن لا أثر لحياة في المنزل.

وكان هناك مقراع حديدي للباب، فأمسك به الميجور برنابي واستعمله بعنف مصدرًا دويًا كهزيم الرعد.

ظل المنزل الصغير هادئًا كهدوء المقابر. وكف الميجور عن الطرق، ووقف لبرهة كما لو كان حائرًا... ثم سار ببطء على الممر وخرج من البوابة، وواصل سيره على الطريق الذي أوصله إلى إكزامبتون. وعلى بعد تسعين مترًا تقريبًا، وصل إلى نقطة الشرطة الصغيرة.

وتردد ثانية، ثم اتخذ قراره في النهاية، ودخل.

نهض الشرطي جريفز، الذي كان يعرف الميجور جيدًا، مذهولًا.

وقال له: "حسنًا، أنا لم أتخيل قط يا سيدي أن أراك في ليلة كهذه".

قال برنابي بنبرة جدية: "اسمعني، لقد ظللت أدق الجرس وأطرق باب منزل الكابتن، فلم يرد عليّ أحد".

قال جريفز الذي يعرف عادات كليهما جيدًا: "عجبًا، بالطبع فهذا يوم الجمعة. ولكن أتقصد أنك أتيت بالفعل من سيتافورد في ليلة كهذه؟ من المؤكد أن الكابتن لم يتوقع حضورك".

قال الميجور برنابي بحدة: "سواء أكان يتوقع حضوري أم لا، فقد حضرت. وكما قلت لك، لم أستطع دخول منزله. وقد دققت الجرس وطرقت الباب، ولكن لم يجبني أحد".

بدا أن جانبًا من قلقه انتقل إلى الشرطي. فقال بوجه عابس: "هذا غريب".

قال برنابي: "بالطبع هذا غريب".

واستطرد قائلًا: "من غير المحتمل أن يكون في الخارج، في ليلة كهذه".

قال جريفز مرة أخرى: "هذا غريب".

وأظهر برنابي حنقه من بطء هذا الرجل في اتخاذ الإجراءات، وقال بحدة: "ألن تفعل شيئًا؟".

"أفعل شيئًا؟".

"نعم، افعل شيئًا".

فكر رجل الشرطة مليًا.

"أتعتقد أنه أصابه مكروه؟". وانفرجت أساريره فجأة وقال: "سأحاول الاتصال به هاتفيًا". وكان الهاتف بجانب مرفقه، فالتقطه وطلب الرقم.

ولكن الكابتن تريفيليان لم يرد على الهاتف مثلما لم يرد على جرس الباب.

قال جريفز وهو يضع سماعة الهاتف: "يبدو أن مكروهًا أصابه، وهو وحده في المنزل أيضًا. ومن الأفضل أن نمر بالطبيب وارين ونصطحبه معنا".

كان منزل الطبيب وارين قريبًا جدًا من نقطة الشرطة. وكان الطبيب قد جلس توًا إلىالمائدة لتناول العشاء مع زوجته، ولم يسره هذا الاستدعاء. ورغم هذا، فقد وافق على مضض على أن يذهب معهما، وارتدى معطفًا ثقيلًا قديمًا، وحذاءً مطاطيًا، ولف حول عنقه وشاحًا منسوجًا.

كانت الثلوج لا تزال تتساقط. وتمتم الطبيب قائلًا: "ليلة عصيبة. آمل ألا تكونا قد أخرجتماني لسبب تافه؛ فتريفيليان قوي كالحصان، ولم يعانِ شيئًا قط".

ولم يرد برنابي.

وما إن وصلوا إلى هازلمور معه مرة أخرى، حتى دقوا الجرس وطرقوا الباب مرة أخرى، ولكن ما من إجابة.

وحينها اقترح الطبيب الالتفاف حول المنزل والتوجه إلى إحدى النوافذ الخلفية، وقال:"سيكون فتحها بالقوة أيسر من فتح الباب".

وافق جريفز، فذهبوا إلى خلف المنزل. وكان هناك باب جانبي حاولوا فتحه في طريقهم، ولكنه كان مغلقًا أيضًا، ووصلوا على الفور إلى المرجة المغطاة بالثلوج المؤدية إلى النوافذ الخلفية. وفجأة، هتف وارين:

"نافذة المكتب... إنها مفتوحة".

صحيح حقًا، فالنافذة - وهى فرنسية الطراز - كانت مفتوحة، فأسرعوا الخطى. وفى ليلة كهذه، ما من رجل عاقل يترك نافذته مفتوحة. وكان هناك ضوء في الحجرة ينبعث على هيئة خط أصفر رفيع.

وصل الرجال الثلاثة إلى النافذة في آن واحد... وكان برنابي أول الداخلين، وتبعه الشرطي مباشرة.

وقف كلاهما جامدين، وخرج صوت يشبه الصيحة المكتومة من العسكري السابق. وبعد لحظة وصل وارين إلى جانبهما ورأى ما رأيا.

كان الكابتن تريفيليان ملقى على الأرض، وكان وجهه منكفئًا عليها، وذراعاه منبسطتين إلى أقصى مدى. وكانت الحجرة في حالة من الفوضى... وكانت أدراج المكتب مفتوحة، والأوراق متناثرة على الأرض. وكانت النافذة المجاورة للمكتب مهشمة قرب مزلاجها. وكان بجانب الكابتن تريفيليان أنبوب مكسو بقماش أخضر قطره بوصتان.

قفز وارين إلى الأمام، وجثا قرب الشخص الممدد.

وكانت الدقيقة الواحدة كافية للتحقق من حاله، فقد نهض ووجهه شاحب.

سأله برنابي: "هل مات؟".

وأومأ الطبيب برأسه أن نعم.

ثم التفت إلى جريفز. وقال له:

"أنت من ينبغي عليه أن يقول لنا ماذا نفعل الآن. وليس بوسعي فعل شيء سوى فحص الجثة، ولعلك تفضل ألا أفعل حتى يأتي المفتش، ولكني أستطيع أن أخبرك بسبب الوفاة الآن. إنه كسر في أسفل الجمجمة. وأعتقد أن باستطاعتي تخمين السلاح

المستخدم في الجريمة".

وأشار إلى الأنبوب المكسو بقماش أخضر.

قال برنابي: "لطالما كان تريفيليان يضع هذه الأشياء أسفل الباب... لمنع التيارات الهوائية من الدخول".

وكان صوته أجش.

"نعم... نوع جيد للغاية من الأكياس الرملية".

"يا إلهي!".

قطع الشرطي صمته وقد توصل عقله إلى إدراك الموقف ببطء وقال: "ولكن هذا... أتعني... أن هذه جريمة قتل؟".

توجه الشرطي إلى الطاولة الموضوع عليها الهاتف. واقترب الميجور من الطبيب. وقال له وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة: "هل لديك أية فكرة كم مضى على وفاته؟".

"ساعتان تقريباً، أو ربما ثلاث ساعات. وهذا تقدير تقريبي".

مرر برنابي لسانه على شفتيه الجافتين، ثم سأله:

"أتقول إنه ربما قتل في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة؟".

نظر إليه الطبيب بفضول، وقال له:

"لو طُلب مني تحديد زمن الوفاة بدقة، فهذا هو الوقت الذي سأقترحه".

قال برنابي: "أوه! يا إلهي".

فحملق وارين إليه.

تحسس الميجور طريقه نحو كرسي، وانهار بجسده عليه، وتمتم لنفسه وقد ملأت وجهه تعبيرات الهلع الشديد:

"الخامسة وخمس وعشرون دقيقة... أوه! يا إلهي، إذن كان كل ذلك صحيحاً في النهاية".

الفصل 4

المفتش ناراكوت

في الصباح التالي للمأساة، كان هناك رجلان يقفان بجوار المكتب الصغير في منزل هازلمور.

نظر المفتش ناراكوت حوله. وظهرت على وجهه تقطيبة صغيرة، وقال وهو يمعن في التفكير:

"نعم... نعم".

كان المفتش ناراكوت ضابطًا كفئًا للغاية، ويتمتع بالمثابرة الشديدة، وعقل منطقي، وانتباه شديد للتفاصيل، وهي الأمور التي جلبت له النجاح في حل قضايا قد يفشل فيها الكثيرون.

كان رجلًا طويلًا هادئ الطباع، وذا عينين رماديتين شاردتين، ونبرة بطيئة رقيقة ولكنة كلكنة سكان إقليم ديفونشاير.

وقد تم استدعاؤه من مدينة إكستر للتحقيق في القضية، ووصل في أول قطار قادم من هناك في الصباح. وكانت الطرق صعبة على السيارات، حتى المجنزرات، ولولا هذا لوصل في الليلة السابقة. وهو الآن يقف بجوار مكتب الكابتن تريفيليان بعد إتمام فحصه الحجرة. وكان معه الرقيب بولوك من شرطة مدينة إكزامبتون.

قال المفتش ناراكوت: "نعم".

دخل شعاع من شمس الشتاء الخافتة من خلال النافذة. وفي الخارج، كانت الأرض مغطاة بالثلوج. وكان هناك سياج يبعد قرابة التسعين مترًا عن النافذة، وخلفه الجانب شديد الانحدار من التل المغطى بالثلوج.

انحنى المفتش ناراكوت مرة أخرى على الجثة التي تُركت له لفحصها. ونظرًا لأنه رياضي، فقد لاحظ الجسد الرياضي للضحية: الكتفين العريضتين، والخصر النحيف، والتكوينات العضلية الجيدة. وكان الرأس صغيرًا ومتناسقًا مع الكتفين، ولديه لحية البحارة المستدقة الطرف المشذبة بعناية. وعمر الكابتن تريفيليان - كما تحقق منه - هو ستون عامًا، ولكن لا يبدو عليه أنه يتعدى واحدًا وخمسين أو اثنين وخمسين عامًا.

قال المفتش ناراكوت: "هذه قضية غريبة".

قال الرقيب بولوك: "آه!".

والتفت إليه المفتش وقال:

"ما رأيك فيها؟".

قال الرقيب بولوك وهو يحك رأسه: "حسنًا...". وكان رجلًا حذرًا لا يحب التسرع.

ثم استطرد قائلًا: "حسنًا، بحسب ما أرى يا سيدي يمكنني القول إن القاتل أتى إلى النافذة، وكسر المزلاج، وبدأ في سرقة الحجرة. وأظن أن الكابتن تريفيليان كان في الطابق العلوي. ولا شك أن السارق ظن المنزل خاليًا...".

"أين تقع غرفة نوم الكابتن تريفيليان؟".

"في الطابق العلوي يا سيدي، فوق هذه الحجرة".

"وفي هذا الوقت من العام، يعم الظلام في الساعة الرابعة مساءً. ولو أن الكابتن تريفيليان كان في غرفة نومه لكان المصباح الكهربائي مضاءً، ولرآه السارق عند اقترابه من هذه النافذة".

"أتعني أنه انتظره؟".

"ما من رجل عاقل يدخل منزلًا بغرض السرقة والمصابيح مضاءة فيه. وكسره مزلاج النافذة يدل على أنه ظن المنزل خاليًا".

حك الرقيب بولوك رأسه، وقال:

" أعترف بأن هذا يبدو غريبًا بعض الشيء، ولكن هذا ما حدث".

قال المفتش: "سوف نتغاضى عن هذه النقطة الآن. استمر".

"حسنًا، هب أن الكابتن سمع ضجة في الأسفل، فنزل ليتحقق منها. وسمع السارق خطواته تقترب، فانتزع إحدى تلك السدادات الرملية، واختبأ خلف الباب، وعند دخول الكابتن إلى الحجرة ضربه بشدة من الخلف".

فأومأ المفتش برأسه، وقال:

"نعم، هذا صحيح بما يكفي لتصديقه. لقد ضُرب بشدة عندما كان متجهًا نحو النافذة. ولكن تظل الحال كما هي عليه يا بولوك، أنا غير مرتاح لهذا الاستنتاج".

قال بولوك: "لماذا يا سيدي؟".

قال المفتش: "كما قلت لك، أنا لا أؤمن بمنازل تقتحم بغرض السرقة في الساعة

الخامسة مساءً".

"حسنًا، لعله ظن أن هذه فرصة جيدة...".

"ليست هذه مسألة فرصة... فهو لم يتسلل إلى المنزل لأنه وجد نافذة مفتوحة. بل كان اقتحامًا متعمدًا... انظر إلى الفوضى في كل مكان... ما الذي يسعى إليه السارق أولًا؟ خزانة الأواني التي تحفظ فيها الآنية الفضية".

أقر الرقيب بصحة كلام المفتش قائلًا: "هذا صحيح".

وواصل ناراكوت حديثه قائلًا: "وهذه الفوضى... وهذه الجلبة. وهذه الأدراج المفتوحة ومحتوياتها المتناثرة. تبًا! هذا هراء".

"هراء؟".

"انظر إلى النافذة أيها الرقيب. هذه النافذة لم تكن موصدة وكسر مزلاجها! لقد كانت مغلقة ببساطة ثم كسر مزلاجها من الخارج ليشير إلى الاقتحام".

فحص بولوك مزلاج النافذة عن قرب، وهو يتمتم بكلمات التعجب لنفسه.

وقال والاحترام باد في صوته: "أنت محق يا سيدي. من يفكر في مثل هذا الأمر حاليًا؟".

"شخص يتمنى أن يعمي أبصارنا نحن... ولم ينجح في ذلك".

شعر الرقيب بولوك بالامتنان لحديث المفتش بضمير الجمع "نحن". وبمثل هذه الطرق البسيطة يتقرب المفتش ناراكوت من مساعديه.

ثم قال الرقيب بولوك: "إذن، لم تكن سرقة. أتقصد يا سيدي أنه كان عملًا داخليًا؟".

أومأ المفتش ناراكوت، وقال: "نعم، ورغم هذا فالأمر الغريب الوحيد هو أنني أعتقد أن القاتل دخل من النافذة حقًا. فبحسب ما أخبرتماني به أنت وجريفز، وبحسب ما أرى بنفسي، توجد بقع رطبة ما زالت مرئية ناتجة عن الثلج حيث ذاب الثلج الذي علق بحذاء القاتل. وهذه البقع الرطبة لا توجد إلا في هذه الحجرة. والشرطي جريفز واثق تمامًا بأنه لم تكن هناك أية بقع كهذه في الصالة عندما مر هو والطبيب وارين من خلالها، ولكنه لاحظ وجودها على الفور في هذه الحجرة. وفي هذه الحالة، يبدو واضحًا أن القاتل شخص سمح له الكابتن تريفيليان بالدخول من النافذة. ولهذا، لا بد أنه شخص يعرفه. أنت من سكان هذه المنطقة أيها الرقيب، أيمكنك أن تخبرني بما إذا كان الكابتن تريفيليان ممن يثيرون العداوات بسهولة؟".

"كلا يا سيدي، يمكنني القول إنه لا عدو له في العالم. وقد كان حريصًا بعض الشيء فيما يتعلق بالمال، ومنضبطًا قليلًا... وما كان يطيق الوقاحة والكسل... ولكن

أقسم أنه كان مُحْتَرَمًا لهذه الأمور".

قال ناراكوت بتأمل: "ليس له أعداء".

"ليس هنا، على الأقل".

"هذا صحيح للغاية... ولكننا لا نعرف إذا ما كان قد أثار أية عداوات خلال خدمته في البحرية. ومن واقع خبرتي أيها الرقيب علمت أن من يثير العداوات في مكان معين يثيرها في أي مكان آخر، ولكنني أتفق على أننا لا نستطيع التغاضي عن هذه الاحتمالية تمامًا. وقد توصلنا بالمنطق الآن إلى الدافع التالي للقتل... وهو أكثر الدوافع شيوعًا في كل جريمة، ألا وهو دافع السرقة. وقد فهمت أن الكابتن تريفيليان كان رجلًا ثريًا، أليس كذلك؟".

"لقد كان ثريًا للغاية بكل المقاييس، ولكنه قتور: ليس من السهل أن تحصل منه على تبرع".

قال ناراكوت بتمعن: "آه!".

قال الرقيب: "من المؤسف أن الثلوج تساقطت بهذه الكثافة، ولولا ذلك لوجدنا آثار أقدام القاتل لنستدل بها عليه".

سأل المفتش: "ألم يكن هناك أحد آخر في المنزل؟".

"طوال السنوات الخمس الماضية لم يكن مع الكابتن تريفيليان أحد سوى خادم واحد، وهو رجل متقاعد من البحرية. وفي منزل سيتافورد، كانت هناك امرأة تأتي يوميًا للتنظيف، ولكن ذلك الرجل المدعو إيفانز كان يطهو الطعام لسيده ويعتني به. ومنذ شهر واحد تقريبًا تزوج... وهو ما أزعج الكابتن كثيرًا. وأعتقد أن هذا من أسباب تركه منزل سيتافورد لتلك السيدة القادمة من جنوب إفريقيا، وهو الذي ما كان ليسمح لأية امرأة بالعيش معه في المنزل. ويعيش إيفانز قريبًا من الزاوية، هنا في شارع فور مع زوجته، ويأتي يوميًا للعناية بسيده. وقد أحضرته إلى هنا الآن من أجلك لتراه. وقد أفاد بأنه غادر المنزل في الساعة الثانية والنصف بالأمس؛ لأن الكابتن لم يكن بحاجة إليه".

"حسنًا، أود رؤيته؛ فربما يكون قادرًا على إخبارنا بشيء... مفيد".

نظر الرقيب بولوك إليه بفضول؛ فقد كان هناك شيء غريب في نبرة صوته. قال الرقيب: "أتظن...؟".

قال المفتش ناراكوت بتروٍّ: "أظن أن في هذه القضية ما هو أكثر مما تراه العين".

"ماذا تعني يا سيدي؟".

ولكن المفتش رفض أن يُسْتَدْرَجَ، فقاطعه قائلًا:

"أتقول إن ذلك الرجل المدعو إيفانز موجود هنا الآن؟".

"إنه ينتظر في حجرة الطعام".

"جيد. سوف أراه على الفور. ما سمات هذا الرجل؟".

كان الرقيب بولوك يحسن سرد الحقائق أكثر من الوصف بدقة.

"إنه رجل متقاعد من البحرية. وهو بشع في خوض المشاجرات على حد علمي".

"هل يتعاطى المسكرات؟".

"ليس سيئًا إلى هذا الحد".

"ماذا عن زوجته؟ ألم يكن الكابتن معجبًا بها أو شيئًا من هذا القبيل؟".

"أوه! لا. لم يكن في صدر الكابتن تريفيليان شيء من هذا. لم يكن من هذا النوع من الرجال على الإطلاق، بل ما كان يُعرف إلا بكرهه للنساء".

"ومن المفترض أن إيفانز مخلص لسيده؟".

"هذه هي الفكرة العامة يا سيدي، وأعتقد أنه لو لم يكن كذلك لعُرف الأمر؛ فإكزامبتون مدينة صغيرة".

أومأ المفتش ناراكوت برأسه، وقال:

"حسنًا، لم يعد هناك ما يرى في هذا المكان. سوف أتحدث مع إيفانز، وسوف ألقي نظرة على بقية المنزل، وبعد هذا سنذهب إلى فندق ثري كراونز لرؤية ذلك الميجور برنابي؛ فتعليقه بشأن زمن حدوث الجريمة مثير للفضول. الخامسة وخمس وعشرون دقيقة، هه؟ لا بد أنه يعلم شيئًا ولم يخبرنا به، ولو لم يكن الأمر كذلك فلماذا إذن خمّن زمن وقوع الجريمة بدقة كبيرة؟".

وسار الاثنان نحو الباب.

قال الرقيب بولوك وعيناه تستعرضان الأرضية التي تعمها الفوضى: "هذا أمر غريب... كل هذه الفوضى ناتجة عن عملية سطو مزيفة!".

قال ناراكوت: "ليس هذا ما أثار استغرابي؛ ففي مثل هذه الظروف من المحتمل أن يكون هذا أمرًا عاديًا. لا... ما أثار استغرابي هو تلك النافذة".

"النافذة يا سيدي؟".

"نعم، لماذا تعين على القاتل الدخول من النافذة؟ فعلى افتراض أنه شخص يعرفه تريفيليان وسمح له بالدخول من دون أن يشك فيه، فلماذا لم يدخل من الباب الأمامي؟

فالالتفاف من النافذة بعيداً عن الطريق في ليلة كالليلة الماضية يعد عملية شاقة ومزعجة في ظل الثلوج الكثيفة المتراكمة كما كان بالأمس. ورغم هذا، لا بد أن هناك سببًا ما".

قال بولوك:" ربما لم يرد القاتل أن يراه أحد وهو يدخل المنزل من خلال الطريق".

رد المفتش قائلًا: "لم يكن هناك العديد من الناس بالأمس ليروه. وما من أحد كان باستطاعته الخروج. كلا... هناك سبب آخر. حسنًا، ربما يتضح لنا عندما يحين أوانه".

الفصل 5

إيفانز

وجد المفتش والرقيب إيفانز في انتظارهما في حجرة الطعام. ونهض عند دخولهما احتراماً لهما.

كان إيفانز رجلًا قصيراً عريض البدن، ولديه ذراعان طويلتان للغاية، وبه عادة الوقوف ويداه نصف منقبضتين. وكان حليق اللحية والشارب، ولديه عينان صغيرتان أشبه بعيون الأرانب، ولكن عليه سيماء البهجة والكفاءة بما يعوض منظره الدميم الأشبه بكلاب البولدوج.

كون المفتش ناراكوت عنه انطباعات ذهنية هي: الذكاء، والحصافة، والعملية، وظهور القلق عليه.

وبعد ذلك بدأ في التحدث إليه، فقال:

"أنت إيفانز، هه؟".

"نعم يا سيدي".

"ما اسمك الرسمي؟".

"روبرت هنري".

"آه! الآن أخبرني، ماذا تعرف عن هذه القضية؟".

"لا شيء يا سيدي. لقد ذهلت للغاية لسماع الأمر؛ فما كنت أتوقع حدوث هذا للكابتن!".

"متى كانت آخر مرة رأيت فيه سيدك؟".

"أذكر أنها كانت الساعة الثانية يا سيدي. نظفت أدوات المائدة بعد الغداء، ورتبت المائدة هنا كما ترى من أجل العشاء. وقال لي الكابتن إنه ليس بحاجة إلى عودتي".

"وماذا تفعل في العادة؟".

"في العادة، أرجع إلى هنا في الساعة السابعة تقريباً، وأظل معه لمدة ساعتين. ولا

يحدث هذا دائمًا؛ ففي بعض الأحيان يقول لي الكابتن أشياء مثل لست بحاجة إليك".

"ومن ثم لم تتفاجأ حينما قال لك بالأمس إنه ليس بحاجة إليك، أليس كذلك؟".

"بلى يا سيدي. ولم أعد في الليلة السابقة لها أيضًا... بسبب الطقس. وقد كان الكابتن رجلًا لطيفًا شديد المراعاة للآخرين ما داموا لا يتنصلون من أداء واجباتهم نحوه. وأنا أعرفه وأعرف طباعه جيدًا".

"ماذا قال لك بالضبط؟".

"حسنًا، نظر من النافذة وقال "لا أمل في قدوم برنابي اليوم. ولا عجب في هذا. آه لو لم تكن سيتافورد منعزلة تمامًا. أنا لا أذكر مرور شتاء كهذا منذ أن كنت صبيًا". والمشار إليه هذا هو صديقه الميجور برنابي الذي يعيش في سيتافورد. وهو دائمًا ما يأتي إليه في كل جمعة ويلعبان معًا الشطرنج والتتويج. وفي كل ثلاثاء يذهب الكابتن إلى منزل الميجور برنابي. وكان الكابتن مواظبًا للغاية على عاداته. وبعد ذلك قال لي: "يمكنك المغادرة الآن يا إيفانز، ولا حاجة لقدومك إلا في صباح الغد"".

"وما عدا إشارته إلى الميجور برنابي، ألم يذكر توقعه مقدم أحد في ذلك المساء؟".

"نعم يا سيدي، لم ينطق بكلمة عن هذا".

"ألم يكن هناك شيء غريب أو مختلف بأية حال من الأحوال في سلوكه؟".

"لم أرَ شيئًا من هذا".

"آه! علمت يا إيفانز أنك تزوجت حديثًا".

"نعم يا سيدي. تزوجت بابنة السيدة بيلينج، صاحبة فندق ثري كراونز، منذ قرابة الشهرين يا سيدي".

"ألم يسعد الكابتن تريفيليان بهذا الزواج كثيرًا؟".

بدت ابتسامة خفيفة جدًا على وجه إيفانز لمدة دقيقة، ثم قال: "أبدى الكابتن انفعالًا شديدًا حيال هذا الأمر. وزوجتي ريبيكا امرأة جيدة يا سيدي، وهي طباخة ماهرة للغاية. وكنت آمل أن نكون قادرين على خدمة الكابتن معًا، ولكنه... لم يرد سماع كلمة واحدة في هذا الشأن. وقال لي إنه لن يسمح باقتراب أية خادمات من منزله. وفي الحقيقة يا سيدي، زاد الوضع تأزمًا عندما قدمت تلك السيدة من جنوب إفريقيا وأرادت استئجار منزل سيتافورد لقضاء الشتاء فيه. وعندها استأجر الكابتن هذا المنزل، وأصبحت آتي لخدمته يوميًا، ولا أخفيك سرًا يا سيدي أنني كنت آمل أن يقتنع الكابتن بالفكرة بنهاية الشتاء، وأن أعود أنا وريبيكا لمنزل سيتافورد معه. عجبًا، لم نكن لنجعله يشعر

بوجودها في المنزل. كانت ستلزم المطبخ، وكانت ستنجح في ذلك لدرجة أنه لن يلتقي بها على السلم أبداً".

"هل لديك أية فكرة عن السبب الكامن وراء كراهية الكابتن تريفيليان للنساء؟".

"ليس في الأمر سر يا سيدي. إنه مجرد طَبْع، هذا كل ما في الأمر يا سيدي. ولقد رأيت مثله العديد من الرجال من قبل. وأرى أن الأمر لا يعدو كونه مجرد خجل. ولعل بعض الفتيات احتقرنهم أو صددنهم حينما كانوا شباباً... ومن ثم اكتسبوا هذا الطبع".

"ألم يكن الكابتن تريفيليان متزوجًا؟".

"لم يتزوج بالتأكيد يا سيدي".

"من لديه من الأقارب؟ أتعرفهم؟".

"أعتقد أن لديه أختًا تعيش في إكسيتر يا سيدي، وأعتقد أني سمعته يذكر أن له ابن أخت أو عدة أبناء لها".

"ألم يأتِ أحد منهم لزيارته؟".

"نعم يا سيدي. أعتقد أنه تشاجر مع أخته التي تعيش في إكسيتر".

"أتعرف اسمها؟".

"أعتقد أن اسمها السيدة جاردنر يا سيدي، ولكني لست متأكداً من هذا الاسم".

"ألا تعرف عنوانها؟".

"لا أعرفه يا سيدي".

"حسنًا، سوف نتوصل إليه بلا شك عند تفتيشنا في أوراق الكابتن تريفيليان. والآن يا إيفانز، ماذا كنت تفعل أنت في الساعة الرابعة وما بعدها بالأمس؟".

"كنت في المنزل يا سيدي؟".

"وأين منزلك؟".

"عند المنعطف يا سيدي، منزل رقم 85 في شارع فور".

"ألم تخرج قط؟".

"هذا من غير الممكن يا سيدي. عجبًا، كيف لي ذلك والثلوج تتساقط بغزارة؟".

"نعم، نعم. هل هناك أي شخص يمكنه أن يدعم أقوالك؟".

"المعذرة يا سيدي، ماذا تقصد؟".

"هل هناك أحد آخر يعلم أنك كنت في المنزل في ذلك الوقت؟".

"زوجتي يا سيدي".

"أكنتما وحدكما في المنزل؟".

"نعم يا سيدي".

"حسنًا، حسنًا، لا شك عندي في هذا مطلقًا، حتى الآن يا إيفانز".

تردد البحار السابق، وانتقل في وقفته من قدم إلى الأخرى، وقال:

"هل هناك ما يمكنني فعله هنا يا سيدي... فيما يتعلق بتنظيف المكان؟".

"كلا، يجب ترك المكان كله على ما هو عليه تمامًا في الوقت الحالي".

"فهمت".

قال ناراكوت: "ورغم هذا، من الأفضل أن تنتظر إلى أن ألقي نظرة على المنزل؛ فربما يرد إلى ذهني سؤال أريد أن أطرحه عليك".

"سمعًا وطاعة يا سيدي".

نقل المفتش ناراكوت بصره من إيفانز إلى الحجرة.

جرى الحوار بينهما في حجرة الطعام. وعلى المنضدة، كانت وجبة العشاء معدة: لحم لسان بارد، ومخللات، وجبن ستيلتون، وبسكويت، وكان على الموقد المجاور للمدفأة قدر فيها حساء. وعلى النضد المجاور يوجد صندوق مياه غازية، وفتاحة زجاجات، وزجاجتان من المياه الغازية. وكان هناك أيضًا عدد كبير من الكئوس الفضية منتظمة الرص، ومعها شيء مختلف تمامًا... ثلاث روايات تبدو جديدة جدًا.

تفحص المفتش ناراكوت كأسًا أو كأسين من الكئوس وقرأ الكلمات المحفورة عليها، وقال:

"أتحدى أن الكابتن تريفيليان رياضي".

قال إيفانز: "نعم، هو كذلك بالفعل يا سيدي. لقد كان رياضيًا طوال حياته".

قرأ المفتش ناراكوت عناوين الروايات فوجدها "الحب يدير المفتاح"، و "رجال لينكولن السعداء"، و "سجين الحب". فقال:

"يبدو ذوق الكابتن في الأدب متناقضًا إلى حد ما مع شخصيته".

ضحك إيفانز وقال: "أوه! هذه يا سيدي... هذه الروايات ليست للقراءة يا سيدي. هذه جوائز فاز بها في مسابقات أسماء الصور التي تقيمها هيئة السكك الحديدية. وقد أرسل الكابتن خمسة حلول بأسماء أشخاص مختلفين، من بينهم اسمي أنا؛ لأنه قال إن 8 شارع فور من العناوين التي يحتمل نيلها جائزة! فقد كان يرى أنه كلما زادت شهرة

الاسم والعنوان، زادت احتمالية حصوله على جائزة. وقد حصلت على جائزة بالفعل، ولكن ليس مبلغ الألفي جنيه المعلن عنها، بل ثلاث روايات فقط... وهي في رأيي من نوع الروايات التي لا يدفع أحد أي قدر من المال لشرائها".

ابتسم ناراكوت، ثم طلب مرة أخرى من إيفانز الانتظار، وواصل جولته التفتيشية. كان هناك نوع كبير من الخزانات في أحد أركان الحجرة. وتكاد تلك الخزانة تعد حجرة صغيرة في حد ذاتها. وقد وُضع في تلك الخزانة - من دون ترتيب - زوجان من ألواح التزلج، ومجدافان، وعشرة أنياب أو اثنا عشر نابًا من أنياب فرس النهر، وعصي وخيوط وغيرها من أدوات صيد السمك المتنوعة بما فيها كيس من الذباب المستخدم كطعوم، وحقيبة مليئة بمضارب الجولف، ومضرب تنس، وقدم فيل محشوة ومحنطة، وجلد نمر. وبدا واضحًا أن الكابتن تريفيليان عندما غادر منزل سيتافورد أخذ معه أثمن مقتنياته؛ خشية عبث النساء بها.

قال المفتش: "فكرة غريبة... أن يحضر كل هذا معه؛ فهو لن يترك المنزل إلا لبضعة أشهر، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح يا سيدي".

"من المؤكد أن هذه الأشياء كان من الممكن أن تحفظ في مكان مغلق في منزل سيتافورد، أليس كذلك؟".

وللمرة الثانية خلال الحوار، ابتسم إيفانز، وقال مصدقًا على كلامه:

"هذه الطريقة أيسر بكثير؛ لا لوجود العديد من الخزانات في منزل سيتافورد وإنما لأن المهندس المعماري والكابتن صمماه معًا، وإدراك قيمة وجود حجرة خزائن يتطلب امرأة. ورغم هذا، وكما قلت يا سيدي، كان من المنطقي حفظها هناك. وكان نقلها إلى هنا عملًا شاقًا... نعم أراه عملًا شاقًا! ولكن الكابتن لم يستطع تحمل فكرة عبث أي أحد بأشيائه الخاصة. وكان يقول: "غَلّقِ الأقفال على أشيائك كما تشاء، وستجد المرأة طريقة لفتحها والوصول إليها. إنَه فضولها. ومن الأفضل ألا تضعها في مكان مغلق أبدًا إذا لم تكن تريد لها العبث بها، بل عليك أن تأخذ أشياءك معك، وحينها ستضمن وجودها في مكان آمن"؛ ولذا أخذها الكابتن معه كما فعل، وكما قلت كان ذلك عملًا شاقًا، وباهظ التكلفة أيضًا. ولكن هذه الأشياء كانت للكابتن بمثابة أبنائه".

وتوقف إيفانز لبرهة لالتقاط أنفاسه.

وأومأ المفتش ناراكوت برأسه وهو يفكر بتمعن؛ فقد كانت هناك نقطة أخرى يريد السؤال عنها، وبدا له الوقت مناسبًا جدًا لذلك عندما طُرِحَ الموضوع بصورة طبيعية. وقال على نحو عرضي:

"تلك السيدة المدعوة ويليت... أكانت صديقة قديمة للكابتن أو من معارفه؟".

"أوه! كلا يا سيدي، إنها غريبة عنه تمامًا".

سأله المفتش بحدة: "أأنت واثق بذلك؟".

تفاجأ البحار القديم إيفانز من حدة السؤال، وأجاب: "حسنًا، لم يذكر الكابتن أي شيء عن هذا الأمر... ولكن... أوه! نعم، أنا واثق بهذا".

أوضح له المفتش سبب سؤاله قائلًا: "أنا أسألك عن هذا الأمر لأن هذا وقت غريب جدًا من العام لاستئجار منزل. ومن ناحية أخرى، لو كانت السيدة ويليت هذه من معارف الكابتن تريفيليان وتعرف المنزل، فربما كتبت له رسالة تقترح فيها استئجاره".

"الوكلاء العقاريون بشركة ويليامسونز هم من راسلوه، وقالوا إن لديهم عرضًا من إحدى السيدات".

عبس وجه المفتش ناراكوت؛ فقد وجد هذا العمل الخاص بتأجير منزل سيتافورد غريبًا للغاية، وسأله:

"أظن أن الكابتن تريفيليان والسيدة ويليت التقيا معًا، أليس كذلك؟".

"أوه! بلى. لقد جاءت لرؤية المنزل، فاصطحبها هو لمعاينته".

"وهل أنت واثق بأنهما لم يلتقيا من قبل هذا؟".

"أوه! واثق تمامًا يا سيدي".

"هل كانا... إممم...؟". توقف المفتش لبرهة في محاولة صياغة السؤال بطريقة منطقية، ثم قال: "هل كانا منسجمين معًا؟ أكانا ودودين؟".

لاحت ابتسامة خفيفة على شفتي إيفانز، وقال: "لقد كانت السيدة ودودة. وأبدت اهتمامًا كبيرًا به، وكانت معجبة بالمنزل، وسألته عما إذا كان هو من صمم بناءه. وكانت تبالغ تمامًا في الثناء عليه".

"وماذا عن الكابتن؟".

اتسعت الابتسامة على وجه إيفانز، وقال:

"مثل هذا النوع فياض المشاعر من النساء لم يكن يؤثر فيه. وقد كان مؤدبًا معها، لا أكثر. وكان يرفض دعواتها بلطف".

"دعواتها؟".

"نعم، بأن يعد المنزل منزله في أي وقت، وأن يزورها من دون دعوة، هكذا قالتها... من دون دعوة. ولا يمكن للمرء أن يزور أحدًا في مكان يبعد عنه قرابة التسعة كيلومترات والنصف من دون دعوة".

"هل بدت متشوقة لـ... حسنًا... لمعرفة شيء ما عن الكابتن؟".

كان ناراكوت يتساءل هل كان هذا هو سبب استئجارها المنزل؟ أكان مجرد تمهيد للتعرف على الكابتن تريفيليان؟ أكانت تلك هي اللعبة الحقيقية؟ ربما لم يخطر ببالها أن الكابتن سينتقل للعيش في مدينة بعيدة مثل إكزامبتون. ربما حسبت أنه سينتقل للعيش في أحد المنازل الصغيرة، أو للعيش مع الميجور برنابي.

ولم يكن جواب إيفانز مفيدًا جدًا، فقد قال له:

"لقد كانت سيدة مضيافة بمعنى الكلمة؛ فلا يخلو المنزل من ضيف على الغداء أو العشاء في كل يوم".

أومأ ناراكوت برأسه. ولم يزدد شيئًا من هذا الجواب، ولكنه عزم على السعي إلى إجراء لقاء مع السيدة ويليت هذه في وقت عاجل؛ فوصولها المفاجئ إلى القرية يحتاج إلى نظر.

وقال المفتش: "هيا يا بولوك، سوف نصعد إلى الطابق العلوي الآن".

تركا إيفانز في حجرة الطعام، وانتقلا إلى الطابق العلوي.

وسأل الرقيب بولوك بصوت خفيض وهو يومئ برأسه إلى باب حجرة الطعام المغلق: "أتظنه صادقًا؟".

قال المفتش: "يبدو كذلك. ولكن المرء لا يمكنه الجزم بهذا. وليس هذا الرجل مغفلًا، بغض النظر عن صفاته الأخرى".

"لا، إنه رجل ذكي".

وواصل المفتش كلامه قائلًا: "تبدو قصته صادقة إلى حد كبير. وهي واضحة تمامًا ولا غموض فيها. ورغم هذا، وكما قلت، لا يمكن للمرء الجزم بصحتها".

وبهذه العبارة، التي تدل على عقل المفتش الحذر الشكاك، واصل تفتيشه في غرف الطابق الأول.

وكانت به ثلاث غرف وحمام. وكانت هناك غرفتان منها خاويتان ومن الواضح أنه لم يدخلهما أحد منذ بضعة أسابيع. أما الغرفة الثالثة، وهي غرفة النوم الخاصة بالكابتن تريفيليان، فكانت جميلة ومرتبة غاية الترتيب. تجول المفتش في الحجرة، وظل يفتح الأدراج والخزائن. وكان كل شيء في موضعه المناسب. كانت هذه حجرة لرجل من عاداته التزام الترتيب والنظام على نحو خيالي. أنهى ناراكوت تفتيشه، وألقى نظرة على الحمام المجاور. وفيه أيضًا، كان كل شيء منظمًا. وألقى نظرة أخيرة على الفراش المهيأ على نحو منظم وعليه منامة مطوية ومعدة للارتداء.

هز المفتش رأسه ثم قال:"لا يوجد شيء هنا".

"لا، يبدو كل شيء منظمًا تمامًا".

"بقيت الأوراق الموجودة في المكتب. ربما من الأفضل أن تنظر فيها يا بولوك. سوف أخبر إيفانز بأن باستطاعته المغادرة. وربما أذهب لزيارته في منزله لاحقًا".

"سمعًا وطاعة يا سيدي".

"يمكنكم نقل الجثة. وبالمناسبة، أريد لقاء وارين. إنه يعيش قريبًا من هنا، أليس كذلك؟".

"بلى يا سيدي".

"أفي هذا الجانب الذي به فندق ثري كراونز أم في الجانب المقابل له؟".

"في الجانب المقابل له يا سيدي".

"إذن سأمر بفندق ثري كراونز أولًا. استمر أنت في عملك أيها الرقيب".

ذهب بولوك إلى حجرة الطعام ليأذن لإيفانز بالانصراف. وخرج المفتش من الباب الأمامي، ومشى بخطوات سريعة نحو فندق ثري كراونز .

الفصل 6

في فندق ثري كراونز

لم يكن مقدراً للمفتش ناراكوت مقابلة الميجور برنابي قبل إجرائه مقابلة طويلة مع السيدة بيلينج، صاحبة فندق ثري كراونز. كانت السيدة بيلينج بدينة وسريعة الانفعال، وهي ثرثارة جداً لدرجة أنه لا يمكن للمرء فعل شيء معها سوى الاستماع إليها بصبر حتى يجف نهر كلامها.

أنهت كلامها بقولها: "نحن لم نرَ مثل تلك الليلة، ولم يدر بعقل أحد منا ما كان يحدث لذلك الرجل اللطيف المسكين العزيز. يا لأولئك المتشردين! لقد قلتها عشرات المرات، أنا لا أطيق أولئك المتشردين الأوغاد. وهل هناك أحد يطيقهم؟ ولم يكن لدى الكابتن - ولو - كلب يحميه؛ فهم لا يستطيعون مواجهة الكلاب، نعم لا يستطيع المشردون مواجهتها. آه، حسناً، لا يمكن للمرء معرفة ما قد يحدث له على بعد خطوات".

وواصلت إجابتها عن سؤاله قائلة: "نعم يا سيد ناراكوت، يتناول الميجور إفطاره الآن. وسوف تجده في المقهى. ويا لليلة التي قضاها من دون منامة أو أي شيء! وأنا أرملة ليس لديّ ما أعيره إياه... ليس تماماً. ولكنه قال إن هذا لا يهم، رغم أنه بدا غاية في الانزعاج والاستغراب، ولا عجب في ذلك؛ فقد قُتل أعز أصدقائه. وقد كان الاثنان غاية في اللطف، رغم أن الكابتن اكتسب سمعة تشير إلى بخله بماله. آه، حسناً، حسناً، لطالما كنت أظن العيش في سيتافورد - التي تبعد عشرات الكيلومترات عن أي مكان - خطراً، وها هو ذا الكابتن قد قُتل في إكزامبتون نفسها. دائماً ما لا تتوقعه في الحياة هو ما يحدث، أليس كذلك يا سيد ناراكوت؟".

رد المفتش بأن هذا صحيح بلا شك، ثم أضاف سائلاً:

"من نزل لديك هنا بالأمس يا سيدة بيلينج؟ هل حضر أشخاص غرباء؟".

"الآن، دعني أر. هناك السيد مورسبي والسيد جونز، وهما تاجران، وشاب قادم من لندن، لا أحد سواهم. ومن المنطقي ألا يأتي أحد إلى هنا في هذا الوقت من العام. والحياة هادئة للغاية هنا في الشتاء. أوه، وهناك شاب آخر، وصل في القطار الأخير، وأنا أطلق عليه لقب الشاب الفضولي. وهو لم يستيقظ بعد".

قال المفتش: "القطار الأخير؟ إنه يصل في الساعة العاشرة مساءً، أليس كذلك؟ لا أعتقد أننا بحاجة إلى إزعاج أنفسنا بشأنه. ماذا عن الشاب الآخر... القادم من لندن؟ أتعرفينه؟".

"لم أره من قبل في حياتي. وهو ليس تاجرًا، أوه، كلا... إنه أعلى منزلة من هذا. ولا يمكنني تذكر اسمه الآن، ولكنك ستجده في الدفتر. وقد استقل أول قطار متجه إلى إكسيتر صباح اليوم، وذلك في الساعة السادسة وعشر دقائق. هذا أمر غريب للغاية. ماذا كان يريد من هنا على أية حال؟ هذا ما كنت أود معرفته".

"ألم يذكر عمله؟".

"لم يذكر كلمة واحدة عنه".

"ألم يخرج مطلقًا؟".

"لقد وصل في وقت الغداء، وخرج في الساعة الرابعة والنصف تقريبًا، ثم عاد قرابة الساعة السادسة وعشرين دقيقة".

"إلى أين ذهب عندما خرج؟".

"ليست لديّ أدنى فكرة يا سيدي. ربما خرج ليتمشى فقط. وكان هذا قبل سقوط الثلوج، ولكن لم يكن ذلك باليوم المناسب للمشي".

قال المفتش وهو يفكر بإمعان: "خرج في الساعة الرابعة والنصف وعاد في السادسة وعشرين دقيقة تقريبًا. هذا غريب جدًا. ألم يذكر الكابتن تريفيليان؟".

هزت السيدة بيلينج رأسها نفيًا، وقالت:

"نعم يا سيد ناراكوت، لم يذكر أي أحد على الإطلاق. ويحتفظ بأسراره لنفسه. وهو شاب وسيم... ولكني أظنه شخصًا قلقًا".

أومأ المفتش برأسه، وتقدم ليفحص الدفتر. ثم قال:

"جيمس بيرسون، من لندن. حسنًا، لم يفدنا هذا كثيرًا. سوف يتعين علينا إجراء بضعة تحريات عن السيد جيمس بيرسون هذا".

ثم مشى نحو المقهى بحثًا عن الميجور برنابي.

كان الميجور برنابي هو النزيل الوحيد المتواجد في المقهى. وكان يحتسي قهوة داكنة اللون للغاية وقد نشر صحيفة التايمز أمامه.

"أأنت الميجور برنابي؟".

"نعم أنا".

"أنا المفتش ناراكوت من شرطة إكسيتر".

"صباح الخير أيها المفتش. هل من تقدم؟".

"نعم يا سيدي. أعتقد أننا أحرزنا بعض التقدم. يمكنني قول هذا باطمئنان".

قال الميجور بطريقة جافة: "سعدت لسماع هذا". وكان أسلوبه ينم عن يقين راسخ بعدم صحة كلامه.

وقال المفتش: "والآن، لديّ نقطة أو نقطتان أود معرفة بعض المعلومات عنهما أيها الميجور برنابي، وأعتقد أنك ربما تستطيع إخباري بما أريد معرفته".

قال برنابي: "سأبذل ما بوسعي".

"هل تعرف أي أعداء للكابتن تريفيليان؟".

أجاب برنابي بحسم: "لم يكن له عدو واحد في هذا العالم".

"ذلك الرجل المدعو إيفانز... أتراه جديراً بالثقة؟".

"أعتقد ذلك. وأعلم أن تريفيليان كان يثق به".

"ألم تكن لدى الكابتن أية مشاعر سيئة حيال زواجه؟".

"لم تكن لديه أية مشاعر سيئة، كلا. انزعج تريفيليان وحسب؛ فهو لم يحب أن تضطرب عاداته. وهو أعزب عجوز كما تعلم".

"بمناسبة الحديث عن كونه أعزب، هذه نقطة أخرى أود السؤال عنها. لم يكن الكابتن تريفيليان متزوجاً، فهل تعرف إذا ما كان قد كتب وصية أم لا؟ وفي حالة عدم وجود وصية، هل لديك فكرة عمن سيرث ثروته؟".

أجاب برنابي على الفور: "لقد كتب تريفيليان وصية".

"آه... أنت تعلم هذا".

"نعم، وقد جعلني وصيًا على تنفيذها. هو أخبرني بهذا".

"هل تعلم كيف قسم تركته؟".

"هذا ما لا أستطيع قوله".

"لقد علمت أنه كان ميسور الحال للغاية، أليس كذلك؟".

أجاب برنابي: "كان تريفيليان رجلًا ثريًا، ويمكنني الجزم بأنه أثرى بكثير مما يظن أي شخص هنا".

"هل تعرف إذا ما كان لديه أقارب؟".

"أعتقد أن لديه أختًا وأبناءها وبناتها. ولم يكن يراهم كثيرًا، ولكن لم تكن بينه وبينهم أية مشاحنات".

"وبالنسبة لهذه الوصية، أتعلم أين احتفظ بها؟".

"في مكتب والترز وكيركوود، وهما المحاميان هنا في إكزامبتون، وهما من كتباها له".

"إذن، أيها الميجور برنابي، بما أنك المنوط بتنفيذ الوصية، فإنني كنت أتساءل عما إذا كان بوسعك الذهاب معي إلى مكتب والترز وكيركوود الآن؛ فأنا أود الاطلاع على محتويات تلك الوصية في أسرع وقت ممكن".

نظر برنابي بانتباه، ثم قال:

"ما الخطب؟ ما علاقة الوصية بالقضية؟".

لم يَمِل المفتش ناراكوت إلى كشف أوراقه عاجلًا، فقال:

"ليست القضية واضحة للغاية كما ظننا. وبالمناسبة، لديّ سؤال آخر أود طرحه عليك. لقد علمت أيها الميجور برنابي أنك سألت الطبيب عما إذا كانت الوفاة قد حدثت في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة، أليس كذلك؟".

قال الميجور بغلظة: "أجل".

"ما الذي جعلك تختار هذا الوقت بالتحديد أيها الميجور؟".

قال برنابي: "ولماذا لا أختاره؟".

"حسنًا، من المؤكد أن هناك شيئًا أوحى إليك به".

ظل الميجور برنابي صامتًا لبرهة قبل أن يرد عليه، فازداد المفتش ناراكوت اهتمامًا؛ فمن الواضح تمامًا أن لدى الميجور شيئًا يريد إخفاءه. ومشاهدته وهو يحاول فعل هذا تثير الضحك.

قال بتحدٍّ: "ولماذا لا أقول الخامسة وخمس وعشرون دقيقة، أو السادسة إلا خمسًا وعشرين دقيقة، أو الرابعة وعشرون دقيقة في هذا الشأن؟".

قال المفتش ناراكوت لتهدئته: "أنت محق تمامًا يا سيدي". ولم يرغب في إثارة عداوة الميجور في هذه اللحظة، ولكنه وعد نفسه بالتوصل إلى حقيقة الأمر قبل انقضاء النهار. وواصل حديثه قائلاً:

"هناك شيء يبدو غريبًا بالنسبة لي يا سيدي".

"وماذا يكون؟".

"مسألة تأجير منزل سيتافورد . لا أعلم رأيك حيالها، ولكنها تبدو لي غريبة".

قال برنابي: "إذا أردت رأيي، فهي غريبة للغاية".

"أهذا رأيك؟".

"هذا رأي الجميع".

"في سيتافورد؟".

"في سيتافورد وإكزامبتون أيضًا. لا بد أن تلك السيدة مجنونة".

قال المفتش: "حسنًا، أظن أنه ليست للأذواق مبررات".

"يا له من ذوق شديد الغرابة لامرأة من هذا النوع!".

"أتعرف تلك السيدة؟".

"أعرفها، ويا للعجب؛ فقد كنت في منزلها عندما...".

سأله ناراكوت عندما أمسك الميجور عن حديثه فجأة: "عندما ماذا؟".

قال برنابي: "لا شيء".

نظر إليه المفتش ناراكوت بتشوق؛ فيوجد هنا شيء يود معرفته، ولم يخفَ عليه ارتباك الميجور وحرجه. وكان على وشك أن يقول له: ماذا؟ ولكنه قال لنفسه:

"لكل شيء أوانه، وليست هذه هي اللحظة المناسبة لاستفزازه".

قال له بصوت عالٍ وببساطة:

"قلت إنك كنت في منزل سيتافورد يا سيدي، وتلك السيدة تعيش هناك الآن... منذ متى؟".

"منذ شهرين".

كان الميجور حريصًا على الهروب من نتيجة كلماته الطائشة، فجعله هذا ثرثارًا بقدر أكبر من المعتاد.

"أهي أرملة تعيش مع ابنتها؟".

"نعم".

"هل أبدت أي سبب لاختيارها الإقامة في ذلك المنزل؟".

حك الميجور أنفه بارتياب، ثم قال: "حسنًا... إنها تتحدث كثيرًا، وهي من هذا النوع من النساء اللاتي يتحدثن عن جمال الطبيعة، والانعزال عن العالم، ومثل هذه الأشياء. ولكن...".

وتوقف لبرهة كالعاجز، فبادر المفتش ناراكوت إلى إنقاذه من الموقف قائلًا:

"إذن لم يبدُ لك هذا الكلام منطقيًا من جانبها".

"حسنًا، هو كذلك. إنها من نوع النساء العصريات اللاتي يتبعن الموضة، وابنتها جميلة وذكية. وكان من الطبيعي بالنسبة لهما الإقامة في فندق ريتز أو كلاريدجز، أو في فندق فخم آخر في أي مكان. أنت تعرف هذا النوع".

أومأ ناراكوت برأسه، وسأله:

"ألا تخفيان شئونهما عن الآخرين؟ أعني ألا تعتقد أنهما... حسنًا... ألا تعتقد أنهما تختبئان؟".

هز الميجور برنابي رأسه نفيًا، وقال:

"أوه! لا، لا شيء من هذا القبيل؛ فهما اجتماعيتان للغاية... اجتماعيتان على نحو زائد. أعني، في مكان صغير
كـ سيتافورد لا يمكنك تكوين علاقات مسبقة، وعندما تنهال عليك الدعوات يبدو لك هذا الأمر غريبًا بعض الشيء. وهما غاية في اللطف، وكريمتان، ولكن كرمهما يتعدى الأعراف الإنجليزية قليلًا".

قال المفتش: "هذا تأثير الاستعمار".

"نعم، أظنه كذلك".

"أليس لديك سبب يدعوك إلى الاعتقاد أنها تعرف الكابتن تريفيليان مسبقًا؟".

"من المؤكد أنها لم تكن تعرفه".

"لماذا أنت واثق تمامًا هكذا؟".

"لأنهما لو كانا كذلك لأخبرني الكابتن".

"حسنًا، ألا تعتقد أنه ربما كان دافعهما هو التمهيد للتعرف على الكابتن؟".

كان من الواضح أن هذه الفكرة جديدة بالنسبة للميجور؛ فظل يمعن التفكير فيها لبضع دقائق، ثم قال:

"حسنًا، لم يسبق لي التفكير في هذا. لقد كانتا بالتأكيد تبالغان في مجاملته، رغم أنهما لم تحدثا أي تغيير في مشاعر الكابتن نحوهما. ولكن لا، أعتقد أن هذا هو أسلوبهما المعتاد وحسب... أعني المبالغة في التودد كالمستعمرين، كما تعلم".

"فهمت. والآن، فلنتحدث عن المنزل ذاته. علمت أن الكابتن تريفيليان هو من بناه، أليس كذلك؟".

"بلى".

"ألم يعش فيه أحد آخر من قبل؟ أعني ألم يُستأجر من قبل؟".

"لم يُستأجر قط".

"إذن لا يبدو أن هناك شيئًا جذبهما للمنزل نفسه. هذا لغز محير. ومن المؤكد أن هذا الأمر لا علاقة له بالقضية، ولكنه استرعى انتباهي لكونه مصادفة غريبة. وبالنسبة لمنزل هازلمور، هذا الذي استأجره الكابتن تريفيليان، لمن يكون؟".

"إنه منزل الآنسة لاربنت، وهي امرأة في أواسط عمرها، وقد ذهبت إلى فندق في تشيلتنهام لقضاء الشتاء. وهي تفعل هذا في كل عام. وعادة ما تغلق المنزل، ولكنها تؤجره إذا استطاعت ذلك، وهذا نادرًا ما يحدث".

لم يبد هناك أي شيء مبشر في الحديث، فهز المفتش رأسه بخيبة أمل، ثم قال:

"علمت أن مكتب ويليامسونز هو الوكيل العقاري، أليس كذلك؟".

"بلى".

"أيوجد مكتبهم في إكزامبتون؟".

"بجوار مكتب والترز وكيركوود للمحاماة".

"آه! بوسعنا إذن - إذا لم تمانع أيها الميجور - أن نمر عليه في طريقنا".

"لا مانع لديّ على الإطلاق. ولن تجد السيد كيركوود في مكتبه قبل الساعة العاشرة على أية حال. وأنت تعلم حال المحامين".

"هل يمكننا الذهاب إذن؟".

كان الميجور قد أنهى إفطاره منذ قليل، فأومأ برأسه موافقًا، ثم نهض.

الفصل 7

الوصية

نهض شاب بدا عليه النشاط لاستقبالهما في مكتب ويليامسونز، وقال:

"صباح الخير أيها الميجور برنابي".

"صباح الخير".

قال الشاب دون رسمية: "إن ذلك لفعل شنيع. لم يحدث مثله في إكزامبتون منذ سنوات طويلة".

كان الشاب يتحدث بأسى شديد، فتأثر الميجور بكلامه، ثم قال:

"هذا هو المفتش ناراكوت".

قال الشاب بحماس وانفعال: "أوه! نعم".

قال المفتش: "أريد بعض المعلومات التي أعتقد أن بوسعك تقديمها لي. لقد علمت أنكم أنتم من أجرى عملية تأجير منزل سيتافورد".

"للسيدة ويليت؟ نعم، نحن".

"هل يمكنك أن تزودني بالتفاصيل الكاملة عن كيفية حدوث هذا الأمر - أعني هل قدمت السيدة طلبها شخصيًا أم من خلال خطاب؟".

قال الشاب: "من خلال خطاب بريدي أرسلته، دعني أر...". وفتح أحد الأدراج، وأخرج منه ملفًا، ثم قال: "نعم، أرسلته من فندق كارلتون في لندن".

"هل ذكرت منزل سيتافورد بالاسم؟".

"لا، لقد ذكرت وحسب أنها تريد استئجار منزل لقضاء الشتاء، ويجب أن يكون في منطقة دارتمور وبه ثمانِي حجرات. ولا يهم أن يكون قريبًا من محطة سكك حديدية أو مدينة".

"هل كان منزل سيتافورد مدونًا في سجلاتكم؟".

"لا، لم يكن كذلك. ولكنه في الحقيقة كان المنزل الوحيد في المنطقة الذي استوفى الشروط كلها. وذكرت السيدة في الخطاب أنها على استعداد لدفع حتى اثني عشر جنيهًا، وفي ظل هذه الظروف فكرت أنه من المجدي كتابة خطاب للكابتن تريفيليان وسؤاله عما إذا كان يفكر في تأجيره. وقد أجاب بالقبول، فأتممنا العملية".

"هل تم ذلك من دون أن ترى السيدة ويليت المنزل؟".

"لقد وافقت عليه من دون رؤيته، ووقعت على العقد. وبعد ذلك، حضرت إلى هنا في أحد الأيام، واستقلت سيارة إلى سيتافورد، ورأت الكابتن تريفيليان، واتفقت معه بشأن تغيير الديكور، وغيره من الأمور، وشاهدت المنزل".

"هل كانت راضية عنه تمامًا؟".

"أتتنا وقالت إنها سعيدة به".

سأله المفتش ناراكوت وهو ينظر إليه بإمعان: "وما رأيك أنت؟".

فهز الشاب كتفيه في حيرة، وقال:

"يتعلم المرء في مجال العقارات ألا يندهش أبدًا من أي شيء".

وبهذه الملحوظة الفلسفية، شكر المفتش هذا الشاب على مساعدته.

فقال الشاب: "لا داعي للشكر، كان هذا من دواعي سروري".

وصحبهما بأدب حتى الباب.

ومثلما قال الميجور برنابي، كان مكتب والترز وكيركوود بجوار مكتب العقارات. وعند وصولهما إلى هناك، قيل لهما إن السيد كيركوود وصل توًا، وصُحِبَا إلى مكتبه.

وكان السيد كيركوود رجلًا عجوزًا لين الكلام. وهو من سكان إكزامبتون الأصليين، وقد خلف والده وجده في المكتب.

ونهض لدى دخولهما، وأبدى حزنه وهو يصافح يد الميجور، وقال:

"صباح الخير أيها الميجور برنابي. كان ذلك أمرًا صادمًا للغاية، صادمًا حقًا. يا لتريفيليان المسكين".

ونظر بتساؤل إلى ناراكوت، فأوضح له الميجور برنابي سبب وجوده بكلمات قليلة موجزة.

سأله كيركوود: "أأنت المسئول عن تحقيقات القضية أيها المفتش ناراكوت؟".

فقال: "نعم يا سيد كيركوود. ومتابعة لتحرياتي، جئت لطلب معلومات محددة منك".

قال المحامي: "يسعدني تقديم أية معلومات ما دام من المناسب لي فعل ذلك".

قال ناراكوت: "إنها تخص وصية الكابتن تريفيليان الأخيرة. وقد علمت أنها موجودة هنا في مكتبك".

"هذا صحيح".

"هل كُتبت منذ زمن بعيد؟".

"منذ خمس سنوات أو ست، لست متأكداً من تاريخها الدقيق الآن".

"آه! أنا متلهف يا سيد كيركوود لمعرفة محتويات تلك الوصية في أسرع وقت ممكن؛ فقد تكون لها علاقة مهمة بالقضية".

قال المحامي: "بالتأكيد، بالتأكيد! ما كنت أظن هذا، ولكنك أعلم بعملك أيها المفتش. حسناً...". ونظر إلى الميجور ثم قال: "أنا والميجور برنابي منوط بنا تنفيذ الوصية. وإذا لم يكن لديه اعتراض...".

"لا مانع لديّ".

"إذن، أرى أنه لا يوجد سبب لرفض طلبك أيها المفتش".

والتقط سماعة الهاتف الذي كان على مكتبه، وتحدث ببضع كلمات. وفي غضون دقيقتين أو ثلاث، دخل أحد الموظفين ووضع أمام المحامي مظروفاً مغلقاً. وغادر الموظف المكتب، والتقط السيد كيركوود المظروف، وفضه بسكين الورق، وأخرج منه وثيقة تبدو كبيرة ومهمة، وتنحنح، ثم شرع في قراءتها:

"أنا جوزيف آرثر تريفيليان، صاحب منزل سيتافورد، الواقع في قرية سيتافورد في مقاطعة ديفون، أعلن أن هذه وصيتي الأخيرة التي كتبتها في الثالث عشر من شهر أغسطس من عام 1926. وأنص فيها على ما يلي:

1) أعهد إلى جون إدوارد برنابي، القاطن بأحد منازل سيتافورد الصغيرة بقرية سيتافورد، وفريدريك كيركوود القاطن في مدينة إكزامبتون بتنفيذ وصيتي والقيام عليها.

2) أعطي روبرت هنري إيفانز، الذي خدمني لزمن طويل وبإخلاص، مبلغ مائة جنيه معفاة من ضريبة الإرث خالصة له تماماً، شريطة أن يكون في خدمتي وقت وفاتي ومن دون أن يقدم لي إشعاراً بالرحيل أو يتلقاه مني.

3) أعطي المذكور جون إدوارد برنابي، كتذكار لصداقتنا وتعبيراً عن حبي واعتزازي به، جميع جوائزي الرياضية، بما في ذلك مجموعة رءوس وجلود الحيوانات، فضلاً عن جميع الكئوس والجوائز التي مُنِحتُها في أية رياضة وأية أشياء كسبتها من الصيد.

4) أعطي جميع ممتلكاتي العينية والشخصية - التي لم يتم توزيعها في هذه الوصية أو أي ملحق بها - إلى وصيي المذكورين لبيعها، وسحب السندات، وتحويلها إلى أموال.

5) يلتزم وصياي بما تحصل لديهما من مال من عمليات البيع، وسحب السندات، وتسييلها بدفع تكاليف الجنازة، والوصية، والديون، وتسليم الإرث المحدد بهذه الوصية أو أي ملحق بها، وسداد جميع ضرائب التركات، وغيرها من النفقات.

6) يلتزم وصياي بجمع ما تبقى من مال أو استثمارات وتقسيمه إلى أربعة أقسام أو حصص متساوية.

7) ووفقًا لهذا التقسيم المذكور آنفًا، يلتزم وصياي بتقديم أحد الأقسام أو الحصص الأربع المتساوية إلى أختي جينيفر جاردنر لاستخدامها وتمتعها التام بها خالصة لها.

وعلى وصيّ توزيع الأقسام أو الحصص الثلاث الباقية على الأبناء الثلاثة لأختي المتوفاة ماري بيرسون خالصة لهم.

وشهادة على ذلك، أنا المذكور جوزيف آرثر تريفيليان أضع توقيعي في اليوم والعام المذكورين أعلاه.

وقعت من قبل الموصي المذكور كوصيته الأخيرة في حضور كلينا في الوقت ذاته، وفي حضوره وبناءً على طلبه وقعنا باسمينا كشاهدين".

سلم السيد كيركوود الوثيقة للمفتش، وقال له:

"لقد شهد عليها موظفان من موظفي المكتب".

ونظر المفتش في الوصية بتمعن، ثم قال:

"أختي المتوفاة ماري بيرسون؟ أيمكنك إخباري بأي شيء عن السيدة بيرسون هذه يا سيد كيركوود؟".

"ليس لديّ الكثير عنها. أظنها توفيت منذ عشر سنوات تقريبًا. وتوفي زوجها، الذي كان يعمل سمسار أسهم، قبلها. وعلى حد علمي، لم تزر الكابتن تريفيليان هنا قط".

قال المفتش ثانية: "بيرسون". ثم أضاف قائلًا: "هناك شيء آخر أود السؤال عنه. لم يُذْكَرْ مقدار ثروة الكابتن تريفيليان هنا، فكم يبلغ مقدارها في اعتقادك؟".

قال السيد كيركوود وهو يستمتع - كجميع المحامين - بجعل الإجابة عن الأسئلة البسيطة صعبة: "يصعب تقدير هذا بدقة؛ فهذه مسألة تتعلق بممتلكات عينية وشخصية. وفضلًا عن منزل سيتافورد، يمتلك الكابتن تريفيليان بعض العقارات في منطقة بلايماوث، والاستثمارات المختلفة التي كان يقوم بها من حين إلى آخر تغيرت قيمتها".

قال المفتش ناراكوت: "أريد مقدارًا تقريبيًا وحسب".

"أنا لا أرغب في توريط نفسي في هذه المسألة".

"أنا لا أريد سوى تقدير عام يصلح كدليل. فمثلًا، هل تقارب ثروته العشرين ألف جنيه؟".

"عشرون ألفًا فقط يا سيدي العزيز! إن ثروة الكابتن تريفيليان تعادل أربعة أضعاف هذا المبلغ على الأقل. قد تقارب قيمتها الحقيقة الثمانين أو حتى التسعين ألف جنيه".

قال الميجور برنابي: "لقد أخبرتك بأن تريفيليان ثري جدًا".

ونهض المفتش ناراكوت، ثم قال:

"شكرًا جزيلًا لك يا سيد كيركوود على المعلومات التي قدمتها لي".

"أتراها مفيدة، هه؟".

كان من الواضح أن المحامي شديد الفضول، ولكن المفتش ناراكوت لم يكن في حالة مزاجية تتيح له إشباع فضوله حاليًا، فقال له دون توضيح:

"في قضية كهذه، يجب علينا أخذ كل شيء في الحسبان. وبالمناسبة، هل لديك أسماء وعناوين جينيفر جاردنر وعائلة بيرسون؟".

"لا أعلم شيئًا عن عائلة بيرسون، أما عنوان السيدة جاردنر فهو منزل لاوريل، طريق والدون، إكسيتر".

دوّن المفتش العنوان في دفتره، ثم قال:

"سيفيدنا هذا في مواصلة التحري. ألا تعلم كم عدد أبناء السيدة بيرسون؟".

"أظنهم ثلاثة: بنتين وولدًا... أو ربما ولدين وبنتًا... لا أذكر".

أومأ المفتش برأسه، ووضع دفتره في جيبه، وشكر المحامي مرة أخرى، ثم غادر هو والميجور.

وعندما وصلا إلى الشارع، استدار المفتش فجأة، وواجه رفيقه، وقال له:

"والآن يا سيدي، سوف نعلم الحقيقة بشأن مسألة الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة".

فاحمر وجه الميجور برنابي من شدة الانزعاج، وقال له:

"لقد أخبرتك من قبل...".

"لم أقتنع بذلك القول. ما تفعله هو إخفاء للمعلومات أيها الميجور برنابي. ومن المؤكد أن هناك فكرة ما كانت تدور في رأسك عند ذكرك ذلك التوقيت المحدد للطبيب وارين... وأعتقد أن لديّ فكرة جيدة عما كان يدور برأسك".

قال الميجور بصوت أجش: "حسنًا، إن كنت تعرف فلماذا تسألني؟".

"أعتقد أنك كنت على علم بأن شخصًا ما على موعد مع الكابتن تريفيليان في ذلك الوقت تقريبًا. والآن، أليس الأمر كذلك؟".

حملق الميجور برنابي إليه في دهشة، ثم قال:

"لا شيء من هذا القبيل... لا يوجد شيء من هذا".

"انتبه أيها الميجور برنابي. ماذا عن السيد جيمس بيرسون؟".

"جيمس بيرسون؟ من يكون جيمس بيرسون؟ أتقصد أحد أبناء أخت تريفيليان؟".

"أظنه أحد أبناء أخته. لديه ابن أخت يدعى جيمس، أليس كذلك؟".

"ليست لديّ أدنى فكرة. أعلم أن لدى تريفيليان أبناء أخت، ولكني لا أعلم أي شيء عن أسمائهم".

"الشاب المذكور في السؤال كان في فندق ثري كراونز في الليلة الماضية. ولعلك تعرفت عليه هناك".

قال الميجور بصوت أجش: "لم أتعرف إلى أي أحد. لم أتعرف إليه على أية حال؛ فلم تسبق لي رؤية أي أحد من أبناء أخت تريفيليان طوال حياتي".

"ولكنك علمت أن الكابتن تريفيليان كان يتوقع زيارة أحد أبناء أخته بالأمس بعد الظهر، أليس كذلك؟".

قال الميجور بصوت جهوري ينم عن الغضب: "لم أكن أعلم ذلك".

التفت العديد من الناس المتواجدين في الشارع وحملقوا إليه.

وواصل كلامه قائلًا: "اللعنة، ألا تتقبل الحقيقة الواضحة؟! أنا لم أعلم أي شيء عن أي موعد، ولا أعلم في أي موضع على الأرض يوجد أبناء أخت تريفيليان".

بُهت المفتش قليلًا؛ فقد كان إنكار الميجور الشديد يحمل دلائل الحقيقة بصورة أوضح من ألا يراها، فقال:

"إذن، ما مسألة الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة هذه؟".

سعل الميجور بطريقة تدل على حرجه ثم قال: "أوه! حسنًا... أعتقد أن من الأفضل أن أخبرك. ولكن اعلم أن الأمر كله غاية في السخافة! بل هو هراء يا سيدي. كيف لأي شخص عاقل أن يصدق مثل هذا الهراء؟!".

بدا المفتش ناراكوت أكثر اندهاشًا.

وكان الميجور برنابي يبدو أكثر انزعاجًا وخجلًا من نفسه. وقال:

"أنت تعلم أيها المفتش. قد تضطر أحيانًا للمشاركة في مثل هذه الأمور لإرضاء سيدة. وبالطبع، أنا لم أرَ أية مشكلة في ذلك".

"في ماذا أيها الميجور برنابي؟".

"لعبة تحضير الأرواح".

"لعبة تحضير الأرواح؟".

وأيًا كان ما توقعه ناراكوت، فإنه لم يتوقع هذا الرد. وواصل الميجور شرحه للأمر. وبتردد وكثير من العبارات التي تنفي اعتقاده بمثل هذه الأشياء، وصف أحداث المساء السابق والرسالة المزعوم أنها موجهة إليه.

"أتعني أيها الميجور برنابي أن الطاولة ذكرت اسم تريفيليان وأخبرتك بأنه مات... أقصد قُتل؟".

فهز الميجور برنابي جبهته إيجابًا، ثم قال:

"نعم، هذا ما حدث. أنا لا أؤمن بهذه الأشياء... حقًا، أنا لا أؤمن بها". وبدا عليه الخزي، ثم واصل حديثه قائلًا: "حسنًا، كنا في يوم الجمعة وفكرت في أنه رغم كل شيء ينبغي عليّ التأكد من الأمر ومعرفة إذا ما كان كل شيء على ما يرام".

وفكر المفتش بإمعان في الصعوبات التي واجهها بقطعه قرابة التسعة كيلومترات والنصف سيرًا على الأقدام، في ظل الثلوج المتكدسة واحتمالية تساقط الثلوج بكثافة، فأدرك دون شك أن الميجور برنابي قد تأثر بشدة بتلك الرسالة الروحانية. ظل المفتش ناراكوت يقلب المسألة في عقله؛ فهذا أمر غريب... بل شديد الغرابة. وهو من الأمور التي لا يمكن للمرء شرحها على نحو مقنع. ولكن ربما يكون هناك أمر ما وراء هذه المسألة الروحانية. وهذه أول قضية موثقة من هذا النوع يمر بها.

وهي في مجملها قضية شديدة الغرابة، ولكنه رأى - على حد علمه - أنها تفسر توجه الميجور برنابي، ولا تحمل أية أدلة عملية تتعلق بالقضية بقدر تعلقه هو بها. ويتعين عليه التعامل مع العالم المادي، لا الروحاني.

وكانت مهمته هي القبض على القاتل.

ولفعل هذا الأمر، لن يحتاج إلى توجيه من العالم الروحاني.

الفصل 8

السيد تشارلز أنديربي

عندما نظر المفتش إلى ساعته، أدرك أنه لن يستطيع اللحاق بالقطار المتجه إلى إكسيتر إلا إذا أسرع إليه. وكان متلهفًا إلى مقابلة أخت الكابتن تريفيليان في أسرع وقت ممكن والحصول منها على عناوين بقية أفراد العائلة؛ لذا، بعد أن ودع الميجور برنابي على عجالة، انطلق إلى محطة القطار. عاد الميجور إلى فندق ثري كراونز. ولم يكد يضع قدميه على عتبة الباب حتى أقبل عليه شاب بهي الطلعة، وذو شعر لامع للغاية ووجه مستدير مفعم بالحيوية، فقال له الشاب:

"أأنت الميجور برنابي؟".

"نعم".

"وتعيش في منزل رقم 1 في سيتافورد؟".

"نعم".

قال الشاب: "أنا موفد من صحيفة ديلي واير، وأنا...".

ولم يكد الشاب يكمل كلامه حتى انفجر الميجور في وجهه قائلًا بنبرة عسكرية حقيقية من الطراز القديم:

"لا تنطق بكلمة واحدة أخرى. أنا أعرفك وأعرف أمثالك. لا شرف ولا ستر. إنكم تتجمعون على جرائم القتل كما تتجمع النسور على الجيف، ولكني أقول لك أيها الشاب إنك لن تحصل على أية معلومة مني. لن تحصل على كلمة، ولا قصة لصحيفتك البائسة. وإذا كنت تريد معرفة أي شيء، فاذهب واسأل الشرطة، واحظَ بشرف ترك أصدقاء الرجل الراحل وشأنهم".

لم يبد على الشاب أي قدر من الدهشة، بل ابتسم بمزيد من الإصرار عما قبل، وقال له:

"أرى يا سيدي أنك أخطأت الظن بي. أنا لا أعلم أي شيء عن مسألة القتل هذه".

ولم تكن هذه هي الحقيقة تماما؛ فما من أحد في إكزامبتون يمكنه ادعاء الجهل

بهذا الحدث الذي هز أعماق المدينة الهادئة الآمنة.

واصل الشاب كلامه قائلًا: "أنا مفوض من قبل صحيفة ديلي واير لتسليمك هذا الشيك بقيمة خمسة آلاف جنيه، ولتهنئتك بإرسال الإجابة الصحيحة الوحيدة في مسابقة كرة القدم التي نشرناها".

كان الميجور برنابي غاية في الذهول والمفاجأة، بينما تابع الشاب حديثه قائلًا:

"لم يكن لديّ شك في استلامك خطابنا صباح اليوم، الذي يخبرك بالنبأ السار".

قال الميجور برنابي: "خطاب؟ هل تعلم أيها الشاب أن قرية سيتافورد مدفونة تحت الثلوج على عمق ثلاثة أمتار تقريبًا؟ فأية فرصة ترانا حصلنا عليها لتسلم خطابات منتظمة خلال الأيام القليلة الماضية؟".

"ولكن لا شك أنك رأيت اسمك معلنًا كفائز في صحيفة ديلي واير في هذا الصباح، أليس كذلك؟".

قال الميجور برنابي: "لم أنظر في الصحيفة في هذا الصباح".

قال الشاب: "آه! بالطبع لم تفعل بسبب تلك المسألة المحزنة. علمت أن القتيل صديقك".

قال الميجور: "بل أعز أصدقائي".

قال الشاب وهو يتجنب النظر إليه بذوق: "يا للأسف!". ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة مطوية بنفسجية اللون، وسلمها للميجور برنابي مع انحناءة احترام، وقال له:

"مع تحيات صحيفة ديلي واير".

أخذها الميجور برنابي، وقال له العبارة الوحيدة المناسبة في ظل هذه الظروف:

"هلا تفضلت بتناول مشروب يا سيد...؟".

"أنديربي، اسمي تشارلز أنديربي. وقد وصلت هنا في الليلة الماضية وسألت عن كيفية الوصول إلى سيتافورد؛ فنحن نحرص على تسليم الشيكات للفائزين شخصيًا. ودائمًا ما ننشر مقابلة شخصية بسيطة عنها؛ فهذا يثير اهتمام القراء. حسنًا، لقد أخبرني الجميع باستحالة وصولي إلى هناك؛ فقد كان الثلج يتساقط ومن المستحيل تدبير وسيلة تقلني إليها. وبعد ذلك، ولحظّي العظيم، اكتشفت أنك هنا، تقيم في فندق ثري كراونز". ثم قال مبتسمًا: "ولم أجِد صعوبة في التعرف عليك؛ فيبدو أن الجميع يعرف كل منهم الآخر في هذا الجانب من العالم".

قال الميجور: "ماذا تشرب؟".

قال أنديربي: "قهوة".

طلب الميجور فنجانين من القهوة.

قال أنديربي: "يبدو أن المكان بأسره اهتز لحادثة القتل هذه. إنها مسألة غامضة للغاية بكل المقاييس".

تنحنح الميجور؛ فقد كان في موقف مربك، فرأيه إزاء الصحفيين لم يتغير، ولكن قيام أحدهم بإعطائك شيكًا بمبلغ خمسة آلاف جنيه يمنحه وضعًا مميزًا. ولا يمكنك أن تقول له ببساطة اذهب إلى الجحيم.

سأله الشاب: "ألم يكن له أعداء؟".

قال الميجور: "لم يكن له أعداء".

"ولكني سمعت أن الشرطة لا تعتقد أن القتل كان بدافع السرقة".

سأله الميجور: "كيف علمت هذا؟".

لم يكشف السيد أنديربي عن مصدر معلوماته، بل قال:

"سمعت أنك أنت يا سيدي من اكتشف الجثة في الحقيقة".

"حدث بالفعل".

"لا بد أنها كانت صدمة مروعة".

واستمرت المحادثة. وكان الميجور برنابي مصرًا على عدم إعطاء أية معلومات، ولكنه لم يكن بمهارة السيد أنديربي. فقد صاغ هذا الشاب أسئلة أرغمت الميجور على الإجابة بـ نعم أو لا، ومن ثم قدم له المعلومات التي أرادها. ورغم هذا، كان أسلوبه مريحًا للغاية لدرجة أن هذه العملية لم تكن مؤلمة على الإطلاق، ووجد الميجور نفسه معجبًا بهذا الشاب الفذ الجدير بالثقة.

وعلى عجالة، نهض السيد أنديربي، وأخبر الميجور بأنه يتعين عليه الذهاب إلى مكتب البريد، ثم قال له:

"هلا أعطيتني إيصالًا باستلام الشيك يا سيدي".

توجه الميجور إلى المكتب، ودوّن إيصالًا، وسلمه إياه.

قال الشاب: "رائع". ودسه في جيبه.

قال الميجور برنابي: "أظنك ستعود إلى لندن اليوم، أليس كذلك؟".

قال الشاب: "أوه! نعم. أريد أن ألتقط بعض الصور الفوتوغرافية لمنزلك في سيتافورد، ولك وأنت تطعم حيواناتك الداجنة، أو وأنت تسقي الأزهار، أو وأنت تفعل أي شيء خاص بك تحبه. أنت لا تعلم مدى تقدير قرائنا لهذه الأمور . وبعد ذلك أريد

منك بضع كلمات عما تنوي فعله بالخمسة آلاف جنيه، على أن يكون أمراً حساساً. أنت لا تعرف مدى خيبة أمل قرائنا إذا لم يجدوا مثل هذه الأمور".

"نعم، ولكن انظر إلى الوضع هنا... من المحال الوصول إلى سيتافورد في هذا الطقس؛ فالثلج يتساقط بغزارة على نحو لا مثيل له، وما من مركبة استطاعت السير على الطريق منذ ثلاثة أيام، وقد يتطلب ذوبان الثلوج ثلاثة أيام أخرى".

قال الشاب: "أعلم ذلك. إنه أمر شاق. حسنًا، حسنًا، سوف نكتفي بالاستمتاع بوقتنا في إكزامبتون. إنهم يقدمون خدمات جيدة للغاية في فندق ثري كراونز. إلى اللقاء يا سيدي، أراك لاحقًا".

خرج الشاب إلى الشارع الرئيسي في إكزامبتون، ومضى في طريقه إلى مكتب البريد، وأرسل برقية إلى صحيفته يخبرهم فيها بأنه استطاع من خلال حظه العظيم أن يجمع لهم معلومات مثيرة وحصرية عن قضية القتل التي حدثت في إكزامبتون.

وفكر بإمعان في خطواته التالية، وقرر إجراء حوار مع خادم الكابتن تريفيليان المدعو إيفانز، الذي انفلت اسمه سهواً من شفتي الميجور برنابي في أثناء محادثتهما.

وبقليل من الاستعلام تمكن من الوصول إلى منزل رقم 85 بشارع فور؛ فقد أصبح خادم القتيل شخصاً مهماً اليوم، وبات الجميع على استعداد وتشوق للدلالة على منزله.

طرق أنديربي الباب طرقات خفيفة بارعة، ففتح له الباب رجل بدا نموذجًا لبحار سابق لدرجة أن أنديربي لم يشك في هويته.

قال السيد أنديربي بابتهاج: "إيفانز، أليس كذلك؟ لقد جئت توًا من عند الميجور برنابي".

"أوه!...". وتردد إيفانز لبرهة ثم قال: "تفضل بالدخول يا سيدي".

قبل أنديربي الدعوة. وكانت هناك سيدة شابة ممتلئة الجسم على نحو جذاب، وسوداء الشعر، وذات خدين أحمرين تحوم في الجوار. واستنتج أنديربي أنها زوجة إيفانز الحديثة.

قال أنديربي: "إنه لأمر محزن ما حدث لسيدك الراحل".

"لقد كانت صدمة يا سيدي، هذه هي حقيقة الأمر".

سأله أنديربي بأسلوب فذ في استخلاص المعلومات: "من تظنه فعلها؟".

قال إيفانز: "أظنه أحد أولئك المتشردين الأوغاد".

"أوه! لا يا عزيزي. لقد بطلت تلك النظرية تمامًا".

"هه؟".

"كان كل ذلك خداعاً، وقد اكتشفت الشرطة ذلك على الفور".

"من أخبرك بهذا يا سيدي؟".

كان المخبر الحقيقي لأنديربي هو الخادمة التي تعمل في فندق ثري كراونز؛ فأختها زوجة الشرطي جريفز، ولكنه أجاب:

"لديّ مصادر معلومات في مركز الشرطة. و، نعم، لقد كانت فكرة السرقة كلها مجرد خداع".

سألت زوجة إيفانز وهي مقبلة عليهما ويبدو في عينيها الخوف والتلهف للمعرفة: "من يعتقدون أنه فعلها إذن؟".

فقال زوجها: "يا ريبيكا، لا تنفعلي هكذا".

قالت: "رجال الشرطة قساة حمقى؛ فهم لا يأبهون بمن سيعتقلون ما داموا سيضعون أيديهم على شخص محدد".

وألقت نظرة سريعة على أنديربي ثم قالت:

"ألك علاقة بالشرطة يا سيدي؟".

"أنا؟ أوه! كلا. أنا موفد من جريدة تدعى ديلي واير. وقد جئت لمقابلة الميجور برنابي؛ فقد فاز تواً بجائزة قدرها 5000 جنيه في مسابقتنا الخاصة بكرة القدم".

فصاح إيفانز: "ماذا؟! اللعنة، تلك الأمور صحيحة إذن".

سأله أنديربي: "ألم تكن تظنها كذلك؟".

"حسنًا، إنه عالم شرير يا سيدي". وبدا إيفانز مرتبكًا بعض الشيء، وشعر بأن تعبيراته تفتقد إلى اللباقة، وواصل كلامه قائلًا: "لقد سمعت أن هناك الكثير من الخداع المتعلق بهذه الأمور. وقد اعتاد الكابتن الراحل قول إن تلك الجوائز لا تذهب أبداً إلى العناوين الجيدة؛ ولهذا السبب كان يستخدم عنواني من حين إلى آخر".

وبقدر من السذاجة، وصف فوز الكابتن بالروايات الثلاث الجديدة.

شجعه أنديربي على الحديث؛ فقد رأى إمكانية الخروج بقصة رائعة من إيفانز، الخادم المخلص، ومن لمسة الولاء القديم للبحارة التي لديه. ولكنه تعجب بعض الشيء بسبب ما بدا على زوجته من شدة الانفعال، فأرجعه إلى الجهل المشوب بالشك الذي تتميز به طبقتها.

وقال إيفانز: "اعثروا على الوغد الذي فعلها. يقال إن باستطاعة الصحف فعل الكثير فيما يتعلق بتصيد المجرمين".

قالت زوجة إيفانز: "ذلك القاتل لص، هذه هي حقيقته".

فقال إيفانز: "هو كذلك بالطبع. عجبًا، لا يوجد أحد في إكزامبتون يرغب في إيذاء الكابتن".

نهض أنديربي ثم قال:

"حسنًا، يجب أن أذهب. وسوف أزوركما من حين إلى آخر لتبادل الحديث إن كان ذلك ممكنًا. وما دام الكابتن قد فاز بثلاث روايات في مسابقة أقامتها صحيفة ديلي واير، فيتعين على الصحيفة أن تجعل تصيد قاتله مسألة شخصية".

"أنصفت في القول تمامًا يا سيدي، أنصفت تمامًا".

وبعد أن تمنى لهما تشارلز أنديربي يومًا جيدًا مبهجًا، غادر منزلهما. وتمتم لنفسه قائلًا:

"عجبًا، من الذي قتل ذلك الرجل المسكين حقًا؟ لا أظنه صديقنا إيفانز. ربما كان القاتل لصًا! هذا مخيب جدًا للآمال إن كان صحيحًا. ولا يبدو أن هناك دورًا لأية امرأة في القضية، وهذا مثير للشفقة. ينبغي حدوث تطور مثير عاجلًا وإلا فقدت هذه القضية أهميتها. وإذا لم يحدث هذا، فسيكون ذلك من سوء حظي؛ فهذه أول مرة أكون فيها في مركز الحدث في قضية كهذه. يجب أن أغتنم هذه الفرصة. لقد سنحت فرصتك في الحياة يا تشارلز، فاغتنمها. أظن أن صديقي العسكري سرعان ما سيكون طوع بناني إذا حرصت على معاملته باحترام كاف ودعوته "سيدي" كثيرًا. وأنا أتساءل عما إذا شارك في العصيان الذي حدث في الهند. كلا بالطبع؛ فهو ليس مسنًا لهذه الدرجة. ماذا عن حرب جنوب إفريقيا؟ هذه هي. سوف أسأله عن حرب جنوب إفريقيا؛ فهذا سيجعله طيعًا".

وبعد تفكيره بإمعان في هذه الحلول الجيدة، مشى بتأنٍ عائدًا إلى فندق ثري كراونز.

الفصل 9

منزل لاوريلز

استغرق قطع المسافة من إكزامبتون إلى إكسيتر قرابة نصف الساعة. وفي الساعة الثانية عشرة إلا خمس دقائق كان المفتش ناراكوت يدق جرس باب منزل لاوريلز.

كان لاوريلز منزلًا متهدمًا إلى حد ما، وبحاجة ماسة للطلاء. وكانت الحديقة المحيطة به غير مشذبة وكثيرة الحشائش، وكان باباها متدليين بانحراف على مفصلاتهما.

قال المفتش ناراكوت في نفسه: "لا يملك أصحاب هذا المنزل الكثير من المال. ومن الواضح أنهم فقراء".

كان المفتش موضوعي التفكير للغاية، ولكن بدا أن التحقيقات تشير إلى ضعف احتمالية أن يكون مقتل الكابتن تم على يدي عدو له. ومن ناحية أخرى، وبحسب ما تبين له، هناك أربعة أشخاص سيكسبون مبلغًا ضخمًا من وفاة ذلك الرجل المسن. ومن ثم ينبغي التحقيق في تحركات كل واحد من هؤلاء الأربعة. وكان الاسم المدون في سجل الفندق ذا مغزى،
ولكن بيرسون اسم شائع تمامًا. وكان المفتش ناراكوت حريصًا على عدم التعجل في اتخاذ أي قرار، وعلى إبقاء عقله منفتحًا علاوة على فحص الافتراضات الأولية كلها في أسرع وقت ممكن.

أجابت الجرس خادمة تبدو غير مهندمة إلى حد ما. قال لها المفتش ناراكوت: "مساء الخير. أريد مقابلة السيدة جاردنر من فضلك بشأن مسألة تتعلق بوفاة أخيها الكابتن تريفيليان في إكزامبتون".

وقد تعمد عدم إعطاء الخادمة بطاقته التعريفية الرسمية؛ فهو يعلم من خبرته أن مجرد معرفتها بأنه ضابط شرطة من شأنه أن يربكها ويعقد لسانها.

سأل المفتش الخادمة بطريقة عادية وهي تفسح له المجال للدخول في الصالة: "هل سمعت بوفاة أخيها؟".

"نعم، تلقت تلغرافًا من السيد كيركوود المحامي".

قال المفتش ناراكوت: "حسنًا".

أوصلته الخادمة إلى حجرة الاستقبال، وهي حجرة كالجانب الخارجي من المنزل بحاجة إلى إنفاق بعض المال على تحسينها، ولكنها تحوي رغم ذلك لمسة من السحر الذي شعر به المفتش من دون أن يستطيع تحديد سببه أو مبرراته.

قال المفتش: "لا بد أنها كانت صدمة لسيدتك". ولاحظ أن الفتاة تبدو غامضة بعض الشيء حيال هذا الأمر؛ فقد ردت قائلة: "إنها لم تكن تراه كثيرًا".

قال لها المفتش ناراكوت: "أغلقي الباب وتعالي هنا". وكان حريصًا على تجربة تأثير الهجوم المباغت، فسألها:

"هل أخبرتكم البرقية بأنها جريمة قتل؟".

"جريمة قتل!".

واتسعت عينا الفتاة، واجتمع فيها مزيج من الهلع والسرور الكبير، وسألته: "هل قُتل؟".

قال المفتش ناراكوت: "آه! أظنك لم تسمعي بهذا. لم يرد السيد كيركوود أن يبلغ سيدتك الخبر على نحو مفاجئ، ولكنك تعلمين يا عزيزتي... بالمناسبة، ما اسمك؟".

"بياتريس يا سيدي".

"حسنًا، أنت تعلمين يا بياتريس أن الخبر سينشر في الصحف المسائية الليلة".

قالت بياتريس: "مستحيل! قُتل. إنه لأمر فظيع، أليس كذلك؟ هل هشموا رأسه، أم أطلقوا النار عليه، أم ماذا؟".

أشبع المفتش شغفها بالتفاصيل، ثم قال بطريقة عادية: "أعتقد أن هناك بعض الأقاويل حول ذهاب سيدتك إلى إكزامبتون بعد ظهر الأمس، ولكني أظن أن الطقس كان أسوأ من أن يسمح لها بذلك".

قالت بياتريس: "لم أسمع بأي شيء من هذا يا سيدي. وأعتقد أنك مخطئ؛ فقد خرجت سيدتي بعد الظهر للتسوق ثم ذهبت إلى السينما".

"ومتى وصلت إلى المنزل؟".

"قرابة الساعة السادسة".

ومن ثم، هذا يجعل السيدة جاردنر مستبعدة من دائرة الاشتباه.

قال لها بنبرة عادية: "أنا لا أعلم الكثير عن عائلة السيدة جاردنر، هل هي أرملة؟".

"أوه، كلا يا سيدي، لا يزال زوجها على قيد الحياة".

"فماذا يعمل؟".

قالت بياتريس وهي تحدق إليه: "ليس لديه أي عمل. لا يمكنه ذلك؛ فهو عاجز".

"أهو عاجز حقًا؟ أوه، أنا آسف. لم أسمع بذلك".

"لا يمكنه المشي، ويظل مستلقيًا على الفراش طوال الوقت، ودائمًا ما توجد في المنزل ممرضة. وليست كل خادمة بوسعها البقاء مع ممرضة في المنزل طوال الوقت؛ فهي دائمًا ما تطلب أن يُصْعَدَ لها بصوانٍ وتُعَدّ لها أباريق الشاي".

قال المفتش مواسيًا إياها: "لابد أنه عمل مضنٍ. والآن، هلا ذهبت من فضلك وأخبرت سيدتك بأنني جئت من عند السيد كيركوود في إكزامبتون؟!".

انصرفت بياتريس، وبعد مرور بضع دقائق انفتح الباب ودخلت منه امرأة طويلة عليها علامات الحزم والصرامة. وكان وجهها غريب المنظر؛ فهو واسع عند الحاجبين، وكان شعرها أسود اللون مع قليل من الشعر الرمادي في الجانبين، وقد مشطته للخلف بداية من جبهتها. ونظرت إلى المفتش نظرات تساؤل وقالت:

"هل جئت من عند السيد كيركوود في إكزامبتون؟".

"ليس تمامًا أيتها السيدة جاردنر. هذا ما قلته لخادمتك. لقد قُتل أخوك الكابتن تريفيليان مساء أمس، وأنا ناراكوت مفتش المقاطعة المكلف بالقضية".

وأيًا كانت صفات السيدة جاردنر الأخرى، من المؤكد أنها امرأة صلبة الأعصاب؛ فقد ضاقت عيناها، واستنشقت نفسها بحدة، ثم أشارت إلى المفتش بالجلوس على أحد المقاعد، وجلست هي على مقعد آخر وقالت: "قُتل! يا للغرابة! من في هذا العالم يرغب في قتل أخي؟".

"هذا ما أتوق لمعرفته يا سيدة جاردنر".

"بالطبع، أتمنى أن يكون باستطاعتي مساعدتك، ولكني أشك في هذا؛ فأنا وأخي لم نلتقِ إلا نادرًا خلال السنوات العشر الأخيرة. ولا أعلم أي شيء عن أصدقائه أو أية علاقات كونها".

"أرجو المعذرة يا سيدة جاردنر، ولكن هل تشاجرتما أنت وأخوك؟".

"لا، لم نتشاجر. وأعتقد أن كلمة "تباعدنا" تصف الوضع بيننا على نحو أفضل. وأنا لا أريد التطرق إلى تفاصيل عائلية، ولكن أخي غضب من زواجي. وأعتقد أن الإخوة نادرًا ما يوافقون على اختيارات أخواتهم، ولكنهم عادة ما يخفون ذلك على نحو أفضل مما فعل أخي. ولعلك تعلم أن لدى أخي ثروة طائلة ورثها من إحدى عماته. وتزوج كل منا أنا وأختي برجلين فقيرين. وعندما أصبح زوجي عاجزًا وسُرِّح من الجيش بعد

الحرب لإصابته بانهيار عصبي من جراء تعرضه للقصف، كانت المعونة المالية البسيطة من شأنها أن تمثل غوثًا عظيمًا لنا، وتمكنني من أن أوفر له علاجًا مكلفًا ما كنت أستطيع توفيره بوسيلة أخرى. وقد طلبت من أخي قرضًا فرفض. وهذا من حقه تمامًا بالطبع. ولكن منذ ذلك الحين لم نلتقِ إلا نادرًا جدًا، ولم نتراسل مطلقًا".

كان هذا قولًا موجزًا واضحًا. قال المفتش في نفسه يا لها من شخصية آسرة تلك التي تتمتع بها السيدة جاردنر. وإلى حد ما لم يستطع استكشاف خباياها؛ فقد بدت هادئة على نحو غير معتاد، وعلى نحو غير معتاد كانت مستعدة لسرد الحقائق. وقد لاحظ أيضًا أنها رغم دهشتها لم تسأل عن أية تفاصيل حول مقتل أخيها، فرأى هذا الأمر غاية في الغرابة.

وقال: "لا أدري إن كنت تريدين معرفة ما حدث بالضبط... في إكزامبتون".

فتجهمت وقالت:

"وهل عليّ أن أعرف؟ قُتل أخي... وآمل أن يكون ذلك من دون ألم".

"يمكنني القول إنه قُتل من دون ألم تمامًا".

"إذن أرجوك أن توفر عليّ سماع أية تفاصيل شنيعة".

قال المفتش في نفسه: "هذا أمر غير طبيعي، غير طبيعي تمامًا".

وكما لو أنها قرأت أفكاره، استخدمت الكلام ذاته الذي تحدث به إلى نفسه، فقالت:

"أظنك تعتقد أن هذا أمر غير طبيعي تمامًا أيها المفتش، ولكنني... لقد سمعت الكثير من الفظائع. وقد أخبرني زوجي بأمور حدثت في إحدى نوباته السيئة". وارتعشت ثم قالت: "أعتقد أنك ستفهمني إذا علمت بظروفي على نحو أفضل".

"أوه! هذا صحيح، صحيح يا سيدة جاردنر. وما جئت من أجله حقًا هو معرفة بعض التفاصيل العائلية منك".

"حقًا؟".

"هل تعرفين كم لدى أخيك من الأقارب على قيد الحياة فضلًا عنك؟".

"لا يوجد من الأقارب المقربين سوى عائلة بيرسون، وهم أبناء أختي ماري".

"وما أسماؤهم؟".

"جيمس، وسيلفيا، وبرايان".

"وماذا عن جيمس؟".

"هو الابن الأكبر، ويعمل في مكتب للتأمينات".

"كم عمره؟".

"ثمانية وعشرون عامًا".

"هل هو متزوج؟".

"لا، ولكنه خاطب، وخطيبته لطيفة للغاية بحسب ظني؛ فأنا لم ألتقِ بها بعد".

"وما عنوانه؟".

"21 شارع كروميل".

دوّن المفتش هذا العنوان في دفتره، ثم قال:

"هلا أكملت يا سيدة جاردنر!".

"أما عن سيلفيا فهي متزوجة من مارتن ديرينج... لعلك قرأت كتبه. إنه مؤلف ناجح إلى حد ما".

"شكرًا لك، وماذا عن عنوانهما؟".

"منزل نوك، طريق سوري، مدينة ويمبلدون".

"حسنًا؟".

"والابن الأصغر هو برايان... ولكنه يعيش في أستراليا. وأخشى أني لا أعرف عنوانه، ولكن أخاه وأخته يعلمانه".

"شكرًا لك يا سيدة جاردنر. وكمسألة شكلية وحسب، هل تمانعين إن سألتك كيف قضيت مساء أمس؟".

بدت مذهولة، ثم قالت:

"دعني أتذكر. لقد قمت بالتسوق... إممم... ثم ذهبت إلى السينما. وعدت إلى المنزل في الساعة السادسة تقريبًا، واستلقيت على فراشي حتى وقت العشاء؛ فقد تسببت لي السينما في صداع".

"شكرًا لك يا سيدة جاردنر".

"هل من شيء آخر؟".

"كلا، لا أظن أن لديّ شيئًا آخر أريد سؤالك عنه. سوف أذهب الآن لزيارة ابني أختك. ولا أعلم إذا ما كان السيد كيركوود أخبركما بالحقيقة بعد أم لا، ولكنك أنت وأبناء أختك الثلاثة الورثة المشتركون في تركة الكابتن تريفيليان".

احمر وجهها ببطء وشدة، ثم قالت بهدوء:

"سيكون هذا رائعًا؛ فقد كانت حياتنا صعبة للغاية... صعبة على نحو فظيع جدًا... ودائمًا ما كنا نقتر، وندخر، ونتمنى".

وفزعت عندما انطلق من الطابق العلوي صوت رجل يحمل نبرة الشكوى، ويقول:

"جينيفر، جينيفر، أريدك".

فقالت: "أرجو المعذرة".

وعندما فتحت الباب، انطلق الصوت مرة أخرى، بدرجة أعلى وآمرًا بحدة أكبر، وقال:

"جينيفر، أين أنت؟ أريدك يا جينيفر".

تبعها المفتش إلى الباب، ثم وقف في الصالة وتابعها بنظره وهي تصعد السلم ركضًا، وتقول:

"أنا قادمة يا عزيزي".

تنحّت الممرضة التي كانت تنزل من السلم جانبًا لتتيح لها الصعود، ثم قالت:

"اذهبي إلى السيد جاردنر أرجوك؛ فهو غاية في الانفعال، وأنت دائمًا ما تنجحين في تهدئته".

تعمد المفتش الوقوف في طريق الممرضة عندما وصلت إلى أسفل السلم، وقال لها:

"هل يمكنني التحدث إليك لدقيقة؟ فقد قُطِعَ حديثي مع السيدة جاردنر".

دخلت الممرضة برشاقة حجرة الاستقبال، وقالت وهي تضبط كمها المكوي جيدًا:

"لقد أزعج خبر القتل مريضي، فتلك الفتاة الحمقاء بياتريس أتت مسرعة وأخبرته بكل شيء".

قال المفتش: "أنا آسف. أخشى أن يكون ذلك خطئي".

قالت الممرضة بلطف: "أوه، لم يكن أحد يتوقع منك أن تعرف خصالها بالطبع".

وسألها المفتش: "هل لدى السيد جاردنر مرض خطير؟".

قالت الممرضة: "إن حالته محزنة. وإن جاز التعبير، لا يعاني السيد جاردنر أي مرض عضوي. ولكنه فقد القدرة على استخدام أعضائه بالكامل نتيجة تعرضه لصدمة عصبية. ولا يوجد لديه أي عجز عضوي ظاهر".

قال المفتش: "ألم يتعرض لأي ضغط أو صدمة زائدة مساء أمس؟".

بدت الممرضة مندهشة إلى حد ما، وقالت: "لم أرَ أي شيء من هذا".

"هل كنت معه طوال المساء؟".

"كنت أنوي ذلك، ولكن حسنًا... في الحقيقة، كان الكابتن حريصًا للغاية على أن أبدل له كتابين من المكتبة. وقد نسي أن يطلب ذلك من زوجته قبل خروجها؛ ولهذا، ولكي أرضيه، ذهبت أنا لتبديلهما، وطلب مني في الوقت ذاته أن أشتري شيئًا أو شيئين صغيرين له... وهما هديتان لزوجته في الحقيقة. وكان لطيفًا للغاية فيما يتعلق بهذا الأمر، وطلب مني تناول الشاي في مقهى بوتس على حسابه؛ فقد قال إن الممرضات لا يحببن أن يفوتن تناول الشاي. وهذه مزحة منه كما تعلم. ولم أخرج إلا بعد الساعة الرابعة، ونظرًا لأن المحلات تكون مكتظة بالزبائن في ذلك الوقت، لم أعد إلا بعد الساعة السادسة، ولكن ذلك الرجل المسكين كان مرتاحًا تمامًا. وفي الحقيقة، قال لي إنه ظل نائمًا أكثر الوقت".

"وهل عادت السيدة جاردنر حينها؟".

"نعم، أظنها كانت مستلقية على فراشها".

"إنها مخلصة جدً لزوجها، أليس كذلك؟".

"إنها تحبه حبًا جمًا. وأنا واثقة بأن تلك المرأة على استعداد لفعل أي شيء في العالم من أجله. وهذه حالة مؤثرة تمامًا، وهي تختلف كثيرًا عن بعض الحالات التي شهدتها. يا للعجب؛ ففي الشهر الماضي وحسب...".

ولكن المفتش ناراكوت قاطع نشرها فضائح الشهر الماضي بمهارة رائعة، فنظر في ساعته وصاح في دهشة:

"يا إلهي، سيفوتني القطار. المحطة ليست بعيدة من هنا، أليس كذلك؟".

"تبعد محطة سانت ديفيد مسيرة ثلاث دقائق فقط، إذا كانت هي المحطة التي تريدها، أم أنك تقصد محطة شارع كوين؟".

قال المفتش: "يجب أن أسرع. أبلغي السيدة جاردنر أسفي لعدم تمكني من رؤيتها وتوديعها. وقد سررت للغاية بهذه المحادثة القصيرة معك أيتها الممرضة".

شعرت الممرضة بقدر ضئيل من الحنق، ولكنها قالت في نفسها عند غلق باب المنزل بعد مغادرة المفتش:

"إنه رجل وسيم جدًا، بل غاية في الوسامة، ولديه أسلوب تعاطفي لطيف".

وبتنهيدة خفيفة، صعدت إلى مريضها.

الفصل 10

عائلة بيرسون

كانت الخطوة التالية للمفتش ناراكوت هي تقديم تقرير عن القضية لرئيسه الأعلى ماكسويل. واستمع ماكسويل باهتمام إلى شرح المفتش، ثم قال بعد تفكير:

"سوف تكون هذه القضية كبيرة، وستتصدر عناوين الصحف".

"أنا أتفق معك يا سيدي".

"يجب علينا توخي الحرص؛ فنحن لا نريد ارتكاب أي خطأ. ولكني أظنك على المسار الصحيح. ويجب أن تلتقي بجيمس بيرسون هذا في أسرع وقت ممكن... وأن تتبين أين كان مساء أمس. وبيرسون اسم شائع كما تقول، ولكن يوجد تطابق في الاسم الأول أيضاً. وبالطبع، توقيعه في سجل الفندق باسمه صراحة هكذا يبين أنه لم يكن لديه أي سابق إصرار؛ إذ يصعب أن يكون أحمق إلى هذا الحد. ويبدو لي الأمر كأنه شجار أدى إلى ضربة مفاجئة. وإذا كان هو الشخص الموقع في سجل الفندق، فلا بد أنه سمع بوفاة خاله في تلك الليلة. وإن كان الأمر كذلك، فلماذا غادر خلسة في قطار الساعة السادسة صباحاً من دون إبلاغ أي أحد؟ لا، هذا يبدو سيئاً. هذا إذا افترضنا أن الأمر برمته لم يكن من قبيل المصادفة. يجب أن تستوضح هذه النقطة في أسرع وقت ممكن".

"هذا ما فكرت فيه يا سيدي. ومن الأفضل أن أستقل قطار الساعة الثانية إلا الربع المتجه إلى المدينة. وأنا أريد أن أتحدث في وقت ما مع السيدة ويليت التي استأجرت منزل الكابتن تريفيليان؛ ففي أمرها شيء مريب. ولكن لا يمكنني الذهاب إلى سيتافورد في الوقت الحالي؛ فالطرق كلها مسدودة بالثلوج. وعلى أية حال، لا يمكن أن تكون لها أية صلة مباشرة بالجريمة؛ فقد كانت هي وابنتها تمارسان لعبة تحضير الأرواح في وقت ارتكاب الجريمة. وبالمناسبة، حدث أمر غريب للغاية...".

وسرد له المفتش القصة التي أخبره بها الميجور برنابي، فقال الرئيس:

"هذا هراء. أتعتقد أن ذلك العجوز كان يقول الحقيقة؟ هذه من القصص التي يختلقها المؤمنون بالأشباح وما شابهها من الأمور".

قال ناراكوت بابتسامة خفيفة: "أظنها قصة صحيحة تماماً؛ فقد واجهت الكثير من

الصعوبة في استخراج الحقيقة منه. وهو ليس من المؤمنين بها، بل هو على النقيض لذلك تمامًا، إنه جندي عجوز يراها مجرد هراء".

وأومأ رئيس المفتشين برأسه تعبيراً عن تفهمه ثم ختم كلامه قائلًا:

"حسنًا، إنه أمر غريب ولكنه لن يقودنا إلى شيء".

"إذن، سوف أستقل قطار الساعة الثانية إلا الربع المتجه إلى لندن".

فأومأ الرئيس برأسه موافقًا.

وعند وصول ناراكوت إلى مدينة لندن، ذهب مباشرة إلى
21 شارع كروميل، فقيل له إن السيد جيمس بيرسون في العمل، وسوف يعود بالتأكيد في الساعة السابعة تقريبًا.

أومأ ناراكوت برأسه دون اكتراث كما لو كانت هذه المعلومة غير مهمة بالنسبة له، ثم قال:

"سوف أتصل به لاحقًا إن استطعت. وليس الأمر ذا أهمية". ثم غادر سريعًا من دون أن يخبرهم باسمه.

وقرر عدم الذهاب إلى مكتب التأمينات، ولكنه ذهب إلى ويمبلدون بدلًا من ذلك وأجرى مقابلة مع السيدة مارتن ديرينج - الآنسة سيلفيا بيرسون سابقًا.

لم تكن هناك علامات للقِدَم في منزل نورك، ووصفه المفتش في نفسه بـ"الجديد والرخيص".

كانت السيدة ديرينج في المنزل. وقامت خادمة يبدو عليها النشاط ومرتدية ثوبًا أرجوانيًا بإدخاله في حجرة استقبال مكتظة بالأثاث. وأعطاها بطاقة التعريف الرسمية الخاصة به لتقدمها لسيدتها.

وجاءت السيدة ديرينج على الفور وفي يدها بطاقته، ثم قالت:

"أظنك أتيت للحديث عن خالي المسكين جوزيف". كانت هذه العبارة هي تحيتها له، ثم واصلت كلامها قائلة: "إنه لأمر صادم... صادم للغاية! وأنا نفسي قلقة بشدة من اللصوص. وقد ركّبت مزلاجين إضافيين خلف الباب في الأسبوع الماضي، وكذلك أقفال أمان جديدة للنوافذ".

كانت سيلفيا ديرينج في الخامسة والعشرين فقط من عمرها - بحسب ما قالته السيدة جاردنر - ولكنها بدت أكبر من الثلاثين عامًا. وبدت صغيرة الحجم، وحسنة المنظر، ونحيلة، وترتسم على وجهها تعابير القلق والإرهاق. وكان صوتها يحتوي على نبرة شكوى، وهي من أسوأ ما يمكن للصوت البشري أن يتصف به، ورغم هذا لم تتح للمفتش الحديث بل مضت في حديثها قائلة:

"إذا كان هناك أي شيء يمكنني فعله لمساعدتك، فسيسعدني ذلك بالطبع، ولكنني نادراً ما كنت أرى خالي جوزيف. وهو لم يكن لطيفاً للغاية... وأنا واثقة بأنه ما كان يستطيع أن يكون كذلك. وهو ليس بالرجل الذي يلجأ المرء إليه في الأزمات؛ فهو دائماً ما يعيب وينتقد. وليس بالرجل الذي لديه أية معرفة بالأدب. إن النجاح... النجاح الحقيقي لا يقاس دائماً بالمال أيها المفتش".

وفي النهاية، توقفت عن الكلام لبرهة وأعطت للمفتش - الذي فتحت له هذه التعليقات مجالات معينة للتخمين - دوره في الحديث، فقال:

"يبدو أنك سمعت عن المأساة سريعاً جداً يا سيدة ديرينج".

"لقد أبلغتني بها خالتي جينيفر عبر برقية".

"فهمت".

"ولكني أظنها ستنشر في صحف المساء. إنه لأمر فظيع، أليس كذلك؟".

"أظنك لم تري خالك في السنوات الأخيرة".

"لم أره إلا مرتين منذ زواجي. وفي المرة الثانية كان غاية في الوقاحة مع مارتن. وهذا بالطبع يرجع لكونه غير مثقف ألبتة... وكان متعلقاً بالرياضة. وهو كما أشرت تواً ليس لديه أي تقدير للأدب".

كان تعليق المفتش ناراكوت الخاص على الموقف هو: "لا بد أن الزوج طلب منه قرضاً فرفض". ثم قال:

"كمجرد إجراء شكلي، هل يمكنني سؤالك يا سيدة ديرينج عن تحركاتك مساء أمس؟".

"تحركاتي؟ يا لها من طريقة شديدة الغرابة للسؤال أيها المفتش! كنت ألعب الورق غالبية فترة ما بعد الظهر، وجاءت إحدى صديقاتي وأمضت المساء معي؛ لأن زوجي كان في الخارج".

"أكان في الخارج؟ أقصد بعيداً عن المنزل تماماً؟".

أوضحت له السيدة ديرينج الأمر باهتمام قائلة: "لقد خرج ليحضر عشاءً أدبياً. وقد تناول الغداء مع ناشر أمريكي ثم تناول ذلك العشاء في المساء".

"فهمت".

بدا ذلك الكلام منطقياً تماماً ولا ريب فيه، فواصل المفتش تحقيقه قائلاً:

"أظن أن أخاك الأصغر يعيش في أستراليا يا سيدة ديرينج، أليس كذلك؟".

"بلى".

"وهل لديك عنوانه؟".

"أوه، نعم، يمكنني البحث عنه إذا كنت تريده. إنه في مكان اسمه غريب للغاية... نسيته الآن. ولكنه في مكان ما في مقاطعة نيو ساوث ويلز".

"والآن يا سيدة ديرينج، ماذا عن أخيك الأكبر؟".

"جيمس؟".

"نعم، أود مقابلته".

سارعت السيدة ديرينج في تقديم العنوان له، وكان مطابقًا للعنوان الذي أعطته السيدة جاردنر إياه.

وبعد ذلك، وعندما شعر بأنه لم يعد هناك ما يقال لدى كلا الطرفين، أنهى المقابلة.

وعندما نظر إلى ساعته، أدرك أنه بمجرد عودته إلى المدينة ستكون الساعة قد قاربت السابعة، وهو الوقت الذي كان يأمل أن يكون مناسبًا لإيجاد السيد جيمس بيرسون في منزله.

فتحت له باب المنزل رقم 21 تلك المرأة السالفة الوصف التي جاوزت منتصف عمرها. وقالت له: "نعم، السيد بيرسون موجود في المنزل الآن، وهو موجود في الطابق الثاني إذا كنت تود الصعود".

وسارت أمامه، وطرقت أحد الأبواب، وقالت بصوت خفيض اعتذاري: "الرجل الذي قدم لرؤيتك هنا يا سيدي". وبعد ذلك تراجعت للخلف وسمحت للمفتش بالدخول.

كان هناك شاب يرتدي ملابس السهرة الرسمية ويقف في منتصف الغرفة. وكان حسن المظهر، بل وسيمًا حقًا إذا لم تأخذ في الحسبان فمه الذي يوحي بالضعف وعينيه اللتين توحيان بالتردد وانعدام الحزم. وكان مظهره يدل على الضعف والقلق وعدم الحصول على قسط كبير من النوم مؤخراً.

ونظر إلى المفتش بتساؤل بينما تقدم المفتش نحوه وقال:

"أنا المفتش المتحري ناراكوت".

وبهذه العبارة بدأ... ولكنه لم يستطع المواصلة؛ فبصيحة مختنقة انهار الشاب على كرسيه، ومد ذراعيه أمامه على الطاولة، ووضع رأسه بينهما وهو يتمتم ويقول:

"أوه! يا إلهي! لقد أتى ما أخشاه".

وبعد مرور دقيقة أو دقيقتين رفع رأسه وقال:

"حسنًا، لماذا لا تمضي فيما جئت من أجله يا رجل؟".

بدا المفتش ناراكوت متبلداً للغاية ومفتقراً للذكاء، وقال:

"أنا أحقق في مقتل خالك الكابتن جوزيف تريفيليان. هل لي أن أسألك يا سيدي عما إذا كان لديك شيء يمكنك قوله؟".

نهض الشاب ببطء ووقف على قدميه، وقال بصوت خفيض متوتر:

"هل جئت... لتعتقلني؟".

"كلا يا سيدي، لم آت لاعتقالك. ولو كنت هنا لأعتقلك لَتَلَوْتُ عليك التحذير المعتاد. أنا أطلب منك ببساطة أن تصف لي ما فعلته مساء أمس. وبوسعك الإجابة عن أسئلتي أو عدم الإجابة عنها بحسب ما تراه مناسباً".

فرد عليه جيمس قائلًا: "وإذا لم أجب عنها... سيكون ذلك دليل إدانة عليّ. أوه، نعم، أنا أعلم أساليبكم الصغيرة هذه. لقد اكتشفتم إذن أنني كنت هناك بالأمس، أليس كذلك؟".

"لقد وقعت باسمك في سجل الفندق يا سيد بيرسون".

"أوه، أظن أنه لا جدوى من الإنكار. لقد كنت هناك... ولمَ لا؟".

قال المفتش بهدوء: "لماذا حقّاً؟".

"لقد ذهبت إلى هناك لرؤية خالي".

"أكان ذلك وفق موعد؟".

"ماذا تعني بوفق موعد؟".

"هل كان خالك يعلم بقدومك؟".

"أنا... لا... لم يكن يعلم. لقد... لقد كان ذلك نتيجة دافع مفاجئ".

"ألم يكن له سبب؟".

"أنا... سبب؟ لا... لا، ولماذا ينبغي أن يكون هناك سبب؟ لقد... لقد أردت رؤية خالي وحسب".

"حسنًا يا سيدي. وهل رأيته؟".

ساد الصمت لفترة... لفترة طويلة جداً. وكانت تعابير التردد والحيرة مرتسمة على كل ثنية في وجه الشاب.
وشعر المفتش ناراكوت بقدر من الشفقة عليه وهو يراقبه. ألا يرى الشاب أن تردده وحيرته الواضحين لا يقلان أهمية عن الاعتراف بالحقيقة؟

وفي النهاية، أخذ جيمس بيرسون نفساً عميقًا ثم قال: "أظن... أظن أن من الأفضل

أن أقول الحقيقة وأريح نفسي. نعم... رأيته. سألت حَمّالًا في المحطة عن كيفية الذهاب إلى سيتافورد، فقال لي من المحال الذهاب إلى هناك؛ فالطرق كلها مسدودة أمام أية مركبة. وقلت له إن الأمر عاجل".

تمتم المفتش قائلًا: "عاجل؟".

"لقد... لقد كنت أرغب بشدة في رؤية خالي".

"هذا ما يبدو يا سيدي".

"واستمر الحمال في هز رأسه والقول باستحالة الوصول إلى هناك. وذكرت له اسم خالي فتهلل وجهه على الفور وأخبرني بأن خالي موجود في إكزامبتون بالفعل، وأعطاني الإرشادات الكاملة لكيفية الوصول إلى المنزل الذي استأجره".

"في أي وقت كان ذلك يا سيدي؟".

"في الساعة الواحدة تقريبًا بحسب ظني. وذهبت إلى الفندق - فندق ثري كراونز - وحجزت غرفة وتناولت بعض الطعام هناك. وبعد ذلك... خرجت لرؤية خالي".

"أكان بعد ذلك مباشرة؟".

"لا، ليس مباشرة".

"ففي أي وقت كان ذلك؟".

"حسنًا، لا يمكنني الجزم بذلك".

"أفي الساعة الثالثة والنصف؟ أم في الرابعة؟ أم في الرابعة والنصف؟".

فتلعثم أكثر من ذي قبل، وقال: "أنا... أنا... لا أظنني تأخرت إلى هذا الحد".

"قالت السيدة بيلينج صاحبة الفندق إنك خرجت في الساعة الرابعة والنصف".

"أحقًا؟ أنا... أنا أعتقد أنها مخطئة. لا يمكن أن أكون قد تأخرت إلى هذا الحد".

"ماذا حدث بعد ذلك؟".

"وجدت منزل خالي، وتحدثت إليه، ثم عدت إلى الفندق".

"كيف دخلت إلى منزل خالك؟".

"دققت الجرس ففتح لي الباب بنفسه".

"ألم يتفاجأ لرؤيتك؟".

"بلى... بلى... لقد تفاجأ".

"وكم المدة التي بقيتها معه يا سيد بيرسون؟".

"ربع ساعة... بل عشرون دقيقة. ولكن اسمع، لقد كان في أحسن حال عندما تركته. كان في أحسن حال. أقسم على ذلك".

"وكم كانت الساعة عندما تركته؟".

أخفض الشاب عينيه. ومرة أخرى، بدا التردد واضحًا في نبرته، فقال: "لا أعلم كم كانت بالضبط".

"أعتقد أنك تعرف يا سيد بيرسون".

وكان لنبرته الواثقة أثرها في نفس الشاب، فأجابه بنبرة خفيضة:

"كانت الساعة الخامسة والربع".

"لقد عدت إلى الفندق في الساعة السادسة إلا الربع. وفي الغالب، لن يستغرق الأمر منك سوى سبع دقائق أو ثمانٍ للسير من منزل خالك إليه".

"لم أعد إلى الفندق مباشرة، بل تمشيت في المدينة".

"في ذلك الطقس البارد... وسط الثلوج!".

"لم تكن الثلوج تتساقط حينها في الحقيقة، بل تساقطت بعد ذلك".

"فهمت. وما طبيعة حديثك مع خالك؟".

"أوه! لم نتحدث في أمر محدد. لقد... لقد أردت فقط أن أتحدث مع ذلك الرجل العجوز، وأن أتفقده، ومثل هذه الأمور كما تعلم".

قال المفتش ناراكوت في نفسه: "إنه لا يحسن الكذب. عجبًا، أنا نفسي أستطيع الكذب أفضل من هذا".

ثم قال بصوت عالٍ:

"حسنًا يا سيدي. والآن، هل لي أن أسألك عن سبب مغادرتك إكزامبتون من دون الكشف عن صلتك بالقتيل بعد سماعك بمقتل خالك؟".

قال الشاب بصراحة: "كنت خائفًا؛ فقد سمعت أنه قُتل في وقت مقارب لوقت مغادرتي منزله. والآن أقول لك الحقيقة، هذا الأمر كافٍ لإخافة أي أحد، أليس كذلك؟ وقد تملكني الرعب فغادرت المكان في أول قطار. أوه، يمكنني القول إنني كنت أحمق لارتكابي مثل هذا الفعل، ولكنك تعلم كيف تكون حال المرء عندما يفقد أعصابه. وقد يفقد أي أحد أعصابه في مثل تلك الظروف".

"هل هذا كل ما لديك من أقوال يا سيدي؟".

"نعم... نعم بالطبع".

"إذن، ربما ليس لديك مانع من المجيء معي لتسجيل هذه الأقوال، وبعد ذلك سَتُقْرَأُ عليك وتوقّع عليها".

"هل... هل هذا كل ما في الأمر؟".

"أعتقد يا سيد بيرسون أنه ربما يكون من الضروري احتجازك إلى ما بعد انتهاء جلسة التحقيق".

قال جيمس بيرسون: "أوه! يا إلهي. ألا يستطيع أحد مساعدتي؟".

وفي تلك اللحظة، انفتح الباب ودخلت شابة الغرفة.

كانت هذه الشابة - كما لاحظ المفتش ناراكوت على الفور، وهو شديد الملاحظة - من نوع مميز جداً من الفتيات. لم تكن فاتنة الجمال، ولكن وجهها غير العادي اللافت للنظر عندما تراه لا يمكنك نسيانه. وكانت تبدو عليها علامات الفطنة، واللباقة، والعزيمة التي لا تقهر، والجاذبية الكبيرة.

وقالت مندهشة: "أوه! يا جيمس، ماذا حدث؟".

قال الشاب: " انتهى كل شيء يا إيميلي. إنهم يعتقدون أنني قتلت خالي".

سألته إيميلي: "من الذي يعتقد هذا؟".

فأشار بأصبعه إلى زائره، وقال:

"هذا هو المفتش ناراكوت". ثم أضاف في محاولة بائسة لتعريف كل منهما بالآخر: "وهذه هي الآنسة إيميلي تريفوسيس".

قالت إيميلي تريفوسيس: "أوه!".

تفحصت المفتش ناراكوت بعينين بنيتين دقيقتين، ثم قالت:

"جيمس أحمق، ولكنه لا يقتل أحداً".

لم يقل المفتش شيئاً، فقالت إيميلي وهي تحول وجهها إلى جيمس:

"أتوقع أنك قلت أكثر العبارات طيشاً وخوفاً. ولو أنك تقرأ الصحف على نحو أفضل بعض الشيء مما تفعل عادة يا جيمس، لعرفت أنك يجب ألا تتحدث إلى رجال الشرطة إلا في وجود محامٍ بارع يجلس إلى جانبك ويعترض على كل كلمة. ماذا يجري؟ هل ستعتقله أيها المفتش ناراكوت؟".

شرح لها المفتش ناراكوت على نحو عملي وواضح ما سيفعله. وصاح الشاب:

"إيميلي، أنت لا تصدقين أنني فعلتها؟ أنت لن تصدقي هذا أبداً، أليس كذلك؟".

قالت إيميلي بلطف: "بلى يا عزيزي. بالطبع أنت لم تفعل ذلك". ثم أضافت بنبرة

هادئة لطيفة: "أنت لا تملك الجرأة لفعل ذلك".

قال جيمس بأسى: "لا أشعر بأن لديّ صديقًا واحدًا في هذا العالم".

قالت إيميلي: "بل، لديك. أنا لديك. تشجع يا جيمس، وانظر إلى الماسات المتلألئة في الأصبع الأوسط من يدي اليسرى. هنا تقف خطيبتك المخلصة. اذهب مع المفتش، ودع كل شيء لي".

نهض جيمس بيرسون، ولا تزال تعابير الذهول والحيرة مرتسمة على وجهه. وكان معطفه ملقى على أحد المقاعد، فارتداه. وأعطاه المفتش ناراكوت قبعة كانت موضوعة على مكتب قريب. وتحركا نحو الباب، وقال المفتش بتأدب:

"طاب مساؤك يا آنسة تريفوسيس".

فردت إيميلي بطريقة جميلة: "إلى اللقاء أيها المفتش".

ولو كان يعرف الآنسة إيميلي تريفوسيس جيدًا، لعرف أن هذه الكلمات الأربع تنطوي على تحدٍ.

الفصل 11

إيميلي تبدأ العمل

عقدت جلسة التحقيق في مقتل الكابتن تريفيليان في صباح يوم الاثنين. ومن حيث التشويق، كانت القضية مملة؛ لأنها أُجِّلَتْ لمدة أسبوع تقريبًا، ومن ثم خيبت آمال عدد هائل من الناس. وفي الفترة ما بين يوم السبت والاثنين، ذاعت شهرة مدينة إكزامبتون. ومعرفة أن ابن أخت القتيل محتجز لصلته بجريمة القتل جعلت القضية تتحول من مجرد فقرة في الصفحات الخلفية للصحف إلى عناوين كبرى. وفي يوم الاثنين، تهافت المراسلون الصحفيون على إكزامبتون بأعداد كبيرة. وكان لدى السيد تشارلز أنديربي سبب آخر لتهنئة نفسه على المكانة المرموقة التي حصل عليها من تلك المصادفة الحسنة الخاصة بتقديمه جائزة مسابقة كرة القدم بنفسه.

كان هذا الصحفي ينوي ملازمة الميجور برنابي كظله، وبحجة تصوير منزله كان ينوي الحصول على معلومات حصرية عن سكان سيتافورد وعلاقاتهم بالقتيل.

ولم يفت على السيد أنديربي ملاحظة أنه في وقت الغداء كانت هناك طاولة صغيرة بالقرب من الباب تجلس إليها فتاة جذابة للغاية. وتساءل أنديربي عن سبب وجودها في إكزامبتون. وكانت ترتدي ملابس جميلة محتشمة، ولم يبدُ عليها أنها من أقارب القتيل، ولا يمكن وصفها أيضًا بأنها إحدى الفضوليات المتسكعات.

وقال أنديربي في نفسه: "أتساءل إلى متى ستظل جالسة هناك؟ من المؤسف أنني ذاهب إلى سيتافورد في عصر اليوم. إنه من سوء حظي، ولكن حسنًا، أظن أنه لا يمكن للمرء نيل كل ما يريد".

ولكن بعد تناول الغداء بوقت قصير، تلقى السيد أنديربي مفاجأة سارة، فقد كان واقفًا عند باب فندق ثري كراونز يشاهد الذوبان السريع للثلوج، ويستمتع بالأشعة الباهتة لشمس الشتاء، عندما انتبه لصوت يخاطبه، وكان صوتًا عذبًا للغاية يقول:

"أرجو المعذرة... ولكن هل يمكنك أن تخبرني بما إذا كان هناك ما يستحق المشاهدة في إكزامبتون؟".

استفاق تشارلز أنديربي من المفاجأة سريعًا، وقال:

"أعتقد أن هناك قلعة، وهي ليست ذات شأن كبير، ولكنها موجودة هنا. وأرجو أن تسمحي لي بأن أدلك عليها".

قالت الفتاة: "سيكون هذا لطفًا كبيرًا منك. هذا إذا لم تكن مشغولًا...".

أنكر تشارلز أنديربي فكرة انشغاله على الفور.

وانطلقا معًا. ثم قالت الفتاة:

"أنت السيد أنديربي، أليس كذلك؟".

"بلى، كيف عرفت؟".

"لقد أشارت السيدة بيلينج إليك".

"أوه، فهمت".

"أنا أدعى إيميلي تريفوسيس. يا سيد أنديربي... أريد منك مساعدتي".

قال أنديربي: "أساعدك؟ بالتأكيد... ولكن...".

"أنا خطيبة جيمس بيرسون".

قال السيد أنديربي والفرص الصحفية تلوح أمام ناظريه: "أوه!".

"وسوف تعتقله الشرطة. أنا أعلم أنهم سيعتقلونه. وأعلم أيضًا يا سيد أنديربي أن جيمس لم يرتكب هذا الأمر، وقد جئت لأثبت ذلك، ولكن يجب أن يساعدني أحد. ولا يمكن للمرأة أن تفعل أي شيء من دون رجل؛ فالرجال يعرفون الكثير، وهم قادرون على جمع المعلومات بطرق كثيرة يستحيل على النساء اتباعها".

قال السيد أنديربي بشيء من الرضا عن الذات: "حسنًا.. أنا.. نعم، أحسب هذا صحيحًا".

قالت إيميلي: "لقد كنت أنظر إلى كل أولئك الصحفيين صباح اليوم. ويبدو على وجوه أكثرهم الغباء. وقد اخترتك أنت لأنك الصحفي الذكي بحق من بينهم".

قال السيد أنديربي بمزيد من الرضا عن ذاته: "أوه! لا أظن هذا صحيحًا".

قالت إيميلي تريفوسيس: "ما أريد عرضه عليك هو نوع من الشراكة. وأعتقد أن هناك منافع ستعود على الطرفين. وهناك أمور معينة أريد الاستقصاء عنها... واستكشافها. وهنا ستساعدني شخصيتك الصحفية. وأريد أن...".

توقفت إيميلي لبرهة؛ فما كانت تريده هو تعيين السيد أنديربي كمتحرٍّ خاص لها، وأن يذهب إلى حيث تخبره، وأن يطرح الأسئلة التي تريد طرحها، وأن يكون بصفة عامة تابعًا لا يعصي لها أمرًا. ولكنها كانت تعي ضرورة صياغة هذه المتطلبات بعبارات

تعظمه وتدفعه إلى الموافقة على الفور. وخلاصة القول إنها تريد أن تكون الرئيسة، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى أن يدار بلباقة.

قالت إيميلي: "أريد أن أشعر بقدرتي على الاعتماد عليك".

وكان لها صوت جميل عذب ساحر. وعند نطقها العبارة الأخيرة، أثير في صدر السيد أنديربي شعور بأن باستطاعة هذه الفتاة الجميلة الضعيفة أن تعتمد عليه حتى النهاية.

قال السيد أنديربي وقد أمسك بيدها وضغط عليها بحرارة: "لا بد أن الأمر فظيع بالنسبة لك".

ثم قال برد فعل صحفي: "ولكن كما تعلمين، وقتي ليس ملكًا لي بالكامل. أقصد أن عليّ الذهاب إلى المكان الذي أُرْسِلْتُ إليه، وفعل كل ما طلب مني".

قالت إيميلي: "نعم، لقد فكرت في هذا، وهنا يأتي دوري، فأنا بالتأكيد ما تسمونه "فرصة صحفية"، أليس كذلك؟
ويمكنك إجراء حوار صحفي معي في كل يوم، ويمكنك أن تجعلني أقول أي شيء تعتقد أن قراءك سيحبونه. خطيبة جيمس بيرسون... التي تؤمن ببراءته بقوة... تروي لنا ذكريات طفولته... وأنا لا أعلم شيئًا عن طفولته كما تعرف، ولكن هذا لا يهم".

وقال أنديربي: "أظنك رائعة، بل أنت رائعة حقًا".

قالت إيميلي مستفيدة بالميزة التي حصلت عليها: "وعلاوة على ذلك أنا قادرة على الاتصال بأقرباء جيمس بصورة عادية، ويمكنني اصطحابك إليهم بصفتك صديقًا لي، حيث من المحتمل تمامًا أن يوصدوا أبوابهم في وجهك إذا حاولت الاتصال بهم بطريقة أخرى".

قال أنديربي بانفعال وهو يتذكر المرات المختلفة التي أوصدت فيها الأبواب في وجهه في السابق: "أنا أعلم هذا تمام العلم".

انفتح أمامه مجال رائع. وحالفه الحظ في هذه المسألة من جميع الجوانب؛ فقد سنحت له أولًا فرصة تقديم جائزة مسابقة كرة القدم، والآن سنحت له هذه الفرصة.

قال بحماسة: "اتفقنا".

قالت إيميلي وقد تحلت بالنشاط والجدية: "جيد. والآن، ما الخطوة الأولى؟".

"سوف أذهب إلى سيتافورد في عصر هذا اليوم".

وأوضح لها الظروف السعيدة التي وضعته في ذلك الموقف المتميز مع الميجور برنابي، وقال: "لأنه من أولئك العجائز الذين يبغضون الصحفيين أشد البغض. ولكن لا أحد بوسعه أن يغلق الباب في وجه شخص سلمه توًا خمسة آلاف جنيه، أليس كذلك؟".

قالت إيميلي: "سيكون هذا غير مناسب. حسنًا، إذا كنت ذاهبًا إلى سيتافورد فسوف آتي معك".

قال السيد أنديربي: "رائع، رغم أني لا أعرف إذا ما كان هناك مكان يمكنك الإقامة فيه. وعلى حد علمي، لا يوجد هناك سوى منزل سيتافورد وبضعة منازل صغيرة غريبة يسكنها أناس مثل برنابي".

قالت إميلي: "سوف نجد مكانًا ما. أنا دائمًا أجد مكانًا ما".

كان بوسع السيد أنديربي أن يصدق هذا؛ فإيميلي تتمتع بشخصية تتغلب بنجاح على جميع الصعاب.

وصلا الآن إلى القلعة المتهدمة، ولكنهما لم يولياها أي انتباه، فجلسا على بقايا جدار تحت أشعة الشمس المزعومة، وتابعت إيميلي توضيح أفكارها، فقالت:

"أنا أنظر إلى هذا الأمر يا سيد أنديربي بطريقة غير عاطفية وجدية تمامًا. وينبغي عليك في البداية أن تصدق ما أقوله عن كون جيمس لم يرتكب جريمة القتل تلك. وأنا لا أقول هذا لمجرد أني أحبه، أو أؤمن بشخصيته الجميلة، أو أي شيء من هذا القبيل، بل لأني أعرفه. اعلم أني أعيش باستقلال جيدًا منذ أن كنت في السادسة عشرة من عمري. ولم يسبق لي التعامل مع العديد من النساء ولا أعلم الكثير عنهن، ولكني أعلم الكثير جدًا عن الرجال. وما لم تكن الفتاة قادرة على الحكم بدقة على الرجال، وتعرف من ستتعامل معه، فلن تستطيع التقدم أبدًا. ولقد تقدمت أنا. وأعمل عارضة أزياء في دار لوسي للأزياء، ويمكنني القول لك يا سيد أنديربي إن الوصول إلى هناك يعد عملًا بطوليًا".

"حسنًا، كما قلت لك، يمكنني الحكم على الرجال بدقة كبيرة. وجيمس ذو شخصية ضعيفة من أوجه عديدة. وأنا لست واثقة...". ثم أضافت بعد أن نسيت أنها تمثل دور المعجبة بالرجال الأقوياء: "وأنا لست واثقة بأن هذا لم يكن سببًا لأحبه. ما أحببني فيه هو الشعور بأن باستطاعتي تشكيله وصنع شيء منه. وهناك الكثير من الأمور الإجرامية التي يمكنني تخيل ارتكابه إياها... ولكن القتل ليس من بينها. وهو ببساطة لا يستطيع التقاط كيس من الرمال وضرب رجل عجوز به على مؤخرة عنقه. كان سيقوم برمية خرقاء ويصيبه في موضع آخر لو أراد ذلك. إنه... مخلوق رقيق يا سيد أنديربي، بل إنه لا يحب قتل الدبابير. ودائمًا ما كان يحاول إخراجها من النافذة من دون أن يؤذيها، وعادة ما كانت تلدغه. ورغم هذا، ليس من الجيد استمراري في مثل هذا الكلام. وعليك أن تصدق كلامي وتبدأ بافتراض أن جيمس بريء".

سألها تشارلز أنديربي بأفضل أسلوب صحفي لديه: "هل تعتقدين أن هناك من يحاول إلصاق التهمة به؟".

"لا أعتقد هذا. ولم يكن أحد يعلم بقدوم جيمس لزيارة خاله. وبالطبع، لا يمكن

للمرء الجزم به، ولكني أرجع هذا إلى المصادفة وسوء الحظ فقط. وما ينبغي لنا البحث عنه هو وجود شخص آخر لديه دافع لقتل الكابتن تريفيليان. والشرطة واثقة تمامًا بأنه لا يمكن أن يكون ما يسمونه "عملًا خارجيًا"... أعني أنها لم تكن بهدف السرقة. وكان وجود النافذة المفتوحة عن طريق الكسر أمرًا مخادعًا".

"هل أخبرتك الشرطة بكل هذا؟".

"عمليًا".

"ماذا تقصدين بكلمة عمليًا؟".

"أخبرتني خادمة الفندق بذلك، وأختها متزوجة من الشرطي جريفز، ومن ثم فهي تعرف بالطبع كل ما يدور في عقول رجال الشرطة".

قال السيد أنديربي: "حسنًا، لم يكن الأمر عملًا خارجيًا إذن، بل كان عملًا داخليًا".

قالت إيميلي: "بالضبط، فالشرطة المتمثلة في المفتش ناراكوت - وهو بالمناسبة رجل أحسبه عاقلًا للغاية - بدأت في التحري لمعرفة المستفيدين من وفاة الكابتن تريفيليان. ونظرًا لأنه يبدو لها في أوضح صورة أن جيمس هو القاتل، فلن تكبد نفسها عناء مواصلة التحريات عن مشتبهين آخرين. حسنًا، هذه ستكون مهمتنا".

قال السيد أنديربي: "يا له من سبق صحفي إذا استطعنا أنا وأنت اكتشاف القاتل الحقيقي! خبير الجرائم في صحيفة ديلي واير... هكذا سأوصف". ثم أضاف بإحباط: " ولكن هذا أبعد من أن يتحقق. وهذا الأمر لا يحدث إلا في الروايات".

قالت إيميلي: "هذا هراء؛ لقد حدث مثل هذا الأمر معي".

قال أنديربي مرة أخرى: "أنت رائعة".

وأخرجت إيميلي دفتر ملاحظات صغيرًا، ثم قالت:

"والآن، فلندون كل شيء بطريقة منهجية. المستفيدون من وفاة الكابتن تريفيليان هم جيمس نفسه، وأخوه، وأخته، وخالته جينيفر. وبالطبع، لا يمكن لسيلفيا - أخت جيمس - أن تؤذي ذبابة، ولكني لا أستبعد ذلك من زوجها؛ فهو من النوع الذي أسميه الهمجي القذر. أنت تعلم ذلك النوع القذر الذي يقيم علاقات مع النساء... ويفعل كل تلك الأمور. من المحتمل جدًا أن يكون في مأزق مالي... وسوف يئول المال إلى سيلفيا في الحقيقة، ولكن هذا لا يهمه؛ فهو سرعان ما سينجح في انتزاعه منها".

قال السيد أنديربي: "يبدو أنه شخص غير محبوب تمامًا".

"أوه! نعم. هو وسيم ولديه أسلوب جريء. وتتحدث النساء عن علاقاتها به سرًا، أما الرجال الحقيقيون فيكرهونه".

قال السيد أنديربي وهو يدون أيضًا في دفتره الصغير: "حسنًا، هذا هو المشتبه به رقم1. والتحري عن تحركاته في يوم الجمعة سيتم بسهولة تحت قناع إجراء حوار صحفي مع روائي شهير له علاقة بالجريمة. هل هذا مناسب؟".

"رائع. وهناك أيضًا برايان، وهو أخو جيمس الأصغر. ومن المفترض أنه في أستراليا، ولكن من المحتمل تمامًا أن يكون قد عاد. وأعني أن الناس أحيانًا يفعلون أشياء من دون أن يخبروا بها أحدًا".

"يمكننا أن نرسل إليه برقية".

"سنفعل. ومن المفترض أن تكون الخالة جينيفر بعيدة عن دائرة الشك؛ فمن خلال كل ما سمعته عنها أحسبها امرأة رائعة للغاية، ولديها شخصية مميزة. ولكنها رغم هذا لم تكن بعيدة جدًا؛ فهي تعيش في إكسيتر. وربما ذهبت لزيارة أخيها، ولعله قال كلامًا بغيضًا عن زوجها الذي تعشقه، فاشتد غضبها وانتزعت كيس الرمال وضربته به".

قال السيد أنديربي متشككًا: "هل تظنين هذا حقًا؟".

"لا، لا أظن ذلك حقًا. ولكن المرء لا يدري. وهناك بالطبع ذلك الخادم. وهو لن يحصل إلا على مائة جنيه في الوصية، وليس هناك ما يريب بشأنه، ولكن المرء لا يدري أيضًا. وزوجته هي ابنة أخت السيدة بيلينج. وأنت تعرف السيدة بيلينج مالكة فندق ثري كراونز. وأعتقد أن باستطاعتي البكاء على كتفها عندما أعود؛ فهي تبدو طيبة وحنونًا للغاية. وأعتقد أنها ستحزن بشدة لما لحق بي ولكون خطيبي سيزج به داخل السجن، وربما تقع منها كلمة مفيدة. ولدينا بالطبع منزل سيتافورد. أتعرف ماذا يبدو لي غريبًا؟".

"كلا، ماذا؟".

"تلك المرأتان اللتان استأجرتا منزل الكابتن تريفيليان مفروشًا في منتصف الشتاء. إن هذا لفعل شديد الغرابة".

"نعم، إنه أمر غريب. لا بد أن هناك سرًا ما وراء ذلك... سرًا له علاقة بحياة الكابتن تريفيليان السابقة".

وأضاف قائلًا: "ومسألة تحضير الأرواح تلك غريبة أيضًا. وأنا أذكّر مراسلة الصحيفة بهذا، ومن ثم يمكن الحصول على آراء السير أوليفر لودج والسير آرثر كونان دويل وبعض الأشخاص الآخرين في هذا الشأن".

"مسألة تحضير للأرواح؟".

سرد عليها السيد أنديربي القصة بحماس. فما من شيء متصل بجريمة القتل إلا ونجح في معرفته بطريقة ما.

وأنهى القصة بقوله: "أمر غريب، أليس كذلك؟ أعني أنه يجعلك تفكرين فيه. وربما يكون في هذه الأمور شيء من الصحة. وهذه أول مرة أصادف فيها شيئًا كهذا موثقًا".

أبدت إيميلي ارتعادة قليلة ثم قالت: "أنا أكره الأمور الخارقة للطبيعة. وهي كما قلت تبدو للوهلة الأولى كما لو أن فيها شيئًا من الصحة. ولكن يا لهولها!".

"مسألة تحضير الأرواح تلك لا تبدو حقيقية أبدًا، أليس كذلك؟ فلو كانت الروح قادرة على التواصل والإخبار بوجود قتيل، فلماذا لم تستطع الإخبار عمن قتله؟ فمن المفترض أن يكون ذلك سهلًا للغاية".

قالت إيميلي وهي تمعن التفكير: "أشعر بإمكانية وجود دليل ما في سيتافورد".

"نعم، أعتقد أنه يتعين علينا التحري بدقة. وقد استأجرت سيارة وسأنطلق إلى هناك في غضون نصف ساعة. ومن الأفضل أن تأتي معي".

قالت إيميلي: "سوف آتي. وماذا عن الميجور برنابي؟".

قال أنديربي: "ذهب إلى هناك سيرًا على الأقدام. وقد بدأ السير بعد جلسة التحقيق مباشرة. وإذا سألتني عن ذلك، فسأخبرك بأنه أراد التخلص من أية صحبة في الطريق؛ فلا أحد يحب الخوض في الأوحال".

"وهل ستستطيع السيارة إيصالنا بأمان؟".

"أوه! نعم، رغم أن هذا أول يوم يمكن للسيارة فيه أن تسير على الطريق".

قالت إيميلي وقد وقفت على قدميها: "حسنًا. آن الأوان للعودة إلى فندق ثري كراونز، وسوف أحزم حقيبتي وأؤدي فصلًا تمثيليًا قصيرًا من النحيب على كتف السيدة بيلينج".

قال السيد أنديربي بطريقة سخيفة: "لا تقلقي. دعي كل شيء لي".

قالت إيميلي دون أي قدر من الصدق في كلامها: "هذا ما أنوي فعله. ومن الرائع للغاية أن يكون لدى المرء شخص يمكنه الاعتماد عليه بحق".

كانت إيميلي تريفوسيس شابة بارعة للغاية.

الفصل 12

الاعتقال

عند عودة إيميلي إلى فندق ثري كراونز، كان من حسن حظها أن صادفت السيدة بيلينج واقفة في مدخل الفندق، فقالت بانفعال:

"أوه! يا سيدة بيلينج، سوف أغادر عصر اليوم".

"حسنًا يا آنستي. هل ستغادرين في قطار الساعة الرابعة وعشر دقائق المتجه إلى إكسيتر؟".

"كلا، بل سأذهب إلى سيتافورد".

"إلى سيتافورد؟".

بدا على وجه السيدة بيلينج أكبر قدر من الفضول.

قالت إيميلي: "نعم، وأود أن أسألك عما إذا كنت تعرفين أي مكان هناك يمكنني الإقامة به".

"أتريدين الإقامة هناك؟".

وبلغ فضولها أوجه.

قالت إيميلي: "نعم، هذا صحيح... أوه! يا سيدة بيلينج، هل هناك مكان يمكنني التحدث إليك فيه بسرية لدقيقة؟".

وبقدر من الخفة قادتها السيدة بيلينج إلى مكتبها الخاص. وكان عبارة عن حجرة صغيرة مريحة ذات موقد تتأجج فيه نار عظيمة.

وبدأت إيميلي الحديث قائلة: "أنت لن تخبري أحدًا بما سأقوله لك، أليس كذلك؟". وهي تعرف أن من بين جميع العبارات الافتتاحية على وجه الأرض، تعد هذه العبارة الأكثر جدارة في إثارة الاهتمام والتعاطف.

قالت السيدة بيلينج وعيناها السوداوان تشعان اهتمامًا: "نعم بالتأكيد يا آنسة، لن أفعل".

"لعلك تعلمين أن السيد بيرسون... أنت تعرفينه...".

"أتقصدين الشاب الذي أقام هنا يوم الجمعة، والذي اعتقلته الشرطة؟".

"اعتقلته؟ أتقصدين اعتقلته حقًا؟".

"نعم يا آنسة. لم يمضِ على ذلك نصف ساعة".

امتقع وجه إيميلي وبدت شاحبة للغاية، ثم قالت:

"أنت... أأنت واثقة بهذا؟".

"أوه! نعم يا آنستي. علمت ابنتنا آمي ذلك من الرقيب".

قالت إيميلي: "هذا فظيع للغاية!". وكانت تتوقع ذلك، ولكن هذا لم يخفف عنها المصيبة. ثم واصلت كلامها قائلة: "اعلمي يا سيدة بيلينج أنني... أنني خطيبته. وهو لم يرتكب هذا الجرم، آه يا عزيزي، يا له من أمر رهيب للغاية!".

وهنا شرعت إيميلي في البكاء. وقد أعلنت أمام تشارلز أنديربي في وقت سابق من اليوم نيتها فعل هذا، ولكن ما فاجأها هو مدى سهولة انهمار الدموع من عينيها؛ فبكاء المرء بإرادته ليس بالأمر اليسير. وكان هناك قدر كبير جدًا من الحقيقة في هذه الدموع، وقد أرعبها هذا؛ إذ يجب عليها ألا تنهار، فالانهيار في البكاء لن يفيد جيمس، بل يجب أن تكون حازمة، ومنطقية، وواضحة التفكير؛ فهذه هي الصفات التي تجدي في هذه اللعبة. أما البكاء غزير الدموع فلم يفد أي أحد من قبل.

ولكنه كان مصدر ارتياح لها أيضًا، وذلك بأن أرخت لنفسها العنان. ورغم كل شيء، لقد كانت تنوي البكاء؛ فالبكاء جواز سفر لا يرد للوصول إلى تعاطف السيدة بيلينج ومساعدتها. فلماذا إذن لا تبكي بكاء جيدًا إذا لم يكن منه بد؟ فلتبك بكاء حارًا تنفث من خلاله جميع متاعبها، وشكوكها، ومخاوفها المجهولة وتزيلها عنها.

قالت السيدة بيلينج: "هوني عليك، هوني عليك يا عزيزتي، لا تأخذك المسألة إلى هذا الحد".

وضعت ذراعيها الحنونتين حول كتفي إيميلي، وربتت ظهرها مواسية إياها ثم قالت:

"لقد قلت منذ البداية إنه لم يفعلها؛ فهو شاب لطيف. ورجال الشرطة مجموعة من الحمقى، وقلت هذا من قبل. ومن الأرجح أن يكون من فعلها هو أحد المشردين اللصوص. والآن، لا تقلقي يا عزيزتي، سوف تسير الأمور كلها على خير ما يكون، وسترين ذلك".

بكت إيميلي قائلة: "إنني أحبه حبًا جمًا".

"عزيزي جيمس، يا لعزيزي جيمس الطيب، غير الناضج، العاجز، المثالي! يكاد المرء يجزم أنه دائمًا ما يأتي التصرفات الخطأ في الأوقات الخطأ. وهل لديه فرصة ممكنة للنجاة ضد ذلك المفتش ناراكوت الحازم العنيد؟".

قالت باكية: "يجب أن ننقذه".

قالت السيدة بيلينج مواسية إياها: "بالطبع سنفعل، بالطبع سننقذه".

مسحت إيميلي الدموع عن عينيها بحيوية، وأخذت شهقة أخيرة وابتلعت ريقها، ثم رفعت رأسها وسألت بمرارة:

"أين يمكنني الإقامة في سيتافورد؟".

"ستذهبين إلى سيتافورد؟ أما زلت مصرة على الذهاب إلى هناك يا عزيزتي؟".

أومأت إيميلي برأسها بقوة وقالت: "أنا مصرة على الذهاب بالفعل".

فكرت السيدة بيلينج في الأمر ثم قالت: "حسنًا الآن، هناك مكان واحد يمكنك الإقامة فيه. ولا توجد الكثير من الأماكن في سيتافورد؛ فهناك المنزل الكبير - منزل سيتافورد - الذي بناه الكابتن تريفيليان واستأجرته السيدة القادمة من جنوب إفريقيا. وهناك ستة منازل صغيرة، والمنزل رقم 5 يعيش فيه كورتيس، الذي كان يعمل بستانيًا في منزل سيتافورد، مع زوجته، وهي تؤجر بعض الغرف للآخرين في فصل الصيف. وقد سمح لها الكابتن بهذا. ولا يوجد مكان آخر يمكنك الإقامة فيه، وهذه حقيقة؛ فهناك محل الحداد ومكتب البريد، ولكن ماري هيبرت تعيش مع أبنائها الستة وزوجة أخيها في هذا المبنى. وزوجة الحداد تتوقع مولد طفلها الثامن، لذا لن يكون هناك حيز متاح في منزلها. ولكن كيف ستذهبين إلى سيتافورد يا آنسة؟ هل استأجرت سيارة؟".

"سوف أشارك السيد أنديربي سيارته".

"وأين سيقيم هو يا ترى؟".

"أظنه سيقيم في منزل السيدة كورتيس أيضًا. هل سيكون لديها غرفة لكلينا؟".

قالت السيدة بيلينج: "لا أدري ما إذا كان هذا سيبدو تصرفًا صحيحًا بالنسبة لشابة مثلك".

قالت إيميلي: "إنه ابن خالي".

شعرت إيميلي بأنه لا بد أن نزعة الاحتشام تدخلت وعملت ضدها في عقل السيدة بيلينج.

انفرج حاجبا السيدة بيلينج عند سماعها ذلك وقالت: "حسنًا، لا بأس إن كان الأمر

كذلك. ومن المحتمل إذا لم تشعرا بالارتياح في منزل السيدة كورتيس أن تتم استضافتكما في المنزل الكبير".

قالت إيميلي وهي تمسح عينيها مرة أخرى: "أنا آسفة، لقد كنت حمقاء".

"هذا تصرف طبيعي يا عزيزتي. وقد شعرت بتحسن بعد البكاء؟".

قالت إيميلي بصدق: "أجل، أشعر بتحسن كبير".

"البكاء وكوب الشاي الجيد لا يعدلهما شيء، وينبغي عليك الحصول على كوب جيد من الشاي الآن يا عزيزتي، قبل أن تبدئي رحلتك الباردة هذه".

"أوه، شكراً لك، ولكن لا أعتقد أنني أريد حقًا...".

قالت السيدة بيلينج وقد نهضت بإصرار وتوجهت نحو الباب: "لا يهم ماذا تريدين، بل ما يهم هو ما ستحصلين عليه. وأبلغي أميليا كورتيس نيابة عني أن تعتني بك، وأن توفر لك طعامًا جيدًا، وألا تتركك للحزن".

قالت إيميلي: "أنت لطيفة حقًا".

قالت السيدة بيلينج وهي تلعب دورها باستمتاع في هذه المغامرة الرومانسية: "وفوق هذا سوف أبقي عينيّ وأذنيّ مفتوحة هنا؛ فهناك الكثير من الأشياء الصغيرة التي أسمعها ولا تصل إلى الشرطة. وأي شيء أسمعه سوف أبلغك به يا آنستي".

"هل ستفعلين هذا حقًا؟".

"نعم، ولا تقلقي يا عزيزتي، سوف نخرج فتاك من مأزقه في أسرع وقت ممكن".

قالت إيميلي وهي تنهض: "يجب أن أذهب وأعد حقيبتي".

قالت السيدة بيلينج: "سوف أرسل الشاي إليك". صعدت إيميلي إلى غرفتها، وحزمت أمتعتها القليلة ووضعتها في حقيبتها، وغسلت عينيها بالماء البارد، ووضعت كمية وافرة من مساحيق التجميل.

وتحدثت إلى نفسها في المرآة قائلة: "لقد اندمجت في التمثيل حتى جعلت منظرك مزريًا". وأضافت المزيد من مساحيق التجميل إلى وجهها ومسحة من أحمر الشفاه.

قالت إيميلي: "غريب، كم أشعر بتحسن! لقد استحق الأمر انتفاخ مقلتيّ".

ودقت الجرس، فحضرت خادمة الغرف (وهي الأخت المتعاطفة لزوجة الشرطي جريفز) على عجل، فأعطتها إيميلي جنيهًا ورقيًا وتوسلت إليها بشدة أن تبلغها بأية معلومة تحصل عليها بطرق غير مباشرة من الشرطة، فوعدتها الفتاة بذلك وقالت:

"هل ستقيمين عند السيدة كورتيس في سيتافورد؟ سوف أفعل بالتأكيد يا آنسة. سوف أبذل كل ما بوسعي. ونحن جميعًا نشعر بالتعاطف معك يا آنستي، ولا أستطيع

وصف مشاعرنا. ودائمًا ما أقول لنفسي "كم من الرائع لو أنكما أنت وفريد...". عفواً لقد اختلطت عليّ الأسماء. حسنًا، سوف أبلغك بأدق شيء أسمعه يا آنستي".

قالت إيميلي: "أنت إنسانة نقية حقًا".

"هذه القصة مشابهة تمامًا لتلك القصة التي اشتريتها بستة بنسات من مكتبة ولورث بالأمس، واسمها جرائم زهور الليلك. هل تعلمين ما دلهم على القاتل الحقيقي يا آنسة؟ مجرد قطعة صغيرة من الشمع الأحمر العادي المستخدم للأختام. إن رجلك وسيم يا آنسة، أليس كذلك؟ على عكس صورته المنشورة في الصحف تمامًا. وأنا واثقة بأني سأبذل كل ما بوسعي يا آنسة من أجلك ومن أجله".

وهكذا، وبعد أن أصبحت إيميلي مركزًا للاهتمام الرومانسي، غادرت فندق ثري كراونز بعد احتساء كوب الشاي الذي وصفته لها السيدة بيلينج.

قالت لأنديربي عندما انطلقت بهما السيارة الفورد القديمة: "بالمناسبة، أنت ابن خالي، لا تنسَ هذا".

"لماذا؟".

"لا تزال هناك نفوس طاهرة في الريف. وأعتقد أن هذا سيكون أفضل".

قال السيد أنديربي مغتنمًا الفرصة: "حسنًا، في هذه الحالة من الأفضل أن أدعوك إيميلي".

"لا بأس يا ابن الخال... ما اسمك أنت؟".

"تشارلز".

"لا بأس يا تشارلز".

وانطلقت السيارة على الطريق المؤدي إلى سيتافورد.

الفصل 13

سيتافورد

كانت إيميلي منبهرة للغاية برؤية سيتافورد للمرة الأولى. وبعد انعطافهما عن الطريق الرئيسي على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً من إكزامبتون، صعدا طريقاً وعرة إلى أن وصلا إلى قرية تقع على حافة سهل. وهي تتكون من دكان حدادة، ومكتب بريد ومحل حلوى مشتركين في مبنى واحد. ومن هناك اتبعا طريقاً ووصلا إلى صف من المنازل الصغيرة المبنية حديثًا من حجر الجرانيت. وعند المنزل الثاني منها، توقفت السيارة، وأبلغهما السائق بأن هذا هو منزل السيدة كورتيس.

كانت السيدة كورتيس امرأة صغيرة الحجم، ونحيفة، ورمادية الشعر، ونشيطة، ونزاعة للمشاكسة. وكانت شديدة التشوق لمعرفة أخبار الجريمة التي لم تصل إلى سيتافورد إلا في صباح ذلك اليوم.

قالت لهما: "نعم، بالطبع يمكنني استضافتكما يا آنسة أنت وابن خالك أيضًا، وأرجو أن ينتظر حتى أنقل بعض الأغراض. أظنكما لن تمانعا تناول وجباتكما معنا، أليس كذلك؟ حسنًا،
من يصدق حدوث هذا؟! الكابتن تريفيليان يُقْتَلُ ويجري التحقيق في مقتله وكل هذه الأمور! لقد كنا معزولين عن العالم منذ صباح يوم الجمعة، وفي صباح هذا اليوم وصل الخبر فصدمت أشد الصدمة. وقلت لـ كورتيس: "لقد قُتل الكابتن، وهذا يبين لك مدى الشر الموجود في العالم هذه الأيام". ولكن ما بالي أواصل الحديث إليكما هنا يا آنسة، تفضلا بالدخول أنت والسيد. لقد وضعت الغلاية على الموقد وسوف تحصلان على كوبين من الشاي على الفور؛ فلا بد أنكما عانيتما شدة البرد خلال رحلتكما، رغم أن اليوم بالطبع أكثر دفئًا مما قبل. لقد بلغ سمك الجليد هنا مترين ونصفًا إلى ثلاثة أمتار".

وفي خضم هذا البحر من الكلام، عاين تشارلز وإيميلي غرفتيهما الجديدتين. وحصلت إيميلي على غرفة مربعة صغيرة، ونظيفة تماماً، وتطل على المنحدر المؤدي إلى منارة سيتافورد. وكانت غرفة تشارلز صغيرة ضيقة تطل على مقدمة المنزل والطريق، وتحتوي على فراش وخزانة صغيرة للغاية ذات أدراج، وحوض لغسيل الوجه.

وبعد أن وضع السائق حقيبة تشارلز على الفراش وأعطاه أجره وشكره، أبدى تشارلز ملاحظة قائلًا: "أعظم شيء هو أننا هنا. وأتحدى أننا سنعرف كل شيء يمكن معرفته عن كل من يعيشون في سيتافورد خلال ربع الساعة التالي، وإلا فأنا على استعداد لأن آكل قبعتي".

وبعد مضي عشر دقائق، جلسا في الأسفل في المطبخ المريح، وتعرفا إلى السيد كورتيس، وهو رجل عجوز أشيب الشعر وتبدو عليه الفظاظة، وقدّم لهما شاي، وخبز، وزبد، وقشدة ديفونشاير، وبيض مسلوق. وفي أثناء تناولهما الطعام والشراب كانا يستمعان. وفي غضون نصف ساعة عرفا كل ما يمكن معرفته عن سكان هذا المجتمع الصغير.

في البداية، عرفا عن الآنسة بيرسهاوس التي تعيش في المنزل رقم 4، وهي عانس لا يعرف عمرها أو طبيعتها المزاجية، والتي قدمت منذ ستة أعوام لتموت هنا، وفقًا لكلام السيدة كورتيس. وقالت:

"ولكن لك أن تصدقي أو لا يا آنسة، هواء سيتافورد صحي جدًا لدرجة أنها تحسنت منذ أول يوم أتت فيه. إنه لهواء نقي مفيد للرئتين على نحو رائع".

وواصلت حديثها قائلة: "وللآنسة بيرسهاوس ابن أخت يأتي لزيارتها بانتظام، وهو في الواقع يمكث معها في الوقت الحالي. وهو يحرسها حتى لا تذهب أموالها إلى خارج العائلة، هذا ما يفعله في الحقيقة. والوضع هنا ممل للغاية بالنسبة لشاب في مثل هذا الوقت من العام، ولكن هناك الكثير من الطرق التي يمكن للمرء تسلية نفسه بها، وكان قدومه نعمة على الشابة المقيمة في منزل سيتافورد. ويا لها من شابة مسكينة! أحضرت إلى هذه القلعة العظيمة في فصل الشتاء. ويا للأنانية التي تتصف بها بعض الأمهات! وهي شابة جميلة للغاية أيضًا. ويتردد السيد رونالد جارفيلد عليها قدر الإمكان من دون أن يهمل الآنسة بيرسهاوس".

تبادل تشارلز أنديربي وإيميلي النظرات. وتذكر تشارلز أن رونالد جارفيلد هذا ذُكِر من بين من شاركوا في لعبة تحضير الأرواح.

استكملت السيدة كورتيس كلامها قائلة: "والمنزل رقم 6 المجاور لنا تم بيعه مؤخرًا، واشتراه أحد السادة ويدعى دوك، هذا إذا وددت أن تدعوه سيدًا؛ فهو بالطبع قد يكون كذلك وقد لا يكون. ولا يمكن الجزم بهذا؛ فالناس في هذه الأيام لم يعودوا مميزين جدًا مثلما كانوا في السابق. وقد ألِف المكان في أسرع وقت ممكن. وهو خجول إلى حد ما... ومن هيئته، ربما يكون عسكريًا، ولكن سلوكياته لا تشير إلى ذلك. وهو ليس كالميجور برنابي الذي بوسعك أن تعرف أنه رجل عسكري بمجرد النظر إليه".

"والمنزل رقم 3 هو منزل السيد ريكروفت، وهو رجل كبير السن بعض الشيء.

ويقال إنه كان معتاداً مراقبة الطيور حتى أماكن نائية لصالح المتحف البريطاني. ويطلقون عليه عالم طبيعة. وهو دائماً ما يخرج ويتجول في السهول عندما يسمح الطقس بذلك. ولديه مكتبة رائعة، ويكاد منزله الصغير يكتظ بخزانات الكتب".

"والمنزل رقم 2 يعود لرجل عاجز يدعى الكابتن وايت يعيش مع خادمه الهندي. ويا له من رجل مسكين؛ فهو لا يحتمل البرد الشديد - أنا أعني الخادم، لا الكابتن. ولا عجب في ذلك فقد جاء من بلاد دافئة. وحرارة المنزل التي يحافظون عليها تخيفك، والمشي فيه أشبه بالمشي في فرن".

"والمنزل رقم 1 هو منزل الميجور برنابي. وهو يعيش وحده، وأنا أذهب إليه لخدمته في الصباح الباكر من كل يوم. وهو رجل منظم للغاية ومميز جداً. وكان هو والكابتن تريفيليان صديقين حميمين، وصداقتهما دامت طوال الحياة.
ولدى كليهما الأنواع ذاتها من رءوس الحيوانات الغريبة المعلقة على الجدران".

"أما بالنسبة للسيدة ويليت وابنتها، فهذا ما لا يستطيع أحد فهمه. فلديهما الكثير من الأموال، وتتعاملان مع محل آموس باركر في إكزامبتون، وقد أخبرني أن حسابهما الأسبوعي يتجاوز الثمانية جنيهات أو التسعة. ولا يمكنك أن تصدق كم عدد الأشخاص الذين يترددون على ذلك المنزل! وقد أحضرتا خادماتهما من إكسيتر معهما، ولكنهن لم يحببن هذا ورغبن في المغادرة، وأنا لا ألومهن على هذا. وتقوم السيدة ويليت بإرسالهن إلى إكسيتر مرتين أسبوعياً في سيارتها، وبسبب هذا وبسبب العيشة المرفهة أيضاً وافقن على البقاء، ولكن لو سألتني عن رأيي فسأخبرك بأن هذه مسألة غريبة، أي أن تدفن نفسك في الريف هكذا، وأن تفعل هذا سيدة ذكية مثلها. حسناً، حسناً، أظن أن من الأفضل أن أنظف لوازم تناول الشاي هذه".

وأخذت نفساً عميقاً، وكذلك فعل تشارلز وإيميلي.

وكان فيض المعلومات ينساب بسهولة كبيرة لدرجة أنهما غرقا فيه.

وغامر تشارلز بطرح سؤال عليها، فقال:

"هل عاد الميجور برنابي؟".

صمتت السيدة كورتيس على الفور، وكانت تحمل الصينية في يدها، ثم قالت: "نعم، بالتأكيد يا سيدي، جاء سيراً على الأقدام كعادته قبل وصولكما بنصف ساعة تقريباً. وقد صحت به قائلة: "عجباً يا سيدي، من المحال أن تكون قطعت الطريق كلها من إكزامبتون إلى هنا سيراً على الأقدام، أليس كذلك؟". فقال بأسلوبه الصارم: "ولم لا؟ ما دامت للمرء ساقان فما حاجته إلى أربع عجلات. وأنا أفعل هذا مرة واحدة أسبوعياً على أية حال كما تعلمين يا سيدة كورتيس".

فقلت "أوه، نعم يا سيدي، ولكن الوضع مختلف؛ ففي ظل الصدمة وجريمة القتل والتحقيق من الرائع أن تتوافر لديك القوة لفعل هذا". ولكنه ابتسم وحسب، ثم دخل

منزله. ورغم هذا، كان يبدو بحالة سيئة. وإنها لمعجزة أن يستطيع الوصول إلى إكزامبتون في ليلة الجمعة. وأنا أسمي هذه شجاعة من رجل في مثل سنه؛ فقد سار هكذا، وقطع قرابة الخمسة كيلومترات وسط عاصفة ثلجية. ولكما أن تعتقدا ما تشاءان، ولكن شباب هذه الأيام لا يساوون شيئًا مقارنة بالكبار. وذلك السيد رونالد جارفيلد لا يستطيع أبدًا أن يفعل هذا، وفي رأيي - وهذا رأي السيدة هيبرت الموظفة في مكتب البريد ورأي السيد باوند الحداد أيضًا - ما كان ينبغي للسيد جارفيلد أن يسمح له بقطع هذه المسافة كلها وحده كما فعل، بل كان ينبغي عليه أن يرافقه. ولو أن الميجور برنابي فُقِدَ في العاصفة الثلجية لألقى الجميع باللوم على السيد جارفيلد. وهذه حقيقة".

ومضت فرحة إلى حجرة غسل الأطباق واختفت وسط طقطقة أكواب الشاي ولوازمه.

نقل السيد كورتيس - وهو يفكر بتمعن - غليونًا قديمًا من الجانب الأيمن من فمه إلى الجانب الأيسر، ثم قال:

"هذه حال النساء، يكثرن الكلام".

وصمت لبرهة ثم تمتم قائلًا:

"وعادة ما لا يعلمن حقيقة ما يتحدثن عنه".

سمعت إيميلي وتشارلز هذا الكلام وهما صامتان. ورغم هذا، عندما رأى تشارلز أنه ليس لدى هذا الرجل مزيد من الكلام، قال مؤيدًا: "هذا صحيح تمامًا... نعم، صحيح تمامًا".

قال السيد كورتيس: "آها!". ثم عاد إلى صمته اللطيف التأملي.

نهض تشارلز وقال: "أعتقد أنني سأذهب في جولة لزيارة برنابي العجوز؛ لأخبره بأن التصوير سيجري في صباح الغد".

وقالت إيميلي: "سوف آتي معك. أريد أن أعرف رأيه في جيمس وما لديه من أفكار عن الجريمة بصورة عامة".

"هل لديك حذاء مطاطي أو أي شيء؟ فالمكان موحل للغاية".

قالت إيميلي: "لقد اشتريت واحدًا عندما كنا في إكزامبتون".

"يا لك من فتاة عملية. إنك تفكرين في كل شيء".

قالت إيميلي بتأمل: "من المؤسف أن هذا لا يساعد كثيرًا على اكتشاف من ارتكب جريمة القتل. بل ربما يساعد على ارتكاب جرائم القتل".

قال السيد أنديربي: "حسنًا، لا تقتليني".

خرجا معًا، وعادت السيدة كورتيس على الفور، فقال لها السيد كورتيس:

"لقد ذهبا إلى منزل الميجور".

قالت السيدة كورتيس: "آها! والآن، ما رأيك فيهما؟ هل هما متحابان أم لا؟ يقال إن الكثير من الأضرار تنتج عن زواج الأقارب، كأطفال صم وبكم ومتخلفين عقليًا وغيرها من الشرور. وهو يحبها، هذا ما يرى عليه بسهولة. أما بالنسبة لها، فهي كتوم مثل بيليندا ابنة خالتي سارة، ولديها طريقة في التحكم في نفسها وفي الرجال. وأنا أتساءل إلى ماذا تسعى الآن؟ هل تعلم فيمَ أفكر يا كورتيس؟".

همهم السيد كورتيس.

قالت السيدة كورتيس وهي تطقطق بالأواني الصينية: "ذلك الشاب الذي اعتقلته الشرطة بتهمة القتل، أعتقد أنه هو الشخص الذي تسعى إليه. وقد أتت إلى هنا للتحري عن الأمر ومعرفة ما يمكنها اكتشافه. واحفظ كلامي هذا جيدًا، إذا كان هناك ما يمكن اكتشافه في هذا الأمر، فسوف تكتشفه هي!".

الفصل 14

عائلة ويليت

في الوقت الذي بدأ فيه تشارلز وإيميلي زيارتهما للميجور برنابي، كان المفتش ناراكوت جالساً في حجرة الاستقبال بمنزل سيتافورد محاولاً تشكيل انطباع عن السيدة ويليت.

ولم يستطع مقابلتها في وقت سابق لهذا؛ لأن الطرق كانت مغلقة حتى صباح اليوم. ولم يعلم كيف كان يتوقع أن يجدها، ولكن من المؤكد أن ما وجدها عليه كان مغايراً لذلك تماماً. وكانت هي من أمسك بزمام الموقف، وليس هو.

دخلت الحجرة بسرعة وبطريقة توحي بالجدية والكفاءة. ورأى أمامه سيدة طويلة، ونحيفة الوجه، وحادة العينين. وكانت ترتدي سترة من الحرير المنسوج المزخرف بدرجة تتخطى حدود الذوق بالنسبة لملابس أهل الريف. وكان جورباها مصنوعين من الحرير الناعم باهظ الثمن، وكان حذاؤها ذا كعب عالٍ ومصنوعاً من الجلد اللامع. وكانت ترتدي العديد من الخواتم القيمة وكمية كبيرة من اللؤلؤ المقلد بإتقان وباهظ الثمن.

قالت السيدة ويليت: "أنت المفتش ناراكوت؟ من الطبيعي أن ترغب في المجيء إلى المنزل. يا لها من مأساة صادمة! لا أستطيع تصديق ما حدث. ونحن لم نسمع بالأمر إلا في هذا الصباح، وقد صدمنا بشدة. تفضل بالجلوس، ألا تريد ذلك أيها المفتش؟ هذه ابنتي فيوليت".

كاد لا ينتبه للفتاة التي لحقت بها، ورغم هذا كانت الفتاة جميلة للغاية، وطويلة، وشقراء، وذات عينين زرقاوين واسعتين.

اتخذت السيدة ويليت لنفسها مقعداً وقالت:

"هل هناك ما يمكنني مساعدتك به أيها المفتش؟ أنا لا أعلم الكثير عن الكابتن تريفيليان المسكين، ولكن إذا كان هناك أي شيء يدور في عقلك...".

قال المفتش ببطء:

"شكراً لك يا سيدتي. وبالطبع لا يعلم المرء أبداً ما قد يكون مفيداً وما قد لا

يفيد".

"أنا أعي ذلك تمامًا. وربما يكون في المنزل شيء يكشف عن هذه المسألة المحزنة، ولكني أشك في هذا؛ فقد أخذ الكابتن تريفيليان معه جميع متعلقاته الخاصة. بل كان يخشى أن أعبث بعصي صيد الأسماك الخاصة به، ذلك الرجل الطيب المسكين".

وأبدت ضحكة خفيفة.

سألها المفتش:

"ألم تكوني تعرفينه؟".

"أتقصد قبل أن أستأجر المنزل؟ أوه! نعم، لم أكن أعرفه. لقد طلبت منه زيارتنا هنا عدة مرات، ولكنه لم يحضر قط. ذلك المسكين كان خجولًا للغاية. وهذا هو شأني معه. وقد تعرفت على عشرات الرجال من صنفه. والناس يسمونهم كارهي النساء وغيرها من المسميات السخيفة، ودائمًا ما يكون الأمر في الحقيقة مجرد خجل". ثم قالت بعزم وإصرار: "ولو أنني استطعت الاتصال به لكنت تجاوزت كل هذه السخافات سريعًا؛ فهذا النوع من الرجال لا يحتاج لشيء سوى الانسجام مع الآخرين".

بدأ المفتش ناراكوت في فهم حقيقة توجه الكابتن تريفيليان الدفاعي للغاية نحو السيدتين اللتين استأجرتا منزله.

وواصلت السيدة ويليت حديثها قائلة: "وقد طلب كلانا منه ذلك، أليس كذلك يا فيوليت؟".

"أوه! بلى يا أمي".

قالت السيدة ويليت: "إنه بحار بسيط في حقيقته. وما من امرأة لا تحب البحارة أيها المفتش ناراكوت".

انتبه المفتش ناراكوت في هذه اللحظة لكون السيدة ويليت تدير المحادثة بالكامل حتى الآن. وقد اقتنع تمامًا بأنها امرأة غاية في الذكاء. وربما تكون طيبة كما تبدو. ومن ناحية أخرى قد لا تكون كذلك. وقال:

"النقطة التي أتلهف إلى الحصول على معلومات عنها هي...". ثم صمت لبرهة، فقالت:

"نعم أيها المفتش؟".

"أنت تعلمين بلا شك أن الميجور برنابي هو من اكتشف الجثة. وما دفعه إلى هذا هو حادثة وقعت في هذا المنزل".

"ماذا تقصد؟".

"أقصد جلسة تحضير الأرواح. وأرجو المعذرة...".

التفت بحدة؛ فقد خرج صوت خافت من الفتاة.

قالت أمها: "يا لفيوليت المسكينة! لقد كانت منزعجة للغاية... كلنا كنا منزعجين حقًا! كان ذلك أكبر أمر لا يمكن تفسيره. وأنا لست ممن يؤمنون بالخرافات، ولكن حقًا كان ذلك أكبر أمر لا يمكن تفسيره".

"فقد حدث بالفعل إذن؟".

فتحت السيدة ويليت عينيها على اتساعهما وقالت:

"حدث؟ بالطبع حدث. في ذلك الوقت كنت أظنها مجرد مزحة... أكثر المزح خلواً من اللطف والذوق السليم. وقد شككت في الشاب رونالد جارفيلد...".

"أوه! كلا يا أمي. أنا واثقة بأنه لم يكن يمزح؛ فقد أقسم على ذلك".

"أنا أتحدث عما دار في عقلي حينها يا فيوليت، فماذا يمكن للمرء أن يراها سوى مزحة؟".

قال المفتش ببطء: "لقد كان أمراً غريباً. وأنت كنت منزعجة للغاية يا سيدة ويليت، أليس كذلك؟".

"لقد كنا جميعاً منزعجين. وحتى ذلك الحين كان الأمر مجرد مزحة سخيفة. وأنت تعلم كيف تجري مثل هذه الأمور. إنها مجرد تسلية جيدة في ليالي الشتاء. وفجأة... حدث ذلك! لقد كنت غاضبة بشدة".

"غاضبة؟".

"بالطبع؛ فقد ظننت أن أحدهم يفعل ذلك عمداً... كمزحة مثلما قلت".

"والآن؟".

"الآن؟".

"نعم، ماذا تعتقدين الآن؟".

بسطت السيدة ويليت يديها تعبيراً عن الحيرة، وقالت:

"لا أعلم ماذا أعتقد. إنه... إنه أمر غريب".

"وأنت يا آنسة فيوليت؟".

"أنا؟".

ثم بدأت الفتاة كلامها قائلة:

"أنا... أنا لا أعلم. ولم أستطع نسيان الأمر، ودائما ما أحلم به، ولن أجرؤ أبدًا على ممارسة لعبة تحضير الأرواح ثانية".

قالت أمها: "أحسب أن السيد ريكروفت سيقول إنه حقيقي؛ فهو يؤمن بكل تلك الأمور. وفي الحقيقة، أنا أميل إلى تصديقه شخصيًا؛ فهل هناك تفسير آخر سوى كونها رسالة حقيقية من روح؟".

هز المفتش رأسه؛ فقد رأى أن المراد بمسألة تحضير الأرواح هذه تضليله. وجاءت ملاحظته التالية بصورة عرضية للغاية وقال فيها:

"ألا تجدين الجو شديد البرودة هنا في الشتاء يا سيدة ويليت؟".

"أوه! نحن نحبه؛ فهذا نوع من التغيير. ونحن قادمتان من جنوب إفريقيا كما تعلم".

وكانت نبرتها سريعة وعادية.

وسألها المفتش: "حقًا؟ من أي منطقة في جنوب إفريقيا؟".

"أوه! من كيب تاون. ولم يسبق لـ فيوليت زيارة إنجلترا قط. وهي مفتونة بالجو؛ فهي تجد الثلج رومانسيًا للغاية. وهذا المنزل مريح جدًا بحق".

سألها بنبرة صوت تحمل قدرًا لطيفًا من الفضول: "وما الذي دفعكما للقدوم إلى هذا الجزء من العالم؟".

"لقد قرأنا الكثير من الكتب عن ديفونشاير، وخاصة عن دارتمور. وكنا نقرأ كتابًا ونحن على متن السفينة... عن معرض وايدكومب. ولطالما اشتقت لرؤية دارتمور".

"وما الذي جعلك تختارين إكزامبتون؟ إنها ليست مدينة شهيرة على الأقل".

"حسنًا... كنا نقرأ تلك الكتب كما قلت، وكان هناك فتى على متن السفينة يتحدث عن إكزامبتون... وكان شديد الحماسة لها".

سألها المفتش: "ماذا كان اسمه؟ هل هو من أهلها؟".

"ماذا كان اسمه؟ أظنه كولين... لا... بل كان سميث. يا لغبائي! أنا لا أستطيع تذكر اسمه حقًا. وأنت تعلم كيف تجري الأمور على متن السفينة أيها المفتش، تتعرف على الناس جيدًا وتخطط للقائهم ثانية... وبعد مرور أسبوع واحد لا تستطيع حتى أن تتذكر أسماءهم!".

وضحكت ثم قالت:

"ولكنه كان فتى لطيفًا... ولم يكن وسيمًا، بل كان أحمر الشعر، ولكن لديه ابتسامة مرحة".

قال المفتش مبتسمًا: "وعلى ضوء هذا قررت استئجار منزل في هذه المناطق؟".

"نعم، ألم يكن ذلك جنونًا منا؟".

قال المفتش في نفسه: "إنها ذكية، ذكية للغاية". وبدأ يدرك أساليب السيدة ويليت، فهي دائمًا ما تنقل الحرب إلى ساحة الخصم. وقال لها:

"ومن ثم راسلت الوكلاء العقاريين واستعلمت عن وجود منزل للإيجار؟".

"نعم... وأرسلوا لنا وصفًا دقيقًا لمنزل سيتافورد، فبدا مطابقًا تمامًا لما كنا نريد".

قال المفتش ضاحكًا: "ما كنت لأفعل هذا في مثل هذا الوقت من العام".

قالت السيدة ويليت بمرح: "وأستطيع القول إننا ما كنا لنفعل هذا نحن أيضًا لو أننا كنا نعيش في إنجلترا".

نهض المفتش ثم سألها:

"كيف علمت باسم الوكيل العقاري في إكزامبتون لتراسليه؟ لا بد أنك واجهت صعوبة في ذلك".

ساد الصمت لبرهة. وكانت هذه أول فترة صمت طوال المحادثة. وظن المفتش أنه لمح ومضة غيظ، بل غضب في عيني السيدة ويليت. ويبدو أنه مس موضعًا حساسًا لم تجهز جوابًا للسؤال عنه، فاستدارت نحو ابنتها وقالت:

"كيف علمنا بذلك يا فيوليت؟ أنا لا أستطيع التذكر".

كانت هناك نظرة مختلفة في عيني الفتاة، نظرة خوف.

قالت السيدة ويليت: "آه، بالطبع من خلال ديلفريدجز. إنه مكتب استعلامات، وهو رائع للغاية. ودائمًا ما أذهب إليه وأستعلم عن كل شيء. وقد سألتهم عن اسم أفضل مكتب عقاري هنا فدلوني عليه".

قال المفتش في نفسه: "سريعة البديهة. سريعة للغاية. ولكنك لست سريعة بما فيه الكفاية. لقد أوقعت بك يا سيدتي".

أجرى فحصًا سريعًا للمنزل، فلم يجد فيه شيئًا: لا أوراق، ولا أدراج أو خزانات مقفلة.

رافقته السيدة ويليت وهي تتحدث بمرح. واستأذن في الانصراف شاكرًا إياها بتأدب.

وفي أثناء مغادرته لمح وجه الفتاة من فوق كتف أمها. ولم يكن لديه شك فيما رآه على وجهها من تعبيرات.

لقد رأى الخوف باديًا على ملامحها. لقد كان الخوف مكتوبًا على وجهها بوضوح في اللحظة التي ظنت فيها أنه لا أحد يلحظها.

كانت السيدة ويليت لا تزال تتحدث وتقول:

"للأسف يوجد عيب واحد كبير هنا، وهو مشكلة الخدم أيها المفتش. فالخادمات لا يتحملن هذه الأماكن الريفية. وظلت جميع الخادمات لديّ يهددن بالرحيل لبعض الوقت، ويبدو أن خبر جريمة القتل قد أقلقهن للغاية. ولا أعلم ماذا ينبغي عليّ أن أفعل. ربما يكون الحل في الاستعانة بخدم رجال. وهذا ما نصحني به مكتب التسجيل في إكسيتر".

كان المفتش يجيب بطريقة آلية؛ فهو لم يكن ينصت لحديثها المستفيض، بل كان يفكر في التعبير الذي أثار دهشته على وجه الفتاة.

كانت السيدة ويليت ذكية... ولكنها لم تكن ذكية بما فيه الكفاية.

غادر المفتش وهو يفكر في المسألة التي واجهته، وهي:

إذا لم تكن لعائلة ويليت علاقة بمقتل الكابتن تريفيليان، فلماذا كانت فيوليت ويليت خائفة؟

وأطلق رصاصته الأخيرة، فبمجرد أن وضع قدميه على عتبة الباب الأمامي استدار للخلف وقال:

"بالمناسبة، أنتما تعرفان الشاب بيرسون، أليس كذلك؟".

ولم يكن هناك شك في الصمت الذي ساد في هذه المرة. لقد كان صمتًا ثقيلًا استمر قرابة الثانية، ثم تحدثت السيدة ويليت قائلة:

"بيرسون؟ لا أظن...".

وقوطع كلامها، فقد سُمِعَتْ شهقة غريبة قادمة من الحجرة التي خلفها، ثم تلاها صوت سقوط. وفي لمح البصرِ،
كان المفتش قد اجتاز العتبة ودخل الحجرة.

لقد أصيبت فيوليت ويليت بالإغماء.

صاحت السيدة ويليت قائلة: "يا للبنت المسكينة! كل هذا بسبب الضغط والصدمة، ومسألة تحضير الأرواح المخيفة تلك، وفوق ذلك جريمة قتل. إنها ليست قوية لتحمل كل هذا. شكرًا جزيلًا لك أيها المفتش. نعم، ضعها على الأريكة من فضلك. أرجو أن تدق الجرس. كلا، لا أعتقد أن هناك أي شيء آخر يمكنك فعله. شكرًا جزيلًا لك".

سار المفتش على الممشى ووجهه متجهم.

وهو يعلم أن جيمس بيرسون خطيب تلك الفتاة الفاتنة التي رآها في لندن.

لماذا إذن فقدت فيوليت وعيها عند ذكر اسمه؟ وما العلاقة بين جيمس بيرسون وهاتين المرأتين؟

توقف متردداً لدى مروره بالبوابة الأمامية للمنزل، ثم أخرج من جيبه دفتر ملاحظات صغيراً. وفي هذا الدفتر قائمة بأسماء سكان المنازل الصغيرة الستة التي بناها الكابتن تريفيليان، وبجوار كل اسم منها ملاحظة موجزة عنه. وتوقفت سبابة المفتش ناراكوت الغليظة القصيرة عند اسم صاحب المنزل رقم 6.

وقال لنفسه: "نعم، من الأفضل أن أراه بعد ذلك".

ومشى بسرعة على الطريق، وطرق بحزم باب المنزل رقم 6 بواسطة مطراق الباب... ذلك المنزل الذي يسكنه السيد دوك.

الفصل 15

زيارة للميجور برنابي

قطع السيد أنديربي الطريق المؤدي إلى منزل الميجور برفقة إيميلي، وطرق الباب بشيء من الابتهاج. وانفتح الباب على الفور تقريباً، وظهر الميجور برنابي على عتبة الباب ووجهه مشرب بحمرة، وقال بصوت لا ينم عن الحماسة والترحاب:

"أهذا أنت؟". وكان سيستمر في محادثته بهذه الطريقة ذاتها، ولكن عندما لمح إيميلي، تغيرت تعابير وجهه.

قال تشارلز بنبرة لاعب يخرج الورقة الرابحة: "هذه هي الآنسة تريفوسيس. لقد كانت متشوقة جداً للقائك".

قالت إيميلي بابتسامة ساحرة: "هل تسمح لي بالدخول؟".

"أوه! نعم، بالتأكيد، بالطبع..." .

تراجع الميجور إلى حجرة الاستقبال وهو يتلعثم في كلامه، وبدأ في سحب الكراسي إلى الأمام ودفع الطاولات جانباً.

وكما هو أسلوب إيميلي، عمدت إلى الدخول في جوهر الموضوع، فقالت: "اعلم أيها الميجور برنابي أنني خطيبة جيمس... جيمس بيرسون. ومن الطبيعي أن أكون قلقة للغاية بشأنه".

توقف الميجور عند دفعه إحدى الطاولات فاتحاً فاه، ثم قال:

"أوه يا عزيزتي، هذا أمر سيئ. يا فتاتي العزيزة، أنا عاجز عن التعبير عن مدى أسفي".

"أيها الميجور برنابي، أخبرني بصدق، هل تصدق أنت أنه مذنب؟ أوه، لا تتردد في مصارحتي إن كنت ترى ذلك. وأنا أفضل بشدة ألا يكذب الآخرون عليّ".

قال الميجور بنبرة تأكيدية عالية: "كلا، لا أظنه مذنباً". وضرب إحدى الوسائد بيده ضربة أو ضربتين لإزالة الأتربة، ثم جلس في مواجهة إيميلي، وقال: "ذلك الشاب لطيف. واعلمي أنه قد يكون ضعيفاً بعض الشيء. وأرجو ألا تشعري بالإساءة إذا قلت

لك إنه من نوع الشباب الذي قد يضل بسهولة إذا تعرض للإغراء. أما القتل... لا. واعلمي أنني أعرف عما أتحدث... فقد خدم تحت إمرتي الكثير من الضباط الصغار خلال فترة خدمتي في الجيش. وقد أصبحت العادة في هذه الأيام هي التندر بضباط الجيش المتقاعدين، ولكننا دائماً ما نعلم بعض الأمور يا آنسة تريفوسيس".

قالت إيميلي: "أنا متأكدة من ذلك. وأنا ممتنة لك للغاية على كل ما قلته".

قال الميجور: "هل لك... هل لك في بعض القهوة والحليب؟". ثم قال بنبرة اعتذار: "أخشى أنه لا يوجد لديّ شيء آخر".

"لا، شكراً لك أيها الميجور برنابي".

"فما رأيك في بعض القهوة فقط؟".

قالت إيميلي: "لا، شكراً لك".

قال الميجور بشيء من الآسف: "كان يتعين عليّ تقديم بعض الشاي لكما".

قال تشارلز: "لقد تناولناه في منزل السيدة كورتيس".

وقالت إيميلي: "أيها الميجور برنابي، من تظنه فعلها؟ هل لديك أية فكرة؟".

قال الميجور: "كلا، ليست لديّ أدنى فكرة. لقد افترضنا أن أحد المتشردين اقتحم المنزل، ولكن الشرطة تنفي هذا الاحتمال. حسناً، هذا عملهم، وأحسبهم يعرفون أكثر منا. وقالوا لم يقتحم أحد المنزل، ومن ثم افترضت هذا. ولكن هذا الأمر يحيرني تماماً يا آنسة تريفوسيس؛ فتريفيليان ليس له أي عدو في هذا العالم على حد علمي".

قالت إيميلي: "وكنت ستعرف لو أن لديه عدواً؟".

"نعم، أحسبني أعرف عن تريفيليان أكثر مما يعرف عنه أي أحد من أقربائه".

"ألا يمكنك التفكير في أي شيء... أي شيء من شأنه أن يساعدنا؟".

جذب الميجور شاربه القصير، ثم قال:

"أعلم فيم تفكرين. كما في الروايات البوليسية، يتعين أن يكون هناك دليل ما ينبغي عليّ تذكره ليكون مفتاحاً لحل اللغز. حسناً، أنا آسف؛ فلا يوجد شيء كهذا. لقد كان تريفيليان يعيش حياة عادية بسيطة. ولم يكن يتلقى الكثير من الخطابات، والخطابات التي كتبها أقل من التي تلقاها. ولم تكن هناك أية مشكلات نسائية في حياته، أنا متأكد من ذلك. كلا، إن هذا الأمر يحيرني يا آنسة تريفوسيس".

وخيم الصمت على ثلاثتهم.

ثم سأله تشارلز: "وماذا عن خادمه ذلك؟".

"لقد ظل معه لسنوات. وهو مخلص تمامًا".

قال تشارلز: "لقد تزوج مؤخرًا".

قال الميجور: "لقد تزوج فتاة غاية في الاحترام والحشمة".

قالت إيميلي: "أيها الميجور برنابي، اعذرني على سوء تعبيري، ولكن ألا تظن أنك قلقت عليه بدون مبرر قوي؟".

حك الميجور أنفه حرجًا لما يعتريه كلما ذكرت مسألة تحضير الأرواح، ثم قال:

"بالفعل، لا يمكنني إنكار ذلك، لقد قلقت عليه. وكنت أعلم أن المسالة كلها مجرد هراء، ولكن...".

قالت إيميلي وهي تساعده: "ولكنك شعرت بأن المسألة ليست كذلك".

فأومأ الميجور برأسه إيجابًا.

قالت إيميلي: "ولهذا أتعجب...".

نظر الرجلان إليها، فقالت:

"لا أستطيع التعبير جيداً عما أعنيه بالطريقة التي أريدها، ولكن ما أعنيه هو أنك قلت إنك لا تؤمن بمسألة تحضير الأرواح تلك... ولكن رغم الطقس القاسي وما بدا لك من سخافة الأمر كله بلا شك شعرت بانزعاج شديد لدرجة أنك اضطررت للخروج - رغم الظروف الجوية - والتأكد بنفسك من أن الكابتن تريفيليان بخير. حسنًا، ألا تعتقد أنه ربما يكون السبب هو... هو وجود شيء ما في الجو العام للموقف؟".

واصلت كلامها بيأس لأنها لم ترَ في وجه الميجور أية علامة على فهم مقصدها، فقالت: "ما أعنيه هو أنه كان هناك شيء ما يدور في عقل شخص آخر مثلما كان يدور في عقلك، وأنك شعرت بذلك بطريقة ما".

قال الميجور: "حسنًا، لا أعلم". ثم حك أنفه ثانية وأضاف بتفاؤل قائلًا: "ولكن النساء بالطبع يأخذن هذه الأمور على محمل الجد".

قالت إيميلي: "النساء!". ثم تمتمت لنفسها بصوت خفيض قائلة: "نعم، أنا أؤمن بأن هذا هو الأمر".

ثم استدارت فجأة نحو الميجور برنابي وقالت له:

"كيف هما تلكما المرأتان، أي عائلة ويليت؟".

قال الميجور برنابي - وقد ظل يفكر؛ فمن الواضح أنه لا يحسن وصف الآخرين: "أوه، حسنًا... إنهما لطيفتان للغاية... وغاية في التعاون، وما إلى ذلك".

قالت إيميلي: "برأيك، لماذا أرادتا استئجار منزل كمنزل سيتافورد في هذا الوقت من العام؟".

قال الميجور: "لا يمكنني فهم السبب... لا أحد يفهم سبب ذلك".

قالت إيميلي بإصرار: "ألا ترى هذا الأمر شديد الغرابة؟".

"إنه غريب بالطبع. ورغم هذا، لا ضابط للأذواق. هذا ما قاله المفتش".

قالت إيميلي: "هذا هراء. لا يفعل الناس أي شيء بلا سبب".

قال الميجور برنابي بتحفظ: "حسنًا، لا أعلم. بعض الناس لا يفعلون شيئًا بلا سبب. وأنت منهم يا آنسة تريفوسيس. ولكن البعض الآخر...". ثم تنهد وهز رأسه في حيرة.

"أأنت واثق بأنهما لم يلتقيا بالكابتن تريفيليان من قبل؟".

تأمل الميجور هذه الفكرة. ولو صحت لأخبره تريفيليان بذلك. لا، لقد كان هو نفسه مندهشًا كالآخرين.

قالت إيميلي: "إذن، كان يرى الأمر غريبًا؟".

"بالطبع، لقد أخبرتك توًا بأننا جميعًا كنا نراه كذلك".

"وكيف كان توجه السيدة ويليت نحو الكابتن تريفيليان؟ هل كانت تحاول تجنبه؟".

بدت من الميجور ضحكة خافتة ثم قال:

"كلا، لم تحاول ذلك بالطبع. بل أثارت انزعاجه... فدائمًا ما كانت تطلب منه زيارتهما".

قالت إيميلي بتأمل: "أوه!". وصمتت لبرهة ثم قالت: "إذن، ربما... من المحتمل أنها استأجرت منزل سيتافورد عمدًا من أجل التعرف على الكابتن تريفيليان".

قال الميجور وقد بدا عليه تأمل هذه الفكرة: "حسنًا، أظنها كذلك. ويا لها من طريقة باهظة التكلفة للتعارف".

قالت إيميلي: "لا أعلم، ولكن الكابتن تريفيليان لم يكن بالشخص السهل الذي يمكن التعرف عليه بطريقة أخرى".

قال برنابي صديق الكابتن تريفيليان مصدقًا على كلامها: "لا، لم يكن كذلك".

قالت إيميلي: "أنا أعجب لهذا".

قال برنابي: "هذا ما فكر فيه المفتش أيضًا".

شعرت إيميلي بغيظ مفاجئ نحو المفتش ناراكوت؛ فكل ما تفكر فيه يكون المفتش قد سبقها إلى التفكير فيه بالفعل. وكان هذا شيئًا مثيراً للحنق بالنسبة لامرأة شابة تفتخر بكونها أذكى من الآخرين.

فنهضت ومدت يدها، وقالت للميجور ببساطة:

"شكراً جزيلًا لك".

قال الميجور: "كنت أتمنى لو أن باستطاعتي تقديم المزيد من المساعدة. وأنا من نوع الرجال العاديين الصرحاء... ولطالما كنت كذلك. ولو أنني كنت من الأشخاص الفطنين، لأمكنني أن أضع يدي على شيء قد يمثل دليلًا. وعلى أية حال، يمكنك الاعتماد عليّ في أي شيء آخر تريدينه".

قالت إيميلي: "شكراً لك. سوف أفعل".

قال أنديربي: "إلى اللقاء يا سيدي. سوف آتي إليك في صباح الغد بالكاميرا الخاصة بي".

فابتسم برنابي.

عاد كل من إيميلي وتشارلز إلى منزل السيدة كورتيس.

قالت إيميلي له: "تعالَ إلى غرفتي؛ أريد التحدث إليك".

وجلست على المقعد الوحيد في الغرفة، وجلس تشارلز على الفراش.

خلعت إيميلي قبعتها وطوحت بها فظلت تدور في الهواء واستقرت في أحد أركان الغرفة، ثم قالت:

"والآن، أنصت إليّ. أعتقد أنني حصلت على نقطة بداية. قد أكون مخطئة في ذلك وقد أكون على صواب، وعلى أية حال هي مجرد فكرة. وأعتقد أن هناك الكثير من الدلائل التي ترتبط بمسألة تحضير الأرواح تلك. ألم يسبق لك لعبها؟".

"أوه، بلى، من حين إلى آخر. ولكنها لا تكون جدية كما تعلمين".

"بالطبع، لا تكون جدية. إنها من نوع التسلية التي يمارسها المرء في أوقات الظهيرة المطيرة، ويتهم فيها كل شخص الآخرين بتحريك الطاولة. حسنًا، إذا سبقت لك ممارستها فأنت تعلم ما يحدث. تبدأ الطاولة في تهجّي اسم شخص مثلًا، وغالبًا ما يكون هذا الاسم لشخص يعرفه أحد الحاضرين. وغالبًا ما يتعرف عليه هذا المرء على الفور ويتمنى ألا يكون هو المقصود، وعلى نحو لا إرادي دائمًا ما يقوم هو بدفع الطاولة. وما أعنيه هو أن التعرف على الاسم أو الأشياء يجعل المرء يضطرب ويهتز لا إراديًا عند قدوم الحرف التالي منها، فيوقف الأمر. وكلما حاولت ألا تفعل ذلك أحيانًا، زادت مرات حدوثه".

قال السيد أنديربي مصدقًا على كلامها: "نعم، هذا صحيح".

"أنا لا أؤمن بتحضير الأرواح أو أي شيء كهذا مطلقًا. ولكن فلنفترض أن أحد المشاركين في لعبة تحضير الأرواح تلك كان يعلم أن الكابتن تريفيليان سيقتل في تلك اللحظة...".

اعترض تشارلز قائلا: "أوه، أنا أرى هذا الاحتمال بعيدًا للغاية".

"حسنًا، ليس من الضروري أن يكون الأمر على هذا القدر من البساطة. ولكن نعم، أنا أعتقد أن هذا ما حدث. ونحن نفترض هذا وحسب... هذا كل ما في الأمر. ونحن نقول إن شخصًا ما علم أن الكابتن تريفيليان قُتل، ومن المؤكد أنه لم يستطع إخفاء علمه بالأمر، فخانته الطاولة".

قال تشارلز: "هذا افتراض ذكي للغاية، ولكني لا أؤمن بصحته على الإطلاق".

قالت إيميلي بحزم: "سوف نفترض أنه صحيح. وأنا واثقة بأنه في حالة التحري عن الجرائم يجب عليك ألا تخشى طرح الافتراضات".

قال السيد أنديربي: "أوه، أنا أتفق معك تمامًا على هذا. سوف نفترض صحته... كما تحبين".

قالت إيميلي: "إذن، ما ينبغي علينا فعله هو أن نستعرض بدقة كبيرة جميع الأشخاص الذين شاركوا في تلك اللعبة. ولنبدأ بالميجور برنابي والسيد ريكروفت. حسنًا، يبدو من غير المحتمل تمامًا أن يكون أي منهما له علاقة بالقاتل. ثم هناك السيد دوك. حسنًا، نحن لا نعلم حتى الآن أي شيء عنه؛ فقد وصل مؤخرًا وقد يكون بالطبع أحد الغرباء الأشرار... أي فردًا في عصابة أو ما شابه ذلك. وسوف نضع علامة X أمام اسمه. والآن، وصلنا إلى عائلة ويليت. يا تشارلز، أرى أن هناك غموضًا كبيرًا يحيط بهاتين المرأتين".

"ما الذي سيعود عليهما من مقتل الكابتن تريفيليان؟".

"حسنًا، في الظاهر، ليست هناك منفعة. ولكن إذا كانت نظريتي صحيحة، فلا بد أن لهما علاقة ما بمقتله. وعلينا أن نكتشف هذه العلاقة".

قال السيد أنديربي: "هذا صحيح، ولكن فلنفترض أننا لم نكتشف شيئًا ذا قيمة، فماذا سنفعل حينها؟".

قالت إيميلي: "حسنًا، سوف نضطر إلى البدء من جديد".

قال تشارلز فجأة: "أنصتي!".

ورفع يده مشيرًا إليها بالسكوت، ثم ذهب إلى النافذة وفتحها، فسمعت إيميلي أيضًا ذلك الصوت الذي جذب انتباهه. وكان ذلك صوت جرس كبير قادمًا من بعيد.

وفي أثناء وقوفها وإنصاتها، سمعت صوت السيدة كورتيس يناديها:

"هل سمعت صوت الجرس يا آنستي... هل سمعته؟".

فتحت إيميلي الباب، فدخلت السيدة كورتيس وهي تقول:

"هل سمعته؟ كان الصوت واضحاً أشد الوضوح، أليس كذلك؟ يا للعجب! تخيلي هذا!".

سألتها إيميلي: "وما ذلك؟".

"إنه جرس سجن برينستاون يا آنستي، وهو على بعد تسعة عشر كيلو متراً تقريباً. وهذا يعني هروب أحد السجناء. جورج! جورج! أين ذهب هذا الرجل؟ هل سمعت صوت الجرس؟ هناك سجين طليق".

وتلاشى صوتها عندما دخلت المطبخ.

أغلق تشارلز النافذة وجلس على الفراش مرة أخرى ثم قال بخيبة أمل:

"من المؤسف أن تسير الأمور على نحو خطأ هكذا. لو أن هذا المجرم هرب يوم الجمعة، لكان قاتلنا سهل اكتشافه، ولما اضطررنا لمزيد من البحث. مجرم جائع ويائس يقتحم المنزل، فيدافع تريفيليان عن قلعته الخاصة... فيقوم المجرم اليائس بضربه. الأمر غاية في البساطة".

قالت إيميلي بتنهد: "كان من شأنه أن يكون كذلك".

قال تشارلز: "ولكنه بدلاً من ذلك هرب بعد مضي ثلاثة أيام. إنه... إنه أمر يفتقر إلى الفن على نحو مثير لليأس".

وهز رأسه بحزن.

الفصل 16

السيد ريكروفت

استيقظت إيميلي مبكراً في الصباح التالي؛ ونظراً لأنها شابة حساسة، فقد أدركت أنه من المستبعد حصولها على تعاون السيد أنديربي إلا بعد مرور وقت طويل من الصباح؛ ولهذا، ولشعورها بالتململ وعدم القدرة على النوم حتى ذلك الوقت، فقد خرجت في جولة سريعة من المشي على الطريق في الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي سلكاه عند عودتهما بالأمس.

ومرت على بوابات منزل سيتافورد على يمينها، وبعد ذلك بقليل اتخذ الطريق منحنى حاداً نحو اليمين، ثم صعوداً نحو التل لينتهي بإطلالة على السهل الفسيح حيث تحول الطريق إلى ميدان عشبي، ثم تلاشى تماماً. وكان الصباح جميلاً، وبارداً، ومنعشاً، وكان المشهد رائعاً. صعدت إيميلي قمة هضبة سيتافورد، وكانت تحوي كومة من الصخور الرمادية ذات الأشكال الرائعة. ومن ذلك الارتفاع، نظرت إلى سهل منبسط لا يفصله شيء على مد البصر، ولا يوجد فيه مسكن أو طريق. وفي أسفلها، في الجانب المعاكس للهضبة، كانت هناك كتل رمادية من الصخور الجرانيتية الصغيرة والكبيرة. وبعد تأمل المشهد لدقيقة أو دقيقتين، استدارت لترى المشهد في الشمال من حيث أتت. وكانت قرية سيتافورد تقع أسفل منها، متجمعة على جانب التل، فهناك منزل سيتافورد أشبه بنقطة رمادية مربعة، والمنازل الصغيرة مثل نقاط مجاورة له. وفي الوادي إلى الأسفل، كانت تستطيع رؤية مدينة إكزامبتون.

قالت إيميلي في نفسها بحيرة: "ينبغي للمرء أن يرى الأمور بصورة أفضل عندما ينظر إليها من أعلى هكذا. وينبغي أن يكون هذا أشبه برفع سقف منزل الدمية والإطلال عليه".

وتمنت من كل قلبها لو أنها التقت بالقتيل ولو مرة واحدة؛ فمن الصعب للغاية تكوين فكرة عن شخص لم تسبق لك رؤيته، وسوف تضطر إلى الاعتماد على أحكام الآخرين. ولم يسبق أن أقرت إيميلي بأفضلية حكم أي أحد آخر على حكمها. وليست انطباعات الآخرين مفيدة لك. قد تكون صحيحة كانطباعاتك أنت ولكن لا يمكنك التصرف بناءً عليها. ولا يمكنك - إن جاز التعبير - أن تستخدم زاوية هجوم شخص آخر.

وفي أثناء تفكير إيميلي بإمعان وانزعاج في هذه المسائل، تنهدت بتململ، وغيرت من جلستها.

كانت غارقة جداً في أفكارها لدرجة أنها كانت غافلة تماماً عما يحيط بها. وقد فوجئت إذ أدركت وجود رجل كهل صغير الحجم يقف على بعد عدة سنتيمترات منها، ويمسِك بقبعته بأدب في يده، ويتنفس بسرعة.

قال الرجل: "أرجو المعذرة، أعتقد أنك الآنسة تريفوسيس، أليس كذلك؟".

قالت إيميلي: "بلى".

قال الرجل: "أنا أدعى ريكروفت. وأرجو أن تعذريني لحديثي إليك هكذا، ولكن في هذا المجتمع الصغير تُعْرَفُ أدق التفاصيل، وبطبيعة الحال ذاع خبر وصولك إلى هنا. وأنا أؤكد لك أن الجميع هنا يشعرون بتعاطف عميق مع حالتك يا آنسة تريفوسيس. ونحن جميعاً متشوقون إلى مساعدتك بأية طريقة ممكنة".

قالت إيميلي: "هذا لطف كبير منك".

قال السيد ريكروفت: "كلا، مطلقاً. أنت رمز للجمال المنكوب، وأرجو أن تعذريني عليّ طريقتي القديمة هذه في التعبير. ولكن أيتها الشابة العزيزة يمكنك حقاً الاعتماد عليّ إذا كان بوسعي مساعدتك. المنظر جميل هنا، أليس كذلك؟".

قالت إيميلي مصدقة على كلامه: "إنه رائع. هذا السهل رائع".

"هل تعلمين أن هناك سجيناً هرب من سجن برينستاون في الليلة الماضية؟".

"نعم. هل أمسكوا به؟".

"أعتقد أنهم لم يقبضوا عليه بعد. آه، حسناً، يا له من مسكين؛ فسوف يقبضون عليه بلا شك في أسرع وقت ممكن. وأعتقد أنني محق إذا قلت إنه لم يستطع أحد الهروب بنجاح من سجن برينستاون على مدى الأعوام العشرين الماضية".

"وفي أي اتجاه يقع سجن برينستاون؟".

مد السيد ريكروفت ذراعه وأشار نحو الجنوب فوق السهل، وقال:

"إنه يقع هناك، على بعد تسعة عشر كيلو متراً تقريباً كخط مستقيم، ولكنه يبعد قرابة ستة وعشرين كيلو متراً بالسير على الطريق".

سَرَتْ بجسد إيميلي ارتعاشة خفيفة؛ فقد أثرت فيها بقوة فكرة وجود رجل يائس مطارد. وكان السيد ريكروفت يراقبها وأبدى إيماءة خفيفة، وقال:

"نعم، ينتابني الشعور ذاته. من الغريب معرفة كيف أن غرائز المرء تثور ضد فكرة مطاردة رجل حتى الإمساك به، ورغم هذا يعد سجناء برينستاون أخطر المجرمين

وأشرسهم، وهم من النوع الذي ربما نود أنا وأنت أن نبذل أقصى جهودنا في وضعهم هناك".

أبدى ضحكة اعتذارية خفيفة، وقال:

"يجب أن تعذريني يا آنسة تريفوسيس؛ فأنا شديد الاهتمام بدراسة الجرائم. إنها دراسة ممتعة. وعلم الطيور وعلم الجريمة هما موضوعاي المفضلان". ثم صمت لبرهة، ثم واصل حديثه قائلًا:

"ولهذا السبب أود إشراك نفسي في هذا الأمر، إذا سمحتِ لي بذلك. لطالما كانت الدراسة المباشرة للجرائم حلمًا لم أستطع تحقيقه، فهلا وَضعت ثقتك بي يا آنسة تريفوسيس وسمحت لي بوضع خبرتي تحت تصرفك! لقد قرأت في هذا الموضوع ودرسته بتعمق".

ظلت إيميلي صامتة لبرهة؛ فقد كانت تهنئ نفسها على الطريقة التي تسير بها الأحداث لصالحها، فها هي خبرة مباشرة بالحياة في سيتافورد تقدّمُ لها. "زاوية هجوم"، ظلت إيميلي تكرر هذه العبارة التي خطرت على بالها منذ قليل؛ فقد أصبح متاحًا لها زاوية الميجور برنابي، وهي زاوية واقعية... بسيطة... مباشرة، تدرك الحقائق وتغفل تمامًا عن الأشياء الدقيقة. والآن عُرِضَتْ عليها زاوية أخرى، والتي ترى أنها ربما تفتح أمامها مجالًا مختلفًا تمامًا للرؤية؛ فقد قرأ هذا الرجل الكهل الضئيل النحيل في علم الجريمة ودرسها بتعمق، وهو واسع الاطلاع في مجال الطبيعة البشرية، ولديه ذلك الشغف والنهم بالحياة الذي تبديه الشخصية المتأملة المفكرة، كنقيض للشخصية المبادرة بالتصرف.

قالت إيميلي ببساطة: "أرجوك ساعدني؛ فأنا غاية في القلق والتعاسة".

قال: "من المؤكد أنك كذلك يا عزيزتي، هذا مؤكد. والآن، وبحسب فهمي الموقف، تم اعتقال أكبر أبناء أخت تريفيليان أو احتجازه... والدليل المتاح ضده ذو طبيعة بسيطة وواضحة، وأنا بالطبع لديّ عقل متفتح. واسمحي لي بأن أقول هذا".

قالت إيميلي: "بالطبع، لمَ ينبغي عليك الإيمان ببراءته وأنت لا تعرف عنه أي شيء؟".

قال السيد ريكروفت: "هذا كلام منطقي تمامًا يا آنسة تريفوسيس، وأنت نفسك تصلحين مادة لدراسة مثيرة. وبالمناسبة، هل يرجع اسمك هذا في الأصل إلى مقاطعة كورنوال... مثل صديقنا المسكين تريفيليان؟".

قالت إيميلي: "نعم، كان والدي من كورنوال، أما والدتي فإسكتلندية".

قال السيد ريكروفت: "آها! هذا مثير للغاية. والآن علينا أن نتطرق إلى مشكلتنا الصغيرة. من ناحية، فلنفترض أن الشاب جيمس - اسمه جيمس، أليس كذلك؟

فلنفترض أن الشاب جيمس كان بحاجة ماسة إلى المال، وأنه جاء لزيارة خاله، وطلب منه بعض المال، ولكن خاله رفض، وفي لحظة انفعال التقط كيساً من أكياس الرمال الموضوعة عند الباب وضرب به خاله على رأسه. لم تكن هذه جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد، بل كانت في الواقع مسألة غضب أحمق، وارتكبت على نحو سيئ للغاية. والآن، قد يكون جرى كل شيء على هذا النحو، ومن ناحية أخرى لعله ترك خاله في حالة غضب وجاء شخص آخر بعد ذلك بوقت قصير وارتكب الجريمة. وهذا ما تؤمنين أنت به... وللتعبير عن هذا بطريقة مختلفة بعض الشيء أقول هذا ما أتمناه؛ فأنا لا أريد أن يكون خطيبك من ارتكب الجريمة، فمن وجهة نظري هذه فكرة تفتقر للإثارة بشدة، ولذلك فإنني أدعم وجهة النظر الأخرى، وهي القائلة إن الجريمة ارتكبت من قبل شخص آخر. وسنفترض هذا وننتقل إلى نقطة بالغة الأهمية. هل كان ذلك الشخص الآخر على علم بالمشاجرة التي حدثت قبل قليل؟ وهل عجلت المشاجرة بارتكاب جريمة القتل؟ هل تفهمين وجهة نظري؟ هناك شخص ما كان يخطط للتخلص من الكابتن تريفيليان واغتنم هذه الفرصة، وهو يدرك أن الشكوك لا بد أن تحوم حول الشاب جيمس".

فكرت إيميلي في الموضوع من هذه الزاوية.

وأضاف هو قائلًا ببطء: "وفي هذه الحالة...".

حاول السيد ريكروفت استخراج العبارة من فمها، فقال:

"وفي هذه الحالة، لا بد أن القاتل شخص وثيق الصلة بالكابتن تريفيليان. ومن المؤكد أنه مقيم في إكزامبتون، وعلى الأرجح أنه كان متواجداً في المنزل سواء في أثناء المشاجرة أو بعدها. وبما أننا لسنا في محكمة قانونية وبوسعنا مناقشة الأسماء بحرية، فاسم الخادم إيفانز يقفز إلى أذهاننا لكونه الشخص الذي يتفق مع شروطنا. وهو شخص من المحتمل تماماً أنه كان في المنزل، وسمع الشجار، واغتنم الفرصة. ونقطتنا التالية هي تحديد ما إذا كان إيفانز سيستفيد بأي شكل من الأشكال من موت سيده".

قالت إيميلي: "أعتقد أنه سيحصل على القليل من الميراث".

قال ريكروفت: "قد يمثل هذا دافعاً كافياً، وقد لا يمثل شيئًا. ويتعين علينا أن نكتشف إذا ما كان إيفانز بحاجة ماسة للمال أم لا. ويجب علينا أيضاً أن نفكر في زوجة إيفانز... فقد تزوج مؤخراً على حد علمي. ولو أنك درست علم الإجرام يا آنسة تريفوسيس لأدركت الأثر الغريب للتنشئة، وخاصة في المناطق الريفية. هناك على الأقل أربع شابات في برودمور يبدون لطيفات من حيث الأسلوب، ولكن لديهن تلك النزعة الغريبة إلى اعتبار الحياة البشرية ليست بذات قيمة. لا.. يجب علينا ألا نسقط السيدة إيفانز من الحسبان".

"ما رأيك في مسألة تحضير الأرواح تلك يا سيد ريكروفت؟".

"إنها غريبة للغاية، بل الأكثر غرابة. وأنا أعترف يا آنسة تريفوسيس بأنني أعجبت بها بقوة. ولعلك سمعت أنني من المؤمنين بالغيبيات. وأنا مؤمن إلى حد ما بالروحانيات. ولقد كتبت بالفعل وصفًا كاملًا عنها وأرسلته إلى جمعية أبحاث علم نفس الخوارق. وكانت قضية مذهلة وموثقة للغاية. خمسة أشخاص، لم تكن لدى أي أحد منهم أدنى فكرة أو شك بأن الكابتن تريفيليان قُتل".

"ألا تعتقد أن...".

توقفت إيميلي عن إكمال سؤالها؛ إذ ليس من السهل أن تطرح فكرتها على السيد ريكروفت وتقول إن أحد الأشخاص الخمسة ربما كان على علم سابق بالجريمة؛ لأنه هو نفسه كان من بينهم. وهذا لا يعني أنها تشتبه في وجود أية صلة للسيد ريكروفت بالمأساة، ولكنها شعرت بأن طرحها هذه الفكرة قد لا يكون من اللباقة في شيء. سعت إلى توصيل مقصدها بطريقة أكثر التفافًا.

قالت: "هذا الأمر برمته يثير اهتمامي بشدة يا سيد ريكروفت، كما تقول، إنه لحدث مذهل. ألا تعتقد أن أيًا من الحاضرين - باستثنائك أنت طبعًا - يمارس الوساطة الروحانية؟".

"أيتها الشابة، أنا نفسي لست ممارسًا للوساطة الروحانية، وليست لديّ قدرة على هذا. أنا مجرد مراقب شديد الاهتمام".

"وماذا عن السيد جارفيلد؟".

قال السيد ريكروفت: " إنه شخص لطيف، ولكنه ليس رائعًا بأي شكل من الأشكال".

قالت إيميلي: "أحسبه ثريًا...".

قال السيد ريكروفت: "بل أعتقد أنه مفلس تمامًا. وأتمنى أن أكون قد استخدمت التعبير المناسب. وقد أتى إلى هنا للتقرب إلى خالته، التي يتوقع منها ما أسميه "التقدير". والسيدة بيرسهاوس حادة الذكاء، وأعتقد أنها تعرف قيمة ما يقدمه لها من اهتمام. ولكن نظرًا لأن لديها نوعًا ساخرًا من حس الدعابة، فإنها تبقيه يتقرب إليها".

قالت إيميلي: "أود أن ألتقي بها".

"نعم، يجب عليك بالتأكيد أن تلتقي بها. ولا شك أنها ستصر على الالتقاء بك. إنه الفضول... الفضول يا عزيزتي الآنسة تريفوسيس".

قالت إيميلي: "أخبرني عن السيدة ويليت وابنتها".

قال السيد ريكروفت: "رائعتان... رائعتان إلى حد بعيد. وهما من أهل المستعمرات بالطبع. وليست لديهما الرزانة، إذا كنت تفهمين مقصدي. وهما مفرطتان للغاية في

ضيافتهما. وكل شيء لديهما به مسحة خفيفة من الأناقة. والآنسة فيوليت فتاة جميلة للغاية".

قالت إيميلي: "لقد اختارتا مكانًا غريبًا لقضاء الشتاء".

"نعم، غريب للغاية، أليس كذلك؟ ولكنه منطقي رغم كل شيء. ونحن الذين نعيش في هذه البلاد نتوق لأشعة الشمس، والأجواء الساخنة، وأشجار النخيل الباسقة. وكذلك الأشخاص الذين يعيشون في أستراليا أو جنوب إفريقيا منبهرون بفكرة قضاء الاحتفالات على الطراز القديم بين الثلوج والجليد".

قالت إيميلى لنفسها: "من منهما يا ترى قالت له ذلك؟".

فكرت في أنه ليس من الضروري للمرء أن يدفن نفسه في قرية ذات أرض قاحلة كهذه بغية قضاء مناسبة على الطراز القديم بين الثلوج والجليد. ومن الواضح أن السيد ريكروفت لم يرَ أي شيء مريب في اختيار عائلة ويليت منتجعًا شتويًا لها. ولكنها فكرت بأن ذلك ربما بدا طبيعيًا بالنسبة لشخص عالم بالطيور وبالجرائم. وبدا جليًا أن سيتافورد مكان مثالي لإقامة السيد ريكروفت؛ ولذلك فهو لا يستطيع تصور أنها بيئة غير صالحة لأي شخص آخر.

وكانا ينزلان ببطء من منحدر جانب التل، ووصلا إلى الطريق، حينما سألته إيميلي فجأة:

"من الذي يعيش في ذلك المنزل الصغير؟".

"الكابتن وايت... إنه عاجز. وأظن أنه انطوائي للغاية".

"هل كان صديقًا للكابتن تريفيليان؟".

"لم يكن صديقًا مقربًا بأي شكل من الأشكال. وكان تريفيليان يكتفي بإجراء زيارة رسمية له من حين إلى آخر. وفي الواقع، لم يكن وايت يشجع أحدًا على زيارته. إنه رجل فظ".

ظلت إيميلي صامتة. وقد كانت بصدد دراسة الكيفية التي يمكنها هي نفسها أن تزوره بها؛ فهي لا تنوي السماح بترك أية زاوية هجوم من دون استكشاف.

وفجأة تذكرت العضو المشارك في جلسة تحضير الأرواح الذي لم يذكر حتى الآن، فسألت بابتهاج:

"وماذا عن السيد دوك؟".

"ماذا عنه؟!".

"حسنًا، من يكون؟".

قال السيد ريكروفت ببطء: "حسنًا، هذا ما لا يعلمه أحد".

قالت إيميلي: "يا للغرابة!".

قال السيد ريكروفت: "في الحقيقة، ليس أمره غريبًا. وسوف ترين أن دوك ليس بالشخص الغامض على الإطلاق. وأظن أن الغموض الوحيد في شأنه هو أصله الاجتماعي. لا... ليس تمامًا، إذا كنت تفهمين مقصدي". ثم استدرك في عجالة قائلًا: "ولكنه رجل طيب تمامًا".

ظلت إيميلي صامتة.

وتوقف السيد ريكروفت ثم قال: "هذا منزلي، ربما ستمنحينني شرف دخولك فيه ورؤيته من الداخل".

قالت إيميلي: "هذا من دواعي سروري".

مشى الاثنان في الممر الصغير المؤدي إلى المنزل ودخلاه. وكان المنزل من الداخل رائعًا للغاية، وكانت خزانات الكتب تصطف بطول الجدران.

وظلت إيميلي تتنقل من إحداها إلى الأخرى وهي تستطلع عناوين الكتب بشغف. وكان أحد الأقسام يتناول الظواهر الخارقة، وهناك آخر يتناول القصص البوليسية الحديثة، ولكن القسم الأكبر حتى الآن كان يتناول علم الجريمة وأشهر المحاكمات العالمية. وكانت الكتب المختصة بعلم الطيور تشغل حيزًا صغيرًا نسبيًا.

قالت إيميلي: "أعتقد أن هذه الكتب كلها ممتعة. يجب أن أعود الآن؛ فأنا أعتقد أن السيد أنديربي في انتظاري. وفي الواقع، أنا لم أتناول وجبة الإفطار بعد. وقد أخبرنا السيدة كورتيس أن تعده لنا في الساعة التاسعة والنصف، وأرى الساعة قد جاوزت العاشرة. وقد تأخرت كثيرًا... ذلك لأنك كنت مثيرًا للاهتمام بشدة... ومتعاونًا للغاية".

قال السيد ريكروفت عندما ألقت إيميلي عليه نظرة ساحرة: "سأبذل كل ما بوسعي. ويمكنك أن تعتمدي عليّ، فنحن شريكان".

مدت إيميلي إليه يدها وضغطت على يده بحرارة.

وقالت مستخدمة العبارة التي وجدتها - في أثناء فترة حياتها القصيرة - أشد تأثيرًا: "من الرائع أن يشعر المرء بأن هناك من يمكنه الاعتماد عليه بالفعل".

الفصل 17

الآنسة بيرسهاوس

عادت إيميلي لتجد البيض واللحم المقدد وتشارلز في انتظارها.

ما زال قلب السيدة كورتيس يفيض بالإثارة لهروب المتهم.

وقالت: "مر عامان على آخر محاولة هروب، ومضت ثلاثة أيام قبل العثور على ذلك المجرم، وقد أمسكوا به بالقرب من مورتونهامستيد".

سألها تشارلز: "هل تعتقدين أنه سوف يمر من هنا؟". فرفضت من واقع خبرتها بالمكان هذا الاحتمال، وقالت:

"لا يمر الهاربون من هنا؛ فالمكان كله عبارة عن سهل مكشوف، ولا توجد سوى مدن صغيرة عند الخروج من السهل. وسوف يجتهد السجين في الوصول إلى بليموث، هذا هو الأرجح. ولكنهم سيلقون القبض عليه قبل ذلك بوقت طويل".

قالت إيميلي: "يمكنك أن تجدي مكان اختباء جيداً بين تلك الصخور الموجودة على الجانب الآخر من الهضبة".

"أنت محقة يا آنسة، فهناك مكان يصلح للاختباء في تلك المنطقة، وهم يسمونه كهف بيكسي. وقد يبدو لك أن له فتحة ضيقة بين الصخور، ولكنه متسع من الداخل. يقولون إن أحد رجال الملك تشارلز اختبأ هناك ذات مرة لمدة أسبوعين، وكانت هناك خادمة من إحدى المزارع تأتيه بالطعام".

وقال تشارلز: "يجب أن ألقي نظرة على كهف بيكسي هذا".

"سوف تندهش لمدى صعوبة العثور عليه يا سيدى. فقد كان الكثير من المتنزهين في الصيف يبحثون عنه طوال فترة ما بعد الظهيرة ولا يجدونه، ولكن إذا وجدته فاحرص على ترك دبوس بداخله لجلب الحظ الحسن".

وبعد الانتهاء من الإفطار وخروج تشارلز وإيميلي للتمشية في الحديقة الصغيرة، قال تشارلز: "أتساءل إن كان يجب علي الذهاب إلى برينستاون. من المدهش كيف تتراكم الأمور بمجرد أن يتوافر لك القليل من الحظ. ها أنا ذا... بدأت بجائزة بسيطة

في مسابقة لكرة القدم، وسرعان ما وجدت نفسي مباشرة أمام مجرم هارب وقاتل. رائع!".

"ماذا عن تصوير منزل الميجور برنابي؟".

نظر تشارلز إلى السماء ثم قال:

"أعتقد أنني سأقول إن الطقس لا يساعد على ذلك. عليّ التمسك بسبب وجودي في سيتافورد لأطول فترة ممكنة، وسوف ينتشر الضباب بكثرة. إمممم... أتمنى ألا تمانعي إن أخبرتك بأنني أرسلت للتو برقية فيها حوار معك، هل تمانعين؟".

قالت إيميلي بطريقة آلية: "أوه! لا بأس. ماذا جعلتني أقول؟".

قال السيد أنديربي: "النوع المعتاد من الكلام الذي يحب الناس سماعه: سجل موفدنا الخاص لقاءً مع الآنسة إيميلي تريفوسيس، خطيبة السيد جيمس بيرسون الذى ألقت الشرطة القبض عليه ووجهت له تهمة قتل الكابتن تريفيليان... ثم ذكرت انطباعي عنك وعن كونك فتاة جميلة شجاعة".

قالت إيميلي: "شكرًا لك".

"وقصيرة الشعر".

"ماذا تقصد بقصيرة الشعر؟".

قال تشارلز: "أنت".

قالت إيميلي: "بالطبع أنا هكذا، ولكن لماذا ذكرت ذلك؟".

"دائمًا ما تحب القارئات معرفة هذه الأمور. وكان حوارًا رائعًا. أنت لا تدركين كم من الأمور النسائية الرقيقة المؤثرة التي قلتها عن وقوفك بجانب خطيبك حتى لو كان العالم بأسره ضده".

قالت إيميلي وقد أبدت بعض الدهشة: "هل قلت ذلك حقًا؟".

قال السيد أنديربي بقلق: "هل لديك مانع؟".

قالت إيميلي: "أوه! كلا. استمتع بنفسك يا عزيزي". فبدا السيد أنديربي مندهشًا بعض الشيء.

قالت إيميلي: "لا داعي للدهشة. هذا مجرد اقتباس. لقد حفظته من أحد الكتب المدرسية، وكان من بين تلك الاقتباسات: لا تكن شرهًا".

"أوه! فهمت. لقد وضعت فقرة جيدة عن وظيفة الكابتن تريفيليان البحرية، وأدرجت تلميحًا بسيطًا إلى احتمالية امتلاكه تحفًا قيمة وقيام أحد اللصوص بسرقتها... إنه مجرد تلميح كما تعلمين".

قالت إيميلي: "حسنًا، يبدو أنك قد أديت عمل يومك على نحو جيد".

"ماذا كنت تفعلين أنت؟ لقد استيقظتِ في وقت مبكر جدًا".

وصفت إيميلي لقاءها بالسيد ريكروفت.

وتوقفت فجأة عن حديثها. ونظر أنديربي إلى حيث تنظر هي، فرأى شابًا وردي اللون موفور الصحة يميل على البوابة ويصدر عبارات اعتذارية بصوت مختلف الشدة لجذب الانتباه.

قال الشاب: "أنا آسف لقطع حديثكما ولتطفلي. أقصد أن موقفي محرج للغاية، ولكن أرسلتني خالتي إليكما".

قالت إيميلي وتشارلز في وقت متزامن: "أوه". وقالاها بنبرة استفسارية؛ إذ لم يزدهما الشرح فهمًا للموقف.

قال الشاب: "نعم، في الحقيقة، خالتي متسلطة. وما تقوله ينفذ - إذا كنتما تفهمان ما أعني. وأنا أعلم بالطبع أن من السيئ قدومي في وقت مثل هذا، ولكنكما لا تعرفان خالتي... وإذا أتيتما إليها كما تريد هي، فستعرفانها في دقائق معدودة...".

قالت إيميلي فجأة: "هل خالتك هي السيدة بيرسهاوس؟".

قال الشاب بكثير من الارتياح: "هذا صحيح. إذن أنت تعرفين كل شيء عنها؟ أحسب أن السيدة كورتيس حدثتك عنها. إنها ثرثارة، أليس كذلك؟ ولكن هذا لا يعني أنها سيئة. حسنًا، في الحقيقة، قالت خالتي إنها تريد رؤيتكما، وقد جئت إليكما لأخبركما بذلك. وأنا أنقل إليكما تحياتها، وأسألكما عما إذا كان هذا الأمر سيسبب لكما الكثير من الإزعاج... وهي عاجزة وغير قادرة تمامًا على الخروج من منزلها، وسيكون لطفًا كبيرًا منكما إذا... حسنًا، أنتما تعرفان مثل هذه المقدمات، ولا حاجة إلى قولها. في الواقع، إن فضولها بالطبع هو سبب دعوتها إياكما، وإذا قلتما إن بكما صداعًا أو لديكما رسائل تريدان كتابتها فلا بأس، ولا حاجة بكما لهذا الإزعاج".

قالت إيميلي: "أوه، ولكنني أريد أن أزعج نفسي، وسآتي معك على الفور. والسيد أنديربي سيذهب لزيارة الميجور برنابي".

قال أنديربي بصوت خافت: "هل يتعين عليّ ذلك؟.

قالت إيميلي بحزم: "نعم، يتعين عليك".

ثم صرفته بإيماءة آمرة، وصحبت صديقها الجديد في الطريق، وقالت له:

"أعتقد أنك السيد جارفيلد".

"هذا صحيح. كان يتعين عليّ أن أعرفك بنفسي".

قالت إيميلي: "أوه، حسنًا، لم يكن من الصعب عليّ أن أخمن".

قال السيد جارفيلد: "رائع منك أن تأتي هكذا؛ فالكثير من الفتيات كن سيشعرن بإساءة بالغة من جراء دعوة كهذه. ولكنك تعرفين طبيعة السيدات العجائز".

"هل تعيش هنا يا سيد جارفيلد؟".

قال روني جارفيلد بحماس: "كلا بالتأكيد. هل رأيت في حياتك مكانًا بائسًا كهذا؟ إنه يفتقر حتى إلى سينما يمكن للمرء دخولها. وأنا أتساءل عن الجرم الذي ارتكبه المرء حتى...".

وتوقف لبرهة وهو يشعر بالذعر مما تفوه به، ثم قال:

"أنا آسف. أنا أبأس إنسان عاش على وجه الأرض، ودائمًا ما أتفوه بالأمر الخطأ. وأنا لم أقصد هذا مطلقًا".

قالت إيميلي بهدوء: "أنا متأكدة من ذلك".

قال السيد جارفيلد: "ها قد وصلنا". وفتح البوابة، فدخلت إيميلي من خلالها وصعدت الممر المؤدي إلى منزل صغير مماثل للمنازل الأخرى. وفي حجرة الاستقبال المطلة على الحديقة، كانت هناك أريكة ترقد عليها عجوز ذات وجه نحيف مجعد، ولديها أنف لم ترَ إيميلي مثله قط في الحدة والفضول. رفعت نفسها بقليل من الصعوبة على أحد مرفقيها. وقالت:

"لقد أحضرتها إذن. من اللطيف للغاية يا عزيزتي أن تأتي لزيارة امرأة عجوز مثلي. ولكن كما تعرفين، عندما تكونين عاجزة، يجب أن تأخذي نصيبك من كل فطيرة، وإذا تعذر عليك الذهاب لأخذ نصيبك من الفطيرة، فيجب أن تُحْضَرَ الفطيرة إليك. وليس عليك أن تعتقدي أن كل ما دفعني إلى إحضارك إلى هنا هو الفضول... بل الأمر أكبر من ذلك. يا روني، اذهب إلى الخارج لطلاء أثاث الحديقة. في السقيفة الموجودة في نهاية الحديقة، سوف تجد كرسيين من الصفصاف ومقعدًا خشبيًا، وستجد الطلاء هناك بالفعل".

"حسنًا يا خالتي كارولين".

اختفى ابن الأخت المطيع.

وقالت الآنسة بيرسهاوس: "اجلسي".

جلست إيميلي على الكرسي المشار إليه. ومن الغريب القول إنها شعرت على الفور بحب وتعاطف واضحين نحو هذه العجوز المقعدة سليطة اللسان. وشعرت في الواقع بنوع من القرابة معها.

قالت إيميلي في نفسها: "ها هي امرأة أخرى تدخل مباشرة في صلب الموضوع،

وتحصل على ما تريد، وتتحكم في كل من يمكنها التحكم فيه. وهي مثلي تمامًا، غير أني جميلة بعض الشيء، أما هي فتعتمد على قوة شخصيتها".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "علمت أنك الفتاة المخطوبة لابن أخت تريفيليان، وسمعت كل شيء عنك، والآن، وقد رأيتك، فهمت ما تسعين إليه بالضبط. وأتمنى لك حظًا سعيدًا".

قالت إيميلي: "شكرًا لك".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "أنا أكره المرأة العاطفية الرخوة، وأحب التي تنهض وتفعل ما يجب فعله".

ونظرت إلى إيميلي بحدة وقالت:

"أحسبك تشفقين عليّ... فأنا راقدة هنا ولا أستطيع النهوض أو السير؟".

قالت إيميلي بلطف: "كلا، لا أحسبني أشعر بذلك. وأعتقد أن بوسع المرء، إذا كان لديه عزم، أن يحصل دائمًا على شيء من الحياة. وإذا تعذر عليك نيله بطريقة ما فيمكنك الحصول عليه بطريقة أخرى".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "هذا صحيح تمامًا. عليك أن تنظري للحياة من زاوية مختلفة، هذا كل ما في الأمر".

همهمت إيميلي بقولها: "زاوية هجوم" .

قالت بيرسهاوس:"ماذا تقولين؟".

وبكل وضوح ممكن، بينت إيميلي بإيجاز النظرية التي استنبطتها في صباح ذلك اليوم، وتطبيقها على المسألة التي أمامها.

قالت الآنسة بيرسهاوس وهي تومئ برأسها: "ليست سيئة".

"والآن يا عزيزتي... فلنشرع في العمل. وبما أنني لست حمقاء بطبيعتي، فأعتقد أنك أتيت إلى هذه القرية لمعرفة كل ما يمكنك معرفته عن الناس هنا، ولمعرفة ما إذا كان لما ستعرفينه أية علاقة بجريمة القتل. حسنًا، إذا كان هناك أي شيء تريدين معرفته عن الناس هنا، فبوسعي أن أخبرك به".

لم تضيع إيميلي وقتًا، فبإيجاز وجدية دخلت في صلب الموضوع، وسألتها:

"ماذا تعرفين عن الميجور برنابي؟".

"إنه مثال نمطي للضابط المتقاعد: ضيق الأفق، نزّاع إلى الغيرة، وساذج في المسائل المالية. وهو من الرجال الذين يستثمرون أموالهم في أفشل المشروعات لأنهم لا يستطيعون أن يروا أبعد من أنوفهم. ويحب أن يسدد ديونه على الفور، ولا يحب

الأشخاص الذين لا يمسحون أقدامهم في ممسحة الأقدام".

قالت إيميلي: "وماذا عن السيد ريكروفت؟".

"إنه رجل صغير الجسم غريب الشأن، وشديد الغرور. وهو غريب الأطوار، ويحب أن يرى نفسه شخصاً رائعاً. وأحسبه عرض عليك مساعدته في حل القضية على النحو الصحيح، وذلك لمعرفته الرائعة بعلم الجريمة".

أقرت إيميلي بأن هذا هو ما حدث.

"وماذا عن السيد دوك؟".

"لا أعرف شيئًا عن ذلك الرجل... ولكن يجب عليّ أن أعرف. وهو من النوع العادي من الرجال. كان يتعين عليّ أن أعرف الكثير عنه... ولكني لا أعرف عنه شيئًا. هذا أمر غريب، وهو أشبه باسم على طرف لسانك ولكنك لا تستطيعين تذكره".

سألت إيميلي: "وماذا عن عائلة ويليت؟".

رفعت الآنسة بيرسهاوس نفسها مرة أخرى مستندة إلى مرفقها في شيء من الإثارة وقالت: "آه! عائلة ويليت! حقًا، ماذا عن عائلة ويليت؟ سوف أخبرك بشيء عنهما يا عزيزتي. وقد يكون ما أخبرك به مفيداً لك، وقد لا يكون كذلك. اذهبي إلى مكتبي الذي هناك، ثم اسحبي الدرج الأعلى الصغير... الأيسر... هذا هو. أحضري المظروف الأبيض الموجود فيه".

أحضرت إيميلي المظروف كما قيل لها.

قالت الآنسة بيرسهاوس: "أنا لا أقول إنه مهم... ربما لا يكون كذلك. واعلمي أن الجميع يتفوهون بالأكاذيب بطريقة ما أو بأخرى، ويحق للسيدة ويليت هذا تماماً مثلما يحق للجميع".

أخذت المظروف ووضعت يدها فيه، ثم قالت:

"سوف أخبرك بكل شيء عن الأمر. عندما وصلت عائلة ويليت إلى هنا مع ملابسهما الأنيقة وخادماتهما، وصناديقهما الحديثة، جاءت السيدة ويليت وابنتها فيوليت في سيارة فورد، وجاءت الخادمات والصناديق الحديثة بالحافلة. وبطبيعة الحال، كان هذا الأمر برمته حدثًا مميزًا، وكنت أشاهدهم عندما مروا بمنزلي، ورأيت ملصقًا ملونًا سقط من أحد الصناديق وحط على أحد جوانب سور منزلي. وإذا كان هناك شيء واحد أكرهه أكثر من غيره، فهذا الشيء هو النفايات الورقية أو أي شكل من أشكال الفوضى؛ لذا أرسلت روني لالتقاطه، وكنت على وشك إلقائه في سلة المهملات عندما استوقفني جماله وألوانه الزاهية، ورأيت أن من الأفضل الاحتفاظ به لوضعه في كتيبات الملصقات التي أصنعها لمستشفى الأطفال. حسنًا، لم أفكر فيه ثانية إلا عندما ذكرت السيدة ويليت عمداً في مناسبتين أو ثلاث أن فيوليت لم تغادر قط جنوب إفريقيا، وأنها هي نفسها لم

تسافر إلا إلى جنوب إفريقيا، وإنجلترا، والريفييرا".

قالت إيميلي: "هل هذا صحيح؟".

"صحيح تمامًا. والآن... انظري إلى هذا".

وضعت الآنسة بيرسهاوس ملصق حقائب في يد إيميلي، وهو يحمل اسم فندق مندل، ملبورن.

قالت الآنسة بيرسهاوس: " أستراليا ليست جنوب إفريقيا... أَوْ لم تكن كذلك في أيام شبابي. وأظنه ليس مهمًا، ولكن خذيه أيًا كانت قيمته. وسأخبرك بشيء آخر، لقد سمعت السيدة ويليت تنادي ابنتها مستخدمة كلمة "كووي"، وهي كلمة تستخدم في أستراليا، لا في جنوب إفريقيا. وما أريد قوله هو أن هذا أمر غريب. لماذا لا تريد أن تعترف بأنها قادمة من أستراليا ما دامت كذلك؟".

قالت إيميلي" هذا غريب بالتأكيد. ومن الغريب أيضًا أن تأتيا للإقامة هنا في وقت الشتاء".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "هذا واضح أشد الوضوح. هل التقيت بهما؟".

"كلا. كنت أفكر في الذهاب إلى هناك في هذا الصباح، غير أني لم أعرف ماذا سأقول لهما".

قالت الآنسة بيرسهاوس بسرعة: "سوف أمنحك مبررًا للذهاب إليهما. أحضري لي قلمًا، وبعض الأوراق، ومظروفًا. أجل، من هناك. والآن دعيني أر ماذا سأكتب". وصمتت عمدًا، ثم من دون تحذير صاحت بصوت بشع:

"يا روني، روني، روني! هل الفتى أصم؟ لماذا لا يأتي عندما يناديَ؟ روني! روني!".

جاء روني مهرولًا وفي يده فرشاة الطلاء.

"ما الأمر أيتها الخالة كارولين؟".

"ماذا يمكن أن يكون الأمر؟ لقد كنت أناديك، هذا كل ما في الأمر. هل تناولت أي نوع مميز من الكعك مع الشاي عندما كنت في منزل السيدة ويليت بالأمس؟".

" نوع مميز من الكعك؟".

"الكعك أو الشطائر... أي شيء. يا لك من بطيء يا فتى، ماذا أكلت مع الشاي؟".

قال روني في حيرة كبيرة: "تناولنا كعك القهوة وبعض الشطائر...".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "كعكة القهوة، سيفي هذا بالغرض". وبدأت في الكتابة بسرعة، وقالت: "يمكنك العودة إلى طلائك يا روني. لا تتسكع هنا، ولا تقف هكذا فاغرًا فاك. لقد استأصلوا لك الزائدة الأنفية عندما كنت في الثامنة من عمرك، ومن

ثم ليس هناك أي سبب لفتح فمك هكذا".

وتابعت الكتابة:

عزيزتي السيدة ويليت،

سمعت أنك قدمت بالأمس ألذ كعكة قهوة مع الشاي، فهلا تكرمت بإعطائي وصفة صنعها. أنا أعرف أنك لن تمانعي أن أطلب منك هذا... فالمرأة العاجزة مثلي ليس لديها اختلاف في حياتها إلا في غذائها. وقد تفضلت الآنسة تريفوسيس ووعدتني بتوصيل هذه الرسالة إليك لأن روني مشغول في هذا الصباح. أليس ذلك الخبر عن هروب أحد السجناء مروعاً؟

المخلصة لك جداً،

كارولين بيرسهاوس

وضعت الرسالة في مظروف، وختمته، وكتبت عليه اسم المرسل إليه، وقالت:

"تفضلي أيتها الشابة. وقد تجدين عتبة الباب مكتظة بالصحفيين؛ فقد عبر الكثير منهم الطريق في حافلات صغيرة. لقد رأيتهم. ولكن فلتسألي عن السيدة ويليت وأخبريهم بأنك تحملين رسالة مني، فسيسمحون لك بالدخول. ولا حاجة لأن أقول لك أبقي عينيك مفتوحتين واغتنمي زيارتك على أفضل نحو ممكن؛ فأنت ستفعلين هذا على أية حال".

قالت إيميلي: "أنت لطيفة، لطيفة حقّاً".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "أنا أساعد من يساعدون أنفسهم. وبالمناسبة، لم تسأليني عن رأيي في روني حتى الآن. وأظنه في قائمتك الخاصة بسكان القرية. إنه فتى طيب بطبيعته، ولكنه ضعيف على نحو يثير الشفقة. ويؤسفني القول إن من شأنه فعل أي شيء تقريباً من أجل المال. انظري إلى ما يتحمله مني! وليس لديه العقل ليدرك أن من شأني أن أحبه عشرة أضعاف ما أحبه لو أنه وقف في وجهي من حين إلى آخر وقال لي فلتذهبي إلى الجحيم".

"والشخص الوحيد المتبقي من سكان القرية هو الكابتن وايت. وهو يدخن السجائر بحسب ظني. وهو أسوأ أهل إنجلترا طبعاً. هل تريدين معرفة أي شيء آخر؟".

قالت إيميلي: "لا أعتقد ذلك؛ فما أخبرتني به يبدو شاملاً وكافياً تماماً".

الفصل 18

زيارة إيميلي لمنزل سيتافورد

في أثناء سير إيميلي بسرعة على الطريق، لاحظت مرة أخرى كيف يتغير الصباح؛ فقد كان الضباب يحيط بالمكان.

قالت إيميلي في نفسها: "يا له من مكان فظيع للسكنى في إنجلترا؛ فإذا لم تتساقط الثلوج أو الأمطار أو تهب العواصف، يعم الضباب. وإذا كانت الشمس مشرقة، يكون البرد قارساً لدرجة أنك لا تستطيع الشعور بأصابع يديك أو أصابع قدميك".

وانقطعت تأملاتها بصوت أجش يتحدث قريباً من أذنها اليمنى ويقول:

"عفواً، هل رأيت كلبة من نوع بول تيريير؟".

فزعت إيميلي واستدارت فجأة، فرأت رجلاً نحيفاً، داكن البشرة، ذا عينين حمراوين، أشيب الشعر يطل برأسه من فوق بوابة منزله. وكان مستنداً إلى عكاز، وينظر إلى إيميلي باهتمام شديد. ولم تجد صعوبة في معرفة أنه الكابتن وايت، الرجل العاجز الذي يملك المنزل رقم 3.

قالت إيميلي: "لا، لم أرها".

قال الكابتن وايت: "لقد خرجت من المنزل. إنها كلبة وفية، ولكنها حمقاء تماماً؛ لخروجها في وجود كل تلك السيارات والمركبات...".

قالت إيميلي: "لا أعتقد أن العديد من المركبات تسير على هذا الطريق".

قال الكابتن وايت بفظاظة: "بل تسير الحافلات الصغيرة عليه في فصل الصيف، إنها رحلة الثمانية عشر بنساً الصباحية المنطلقة من إكزامبتون، وهي تصعد هضبة سيتافورد ثم تقف في منتصف الطريق لتناول المرطبات الخفيفة".

قالت إيميلي: "نعم، ولكننا لسنا في فصل الصيف".

قال: "ورغم هذا مرت توّاً إحدى الحافلات الصغيرة. وأحسبها تقل صحفيين قادمين لإلقاء نظرة على منزل سيتافورد".

سألته إيميلي: " هل كنت تعرف الكابتن تريفيليان جيداً؟".

لقد كانت ترى أن حادثة الكلبة مجرد حيلة من الكابتن وايت أملاها عليه فضوله الفطري. وهي تعي جيداً أنها أصبحت مركز الاهتمام الرئيسي في سيتافورد في الوقت الحاضر، ومن الطبيعي أن يرغب الكابتن وايت في إلقاء نظرة عليها كالجميع.

قال الكابتن وايت: "أنا لا أعرفه جيداً. لقد باع لي هذا المنزل".

قالت إيميلي مشجعة إياه: "نعم...".

قال الكابتن وايت: "لقد كان رجلًا جشعًا. كان الاتفاق ينص على إعداد المنزل بما يلائم ذوق المشتري، ولمجرد أنني رغبت في طلاء إطارات النوافذ البنية باللون الأصفر طلب مني أن أدفع مقابل ذلك، وقال إن الاتفاق ينص على أن يكون لون المنزل موحداً".

قالت إيميلي: "أنت لم تكن تحبه".

قال الكابتن وايت: "دائمًا ما كانت توجد خلافات بيننا". ثم استدرك قائلًا: "ولكنني دائمًا ما أكون في خلافات مع الجميع. وفي مكان كهذا يجب عليك تعليم الآخرين تركك وشأنك. فهم دائمًا ما يقرعون الباب ويدخلون ويثرثرون. وأنا لا أمانع في زيارة الآخرين لي عندما يروقني ذلك... ولكن عندما يروقني أنا، لا عندما يروقهم هم. ولا فائدة من تعامل تريفيليان معي بأسلوب الإقطاعي الذي يتفقد رعاياه ويزورني متى أَحَب". وقال برضا: "لم يعد هناك أي أحد يقترب مني الآن".

قالت إيميلي: "أوه!".

ثم قال الكابتن وايت. "أهم ميزة في اقتناء خادم من أهل هذه البلاد هي أنهم يفهمون الأوامر". ثم صاح: "يا عبدول".

فخرج من المنزل رجل هندي مرتديًا عمامة، ووقف بانتباه.

قال الكابتن وايت: "تفضلي بالدخول، وتناولي شيئًا، وشاهدي منزلي الصغير من الداخل".

قالت إيميلي: "أنا آسفة؛ فأنا في عجالة من أمري".

قال الكابتن وايت: "أوه، لا، أنت لست مضطرة لذلك".

قالت إيميلي: "بل أنا مضطرة لذلك؛ فلديّ موعد".

قال الكابتن وايت: "لا أحد يعرف فن العيش في هذه الأيام. فاللحاق بالقطارات، وتحديد المواعيد، وتخصيص أوقات ثابتة لكل شيء... هذا كله هراء. ومن رأيي أن على المرء الاستيقاظ مبكراً مع شروق الشمس، وتناول وجباته عندما يشعر بالجوع، وألا يربط نفسه أبداً بوقت أو موعد. وبوسعي أن أعلم الناس كيف يعيشون حياتهم إذا

استمعوا لي".

فكرت إيميلي بأن نتائج هذه الطريقة السامية للعيش ليست مبشرة تمامًا. وهي لم ترَ شخصًا أشبه بحطام رجل من الكابتن وايت. ورغم هذا، ونظرًا لأنها شعرت بأن فضوله قد أشبع بما يكفي حتى الآن، فقد أصرت مرة أخرى على ضرورة حضور موعدها وغادرت.

كان لمنزل سيتافورد باب أمامي من البلوط الصلب، وجرس أنيق، وممسحة أقدام سلكية كبيرة أمام بابه، وصندوق خطابات نحاسي مصقول على نحو رائع. وكما رأت إيميلي، كانت تبدو على المنزل الراحة والفخامة. وأجابتها خادمة أنيقة المظهر ورسمية الأسلوب عندما دقت الجرس.

وقد استنتجت إيميلي أن الصحفيين المزعجين سبقوها إليهم؛ حيث قالت الخادمة على الفور وبنبرة غير ودية: "لن تقابل السيدة ويليت أحدًا في هذا الصباح".

قالت إيميلي: "معي رسالة من الآنسة بيرسهاوس".

غيرت هذه العبارة مجرى الأمور بوضوح، فقد عبر وجه الخادمة عن التردد، ثم غيرت موقفها وقالت:

"تفضلي بالدخول".

أدخلتها الخادمة إلى ما يصفه الوكلاء العقاريون بـ "صالة مفروشة على أعلى مستوى"، ثم إلى حجرة استقبال كبيرة. وكانت هناك نار تتراقص في المدفأة، ولمسات نسائية في الحجرة كبعض أزهار الزنبق في زهرية زجاجية، وسلة فيها أدوات حياكة، وقبعة فتاة، ودمية مهرج ذات ساقين طويلتين للغاية. ولاحظت أنه لا توجد أية صور فوتوغرافية هناك.

وبعد أن استوعبت إيميلي جميع ما في الحجرة، راحت تدفئ يديها أمام النار، وعندها انفتح الباب ودخلت فتاة في مثل عمرها. ورأت إيميلي فتاة فائقة الجمال، وترتدي ملابس أنيقة وباهظة الثمن، وحسبت أيضًا أنها لم ترَ فتاة أكثر قلقًا منها، رغم أن ذلك لم يكن باديًا عليها. وكانت الآنسة ويليت هذه تتصنع الهدوء والارتياح.

سبقتها الفتاة إلى المصافحة وقالت: "صباح الخير. آسفة جدًا لأن أمي لم تنزل، ولكنها تمضي فترة الصباح في فراشها".

قالت إيميلي: "أوه، أنا آسفة للغاية. أخشى أن أكون قد جئت في وقت غير مناسب".

"كلا بالطبع. سوف تكتب الطاهية وصفة تلك الكعكة الآن. ونحن مسرورون للغاية لأن الآنسة بيرسهاوس ستتناولها. هل تسكنين معها؟".

فكرت إيميلي بابتسامة خفية في أنه ربما يكون هذا هو المنزل الوحيد في سيتافورد الذي لم يعلم سكانه بها وبسبب وجودها هنا. ولمنزل سيتافورد نظام محدد لأصحاب العمل والعاملين. وربما يعرف العاملون شيئًا عنها... أما أصحاب العمل فمن الواضح أنهم لا يعرفون عنها أي شيء.

قالت إيميلي: "أنا لا أسكن معها، بل في الحقيقة أنا أسكن في منزل السيدة كورتيس".

قالت الآنسة ويليت: "بالطبع، فمنزلها صغير للغاية، ويعيش معها ابن أختها روني، أليس كذلك؟ وأحسب أنه لا يوجد فيه مكان من أجلك أنت أيضًا. وهي امرأة رائعة، أليست كذلك؟ ودائمًا ما أراها ذات شخصية قوية للغاية، ولكنني أخشاها حقًا".

قالت إيميلي مصدقة على كلامها بمرح: "إنها متنمرة، أليست كذلك؟ ولكن لدى كل امرئ ميلًا كبيرًا إلى التنمر على الآخرين، وخاصة إذا لم يقفوا في وجهه".

تنهدت الآنسة ويليت ثم قالت:

"أتمنى لو أن باستطاعتي مواجهة الآخرين. لقد مررنا بصباح مزعج للغاية اليوم بسبب الصحفيين".

قالت إيميلي: "أوه، بالطبع. هل هذا منزل الكابتن تريفيليان حقًا؟... ذلك الرجل الذي قُتل في إكزامبتون".

وكانت تحاول تحديد السبب الحقيقي لاضطراب فيوليت ويليت. وكان واضحًا أن الفتاة مشغولة البال؛ فهناك شيء ما يخيفها... يخيفها بشدة. وذكرت إيميلي اسم الكابتن تريفيليان بوضوح عمدًا، فلم تبدِ الفتاة أي رد فعل مميز، ولكن لعلها كانت تتوقع مثل هذه الإشارة إليه حينها.

قالت الآنسة ويليت: "نعم، ألم يكن ذلك فظيعًا؟".

"أخبريني عن هذا الأمر... أم لديك مانع في التحدث عنه؟".

"لا... لا... بالطبع لا... لماذا أمانع؟".

قالت إيميلي في نفسها: "هناك أمر ما غير طبيعي بشأن هذه الفتاة؛ فهي لا تكاد تعي ما تقول. ما الذي أصابها بالتوتر في هذا الصباح بالتحديد؟".

قالت إيميلي: "بالنسبة لمسألة تحضير الأرواح، لقد سمعت بها بشكل عارض، وبدت لي مشوقة على نحو مخيف للغاية... أعني أنها مروعة جدًا".

وقالت في نفسها: "سألعب دور الفتاة المهتمة بالإثارة".

قالت فيوليت: "أوه، لقد كان أمرًا مروعًا. ذلك المساء... لن أنسى ما حدث فيه

أبداً! لقد ظننا بالطبع أن أحدنا يخدع البقية... وبدت لنا تلك مزحة بغيضة للغاية".

"وماذا بعد؟".

"لن أنسى أبداً عندما أشعلنا الأنوار... بدا الجميع غاية في الغرابة، عدا السيد دوك والميجور برنابي... فهما من النوع الرزين، وهما لا يحبان الاعتراف بتأثرهما بأي شيء من هذا القبيل. ولكن بدا واضحاً أن الميجور برنابي أصابه الانزعاج الشديد بسببه. وأعتقد أنه صدق الأمر بقدر أكبر من أي أحد آخر. ولكن السيد ريكروفت المسكين كاد يصاب بأزمة قلبية أو شيء من هذا القبيل، رغم أن من المؤكد أنه معتاد هذا النوع من الأمور؛ لأنه يجري الكثير من الأبحاث عن الروحانيات. أما بالنسبة لـ روني، روني جارفيلد، أنت تعرفينه... فبدا كأنه رأى شبحاً... شبحاً حقيقياً. حتى والدتي كانت منزعجة للغاية... على نحو لم أره عليها من قبل".

قالت إيميلي: "من المؤكد أن ذلك كان مخيفاً للغاية. ليتني كنت هناك لأرى".

"لقد كان مخيفاً إلى حد بعيد حقًا. وتظاهرنا جميعاً بأنه كان... مجرد تسلية، ولكنه لم يبدُ كذلك. وبعد ذلك، عزم الميجور برنابي فجأة على الذهاب إلى إكزامبتون، وحاولنا جميعاً أن نمنعه، وقلنا له إنه سيدفن تحت كومة من الثلوج، ولكنه أصر على الذهاب. وجلسنا نحن هناك بعد مغادرته ونحن نشعر بالخوف والقلق. وبعد ذلك، وفي الليلة الماضية... لا، بل في صباح الأمس... جاءنا الخبر".

قالت إيميلي بصوت ينم عن الخوف: "هل تعتقدين أنها كانت روح الكابتن تريفيليان؟ أم أنه اتصال روحاني أو توارد خواطر؟".

"أوه، لا أعلم. ولكنني لن أسخر أبداً من هذه الأمور ثانية".

دخلت الخادمة ومعها ورقة مطوية وموضوعة على صينية، وأعطتها لفيوليت.

وتراجعت الخادمة، وفردت فيوليت الورقة، وألقت عليها نظرة، ثم أعطتها لإيميلي، وقالت:

"تفضلي. وفي الحقيقة، لقد جئت في الوقت المناسب تماماً؛ فجريمة القتل تلك أقلقت الخادمات، فهن يعتقدن أن العيش في هذا المكان النائي خطر. وغضبت والدتي منهن مساء أمس، وأمرتهن بحزم حقائبهن. وسوف يغادرن بعد الغداء. وسوف نستخدم رجلين بدلًا منهن... خادماً وسائقاً. أعتقد أن هذا سيكون أفضل بكثير".

قالت إيميلي: "الخدم سخفاء، أليس كذلك؟".

"إنهن يخفن كما لو أن الكابتن تريفيليان قُتل في هذا المنزل".

ثم سألتها إيميلي محاولة جعل السؤال يبدو صريحاً وعاديًا: "ما الذي جعلكما تفكران في القدوم للعيش هنا؟".

قالت فيوليت: "أوه، لقد ظننا أن الأمر سيكون ممتعًا للغاية".

"ألا تجدينه كئيبًا للغاية؟".

"أوه، نعم، أنا أحب هذه القرية".

ولكن عينيها تفادتا عيني إيميلي. وللحظة واحدة بدت مرتابة وخائفة.

تململت فيوليت بقلق في كرسيها، فنهضت إيميلي رغمًا عنها وقالت:

"يجب أن أذهب الآن. شكرًا جزيلًا لك يا آنسة ويليت. وآمل أن تكون والدتك بخير".

"أوه، هي بخير حقًا. ليس لديها سوى مشكلة الخادمات... وكل ذلك القلق المصاحب لها".

"بالطبع".

وببراعة، ومن دون أن يراها أحد، تمكنت إيميلي من ترك قفازيها على طاولة صغيرة. وصحبتها فيوليت حتى الباب الرئيسي، وودعت كل منهما الأخرى ببضع عبارات لطيفة.

كانت الخادمة التي فتحت لـ إيميلي الباب قد استخدمت مفتاحًا في ذلك، ولكن عندما أغلقته فيوليت ويليت بعد مغادرة ضيفتها، لم تسمع إيميلي أي صوت لمفتاح يغلقه. ولهذا، عندما وصلت إلى البوابة، عادت ببطء.

وقد أكدت زيارتها هذه نظرياتها عن منزل سيتافورد بقدر أكبر مما كانت تتوقع. فقد كان هناك أمر غريب فيه. ولم تعتقد إيميلي أن فيوليت ويليت متورطة تورطًا مباشرًا... ما لم تكن ممثلة بارعة للغاية بحق. ولكن كان هناك شيء غير طبيعي، ولا شك في أن لهذا الشيء علاقة بالمأساة. ولا بد أن هناك رابطًا ما بين عائلة ويليت والكابتن تريفيليان، وربما يكمن في هذا الرابط حل اللغز كله.

مشت نحو باب المنزل، وفتحته بخفة شديدة، وتخطت عتبة الباب. وكانت الصالة خالية. وتوقفت إيميلي في حيرة بشأن ما ينبغي عليها فعله بعد ذلك. وكان لديها مبرر... وهو قفازاها اللذان تركتهما عمدًا في حجرة الاستقبال. ووقفت ثابتة تتنصت. ولم يكن هناك أي صوت قادم من أي مكان سوى همس قادم من أعلى. وبكل هدوء ممكن، تسللت إيميلي إلى أسفل السلم، ووقفت تنظر إلى أعلى. وبعد ذلك، صعدت السلم بحذر شديد درجة درجة. وكان هذا الفعل خطرًا للغاية؛ فليس بمقدورها الزعم أن القفازين صعدا وحدهما إلى الطابق الأول، ولكن كانت لديها رغبة شديدة في تَسَمُّعِ جانب من الحوار الدائر في الأعلى. وفي رأي إيميلي، لم يتمكن المعماريون المعاصرون من صنع أبواب تحجب الصوت تمامًا؛ إذ يمكن للمرء سماع الهمسات من أسفل المنزل؛ ولهذا، إذا وصل إلى الباب ذاته فسيمكنه سماع الحوار الدائر في الغرفة بوضوح. وصعدت درجة

أخرى... ثم أخرى... فسمعت صوتي امرأتين... إنهما لـ فيوليت وأمها بلا شك.

وفجأة، انقطع الحوار... وسمعت إيميلي صوت خطوات، فتراجعت بسرعة.

وعندما فتحت فيوليت ويليت باب غرفة أمها ونزلت السلم، تفاجأت بوجود ضيفتها السابقة واقفة في الصالة تنظر حولها ككلب ضال.

وأوضحت لها قائلة: "قفازاي، من المؤكد أنني تركتهما هنا، فعدت من أجلهما".

قالت فيوليت: "أنا أتوقع أن يكونا هنا".

ودخلتا حجرة الاستقبال، وهناك بالتأكيد، وعلى طاولة صغيرة بالقرب من الموضع الذي كانت تجلس فيه إيميلي وجدت القفازين المفقودين.

قالت إيميلي: "أوه، شكراً لك. هذه حماقة كبيرة مني؛ فأنا دائماً ما أنسى أشيائي خلفي".

قالت فيوليت: "وأنت بحاجة إلى القفازين في هذا الطقس؛ فهو شديد البرودة". وافترقتا مرة أخرى عند الباب، وفي هذه المرة سمعت إيميلي صوت انغلاق الباب بالمفتاح.

سارت إيميلي على الطريق الخاص بالمنزل وفي رأسها الكثير من الأفكار؛ فعندما انفتح باب تلك الغرفة العلوية، سمعت بوضوح جملة واحدة قالتها المرأة الكبرى بصوت ينم عن القلق والشكوى، وهذه الجملة هي:

"يا إلهي، لا أستطيع تحمل هذا الأمر. ألن تأتي هذه الليلة أبداً؟".

الفصل 19

نظريات

عادت إيميلي إلى المنزل لتجد زميلها غائبًا. وأوضحت لها السيدة كورتيس أنه غادر برفقة العديد من الرجال، ولكن جاءت برقيتان لها. أخذتهما إيميلي، وفضتهما، ثم وضعتهما في جيب معطفها الصوفي، وكانت السيدة كورتيس تنظر إليهما بتشوق في تلك الأثناء، وقالت:

"أتمنى ألا تحمل هاتان البرقيتان أخباراً سيئة، أم أنهما كذلك؟".

قالت إيميلي: "أوه، كلا".

قالت السيدة كورتيس: "دائمًا ما تخيفني البرقيات".

قالت إيميلي: "أعرف. إنها مزعجة للغاية".

وفي تلك اللحظة شعرت بعدم الرغبة في شيء سوى الوحدة؛ فقد أرادت تنظيم أفكارها وترتيبها. وصعدت إلى غرفتها، وأخذت قلم رصاص ومفكرة وشرعت في العمل وفق نظامها الخاص. وبعد مرور عشرين دقيقة من هذا العمل، قاطعها السيد أنديربي قائلًا:

"مرحبًا، مرحبًا، مرحبًا، ها أنت ذا. لقد ظلت الصحافة البريطانية كلها تسعى خلفك طوال الصباح، ولكنهم لم يعثروا لك على أثر. على أية حال، لقد أخبرتهم بأنك لا تريدين أن يزعجك أحد. وبالنسبة لشئونك، أصبحت أنا المسئول عنها".

وجلس على الكرسي، وكانت إيميلي جالسة على فراشها فضحكت.

وقال: "لا داعي للحسد أو سوء النية! لقد كنت أنا من يوزع عليهم المعلومات؛ فأنا أعرفهم جميعًا، وأعمل في المجال بالفعل. هذا وضع أروع من أن يكون حقيقيًا. وأنا دائمًا ما أقرص نفسي وأشعر بأنني سأستيقظ من حلمي في أية لحظة. هل لاحظت الضباب؟".

قالت إيميلي: "لن يمنعني الضباب من الذهاب إلى إكسيتر بعد الظهيرة ، أليس كذلك؟".

"هل تريدين الذهاب إلى إكسيتر؟".

"نعم. عليّ مقابلة السيد داكريس هناك. إنه المحامي الخاص بي... الذي سيتولى الدفاع عن جيمس، وهو يريد مقابلتي. وأعتقد أنه ينبغي عليّ زيارة الخالة جينيفر - خالة جيمس - في أثناء تواجدي هناك. وعلى أية حال، لا تبعد إكسيتر عن هنا سوى نصف ساعة".

"أنت تقصدين أنها استقلت القطار إلى هنا ثم ضربت أخاها على رأسه دون أن يلاحظ أحد غيابها".

"أوه، أعلم أن هذا يبدو احتمالًا بعيدًا، ولكن على المرء أن يتفحص كل شيء. وأنا لا أريد أن تكون الخالة جينيفر القاتلة... كلا. وأفضل كثيرًا أن يكون القاتل هو مارتن ديرينج؛ فأنا أكره هذا الصنف من الرجال الذي يستغل كونه زوجًا لأختك ويفعل علانية بعض الأمور التي لا تستطيع صفعه لارتكابها".

"أهو من هذا الصنف؟".

"إنه من هذا الصنف تمامًا. وهو مثال للقاتل... فدائمًا ما تصله برقيات من الناشرين، ويخسر الأموال التي يتحصل عليها منهم في سباقات الخيول. من المزعج أن لديه دليلًا جيدًا على بعده عن ساحة الجريمة. وقد أخبرني السيد داكريس به؛ فالناشر والعشاء الأدبي يبدوان دليلًا محترمًا غير قابل للطعن".

قال أنديربي: "عشاء أدبي... في ليلة الجمعة. مارتن ديرينج... دعيني أتذكر... مارتن ديرينج... نعم... أكاد أكون متأكدًا من قدرتي على معرفة الأمر. تبًا، أنا متأكد تمامًا من ذلك، ولكن يمكنني التثبت من بعض الأمور من خلال إرسال برقية إلى كاروثرز".

قالت إيميلي: "عمّ تتحدث؟".

"أنصتي. أنت تعلمين أنني أتيت إلى إكزامبتون في مساء الجمعة. حسنًا، كانت هناك معلومات سأتحصل عليها من صديق لي، وهو صحفي آخر يدعى كاروثرز. وكان من المفترض أن يأتي للقائي في الساعة السادسة والنصف إن استطاع ذلك... قبل أن يذهب لحضور عشاء أدبي... وكاروثرز رجل عظيم، وإذا لم يستطع لقائي كان سيرسل لي خطابًا موجزًا إلى إكزامبتون. حسنًا، لم يتمكن من لقائي ومن ثم أرسل إليّ خطابًا".

قالت إيميلي: "وما علاقة كل هذا بالأمر؟".

"لا تكوني عجولة للغاية هكذا، سوف أَبْلُغُ المغزى المراد. كان صديقي القديم هذا منفعلًا للغاية عند كتابته الخطاب؛ فقد أبلى بلاءً حسنًا في العشاء، وبعد أن أعطاني المعلومة التي كنت أريدها، وصف لي ما جرى في العشاء بإسهاب. وظل يصف لي

الحكاية، وكيف كان الكاتب الروائي فلان والكاتب المسرحي فلان الشهيران حمارين. وقال إنه حظي بأسوأ موضع في القاعة. وكان هناك مقعد خال على أحد جانبيه مخصص لمؤلف القصص الخليعة مارتن ديرينج، ولكنه انتقل إلى موضع قريب من أحد الشعراء المشاهير جداً في بلاكهيث، وحاول تحقيق أكبر استفادة من الأمور. والآن، هل فهمت المغزى؟".

قالت إيميلي بإثارة وطرب: "تشارلز! يا عزيزي! يا للروعة! إذن، ذلك الهمجي لم يحضر العشاء مطلقاً، أليس كذلك؟".

"بلى".

"أأنت واثق بأنك تذكر الاسم على نحو صحيح؟".

"بالتأكيد. وقد مزقت الخطاب للأسف، ولكن باستطاعتي إرسال برقية إلى كاروثرز في أي وقت من أجل التأكد. ولكنني أعلم تماماً أنني لم أخطئ".

قالت إيميلي: "لا يزال لدينا الناشر بالطبع، ذلك الشخص الذي أمضى المساء برفقته. ولكنني أحسبه ناشراً كان على وشك العودة إلى أمريكا، وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يبدو مريباً - أعني يبدو كأنه اختار شخصاً لا يمكن سؤاله من دون تكبد الكثير من العناء".

قال تشارلز أنديربي: "هل تعتقدين حقاً أننا وصلنا إلى الحقيقة؟".

"حسناً، يبدو الأمر كذلك. وأعتقد أن أفضل ما يمكننا فعله هو الذهاب مباشرة إلى ذلك المفتش اللطيف المدعو ناراكوت وإخباره بهذه الحقائق الجديدة وحسب. أعني أننا لا نستطيع احتجاز ناشر أمريكي على الباخرة موريتانيا أو الباخرة بيرينجاريا أو غيرهما، فهذا عمل الشرطة".

قال السيد أنديربي: "يا للروعة لو حدث هذا! ويا له من سبق صحفي! وإذا حدث، فأعتقد أن صحيفة دايلي واير لن تعرض عليّ أقل من...".

قاطعت إيميلي أحلامه بالترقية بقسوة ، وقالت:

"ولكن يجب علينا ألا نفقد صوابنا وننثر كل شيء آخر في الرياح. يجب أن أذهب إلى إكسيتر، ولا أظنني سأتمكن من العودة إلى هنا قبل الغد، ولكن لديّ مهمة لك".

"ما نوع تلك المهمة؟".

ووصفت له إيميلي زيارتها لعائلة ويليت والجملة الغريبة التي سمعتها قبيل مغادرتها، وقالت:

"علينا أن نكتشف بالتأكيد ما سيحدث في هذه الليلة؛ فهناك شيء ما على وشك الحدوث".

"يا له من شيء غريب!".

"أليس كذلك؟ ولكن بالطبع قد يكون مجرد مصادفة. وقد لا يكون كذلك... ولكن لاحظ أنه تمت إزاحة الخادمات من الطريق.
سوف يحدث شيء غريب هناك الليلة، وعليك أن تكون هناك لمعرفة ماهيته".

"أتقصدين أن أقضي الليلة كلها أرتعش من البرد أسفل شجيرة في الحديقة؟".

"حسنًا، أنت لا تمانع فعل هذا، أليس كذلك؟ فالصحفيون لا يمانعون فعل أي شيء من أجل هدف جيد".

"من قال لك هذا؟".

"لا تهتم بمن قال لي ذلك، فأنا أعرف. وأنت ستفعلها، أليس كذلك؟".

قال تشارلز: "أوه، بلى. أنا لا أنوي تفويت أي شيء. وإذا حدث أي شيء غريب في منزل سيتافورد الليلة، فسوف أكون على علم به".

وحينها أخبرته إيميلي عن ملصق الحقائب ذلك، فقال:

"هذا غريب! أستراليا هي المكان الذي يعيش فيه الفرد الثالث من عائلة بيرسون، أليس كذلك؟ أصغر أفرادها. وهذا لا يعني شيئًا بالطبع، ولكن لا يزال... حسنًا، ربما تكون هناك علاقة ما".

قالت إيميلي: " أعتقد أن هذا كل ما لديّ، فهل لديك أنت شيء تريد أن تخبرني به؟".

قال تشارلز: "حسنًا، لديّ فكرة".

"ماذا تكون؟".

"ولكني لا أدري كيف ستعجبك".

"ماذا تقصد بـ كيف ستعجبني؟".

"أي أنك ستستشيطين غضبًا منها، أليس كذلك؟".

"لا أظن ذلك - أقصد أنني أتمنى أن أكون قادرة على الاستماع بعقلانية وهدوء لأي شيء".

قال تشارلز أنديربي وهو ينظر إليها بتشكك: "حسنًا، ما أقصده هو ألا تعتقدي أني أتعمد الإساءة أو أي شيء من هذا القبيل، ولكن هل تعتقدين أن خطيبك يقول الحقيقة التامة؟".

قالت إيميلي: "أتقصد أنه - في نهاية المطاف - قتل خاله؟ أنا أرحب تمامًا بمناقشة

وجهة النظر هذه إن أحببت ذلك. وقد أخبرتك منذ البداية بأن هذه هي وجهة النظر الطبيعية، ولكنني قلت إن علينا العمل بناءً على افتراض أنه لم يقتله".

قال أنديربي: "أنا لا أقصد هذا. وأنا متفق معك على افتراض أنه لم يقتل ذلك الرجل العجوز، ولكن ما أقصده هو: ما مدى بُعْد قصته عما حدث في الحقيقة؟ لقد قال إنه ذهب إلى هناك، وتحدث إلى خاله، وتركه حيًا وبخير".

"نعم".

"حسنًا، لقد خطرت ببالي فكرة هي: ألا تعتقدين أن من المحتمل أنه ذهب إلى هناك ووجد العجوز ميتًا؟ أعني أنه ربما أصابه الذهول والخوف، ولم يود ذكر هذا الأمر".

عرض تشارلز هذه النظرية بارتياب كبير، ولكنه شعر بارتياح عندما وجد أن إيميلي لم تبدِ أية علامة على الغضب منه، بل قطبت جبينها وانكمش حاجباها في حالة من التفكير.

وقالت إيميلي: "لن أنكر هذا. إنه أمر محتمل، ولم يسبق لي التفكير فيه. وأعلم أن جيمس لن يقتل أحدًا، ولكن من المحتمل تمامًا أنه ارتبك وألقى كذبة سخيفة، ثم تعين عليه بالطبع الإصرار عليها. نعم، هذا أمر محتمل تمامًا".

"الأمر العسير هو أنك لا تستطيعين الذهاب إليه وسؤاله عن الأمر الآن - أعني أنهم لن يسمحوا لك برؤيته وحدكما، أليس كذلك؟".

قالت إيميلي: "يمكنني تكليف السيد داكريس بالأمر؛ فأعتقد أنهم يسمحون للمرء بالانفراد بمحاميه. ولكن أسوأ ما في جيمس هو أنه عنيد على نحو فظيع، وإذا قال شيئًا ما مرة فإنه يصر عليه".

قال السيد أنديربي متفهمًا: "هو ممن يقولون هذه قصتي وسوف أصر عليها!".

"نعم. وقد أسعدني ذكرك هذا الاحتمال يا تشارلز، فلم يخطر هذا على بالي. وقد كنا نبحث عن شخص دخل المنزل بعد مغادرة جيمس له... ولكن ماذا لو أنه دخل قبل حضور جيمس...".

توقفت مستغرقة في التفكير. هاتان نظريتان مختلفتان للغاية وتتخذان وجهتين معاكستين. أما الأولى فهي التي اقترحها السيد ريكروفت، التي يقول فيها إن تشاجر جيمس مع خاله هي النقطة الحاسمة. أما النظرية الثانية فتنفي علاقته بالقتل تمامًا. وشعرت إيميلي بأن أول ما ينبغي عليها فعله هو زيارة الطبيب الذي فحص الجثة لأول مرة. وإذا كان من المحتمل أن يكون الكابتن تريفيليان قُتل في الساعة الرابعة مثلًا، فربما يحدث هذا فارقًا كبيرًا فيما يتعلق بمسألة أدلة غياب مارتن ديرينج. والشيء الثاني الذي ينبغي عليها فعله هو جعل السيد داكريس ينبه جيمس بكل قوة إلى الضرورة المطلقة لقول الحقيقة فيما يتعلق بهذه النقطة.

ونهضت عن الفراش، ثم قالت:

"حسنًا، من الأفضل أن تعرف كيف يمكنني الذهاب إلى إكزامبتون. أحسب أن لدى الحداد سيارة مناسبة، فهلا ذهبت للاتفاق معه! سوف أنطلق بعد الغداء مباشرة. وهناك قطار ينطلق إلى إكسيتر في الساعة الثالثة وعشر دقائق. وهذا سيمنحني وقتًا لزيارة الطبيب أولًا. كم الساعة الآن؟".

قال السيد أنديربي بعد النظر في ساعته: "إنها الثانية عشرة والنصف".

قالت إيميلي: "إذن سوف نذهب معًا ونتدبر أمر السيارة. وهناك شيء آخر أود فعله قبل مغادرة سيتافورد".

"وماذا يكون؟".

"سوف أذهب لزيارة السيد دوك؛ فهو الشخص الوحيد في سيتافورد الذي لم ألتقِ به، وكان من المشاركين في لعبة تحضير الأرواح".

"أوه، سوف نمر بمنزله في طريقنا إلى الحداد".

يوجد منزل السيد دوك في آخر صف المنازل. وفتح كل من تشارلز وإيميلي البوابة وسارا على الممشى. وحينها حدث شيء مفاجئ للغاية؛ فقد انفتح باب المنزل وخرج منه رجل، وكان ذلك الرجل هو المفتش ناراكوت.

وبدا هو أيضًا متفاجئًا، وخيل إلى إيميلي أنه كان محرجًا كذلك. فتخلت إيميلي عن هدفها الأصلي وقالت:

"أنا مسرورة للغاية بلقائك أيها المفتش ناراكوت؛ فهناك أمر أو أمران أود التحدث إليك بشأنهما إذا سمحت لي".

قال: "هذا يسعدني يا آنسة تريفوسيس". ثم أخرج من جيبه ساعة وقال: "أخشى أن عليك الإسراع؛ فالسيارة في انتظاري، وعليّ العودة إلى إكزامبتون على الفور تقريبًا".

قالت إيميلي: "يا لحظي الرائع! يمكنك أن تقلني معك أيها المفتش، أليس كذلك؟".

قال المفتش بشيء من الفتور إن هذا من دواعي سروره.

وقالت إيميلي: "يمكنك الذهاب وإحضار حقيبتي يا تشارلز، سوف تجدها معدة وجاهزة".

غادر تشارلز على الفور.

وقال المفتش ناراكوت: "إنها لمفاجأة رائعة أن ألتقي بك هنا يا آنسة تريفوسيس".

ذكرته إيميلي قائلة: "لقد قلت لك إلى اللقاء".

"لم أنتبه لهذه الكلمات حينها".

قالت إيميلي بوضوح: "أنت لم ترَ مني إلا القليل حتى الآن. واعلم أيها المفتش أنك ارتكبت خطأً؛ فليس جيمس هو الرجل المنشود".

"حقًا!".

قالت إيميلي: "وعلاوة على هذا، أنا أعتقد أنك تتفق معي من كل قلبك".

"وما الذي جعلك تعتقدين هذا يا آنسة تريفوسيس؟".

ردت إيميلي عليه السؤال قائلة: "ماذا كنت تفعل في منزل السيد دوك؟".

بدا ناراكوت محرجًا، وسارعت هي في متابعة هجومها قائلة:

"أنت مرتاب أيها المفتش... هذه هي الحقيقة... مرتاب. لقد ظننت أنك أمسكت بالرجل الصحيح، وها أنت الآن غير متأكد تمامًا من هذا، ومن ثم تجري بضعة تحريات. حسنًا، لديّ شيء لأخبرك به وربما يساعدك. وسوف أخبرك به في أثناء طريقنا إلى إكزامبتون".

سمع وقع خطوات على الطريق، وظهر روني جارفيلد. وبدا كتلميذ متهرب من المدرسة.

وقال: "ما رأيك يا آنسة تريفوسيس في أن نتمشى قليلًا بعد الظهيرة؟ في أثناء قيلولة خالتي".

قالت إيميلي: "هذا محال؛ فأنا سأغادر القرية. أنا ذاهبة إلى إكسيتر".

"ماذا، حقًا؟! أتقصدين إلى الأبد؟".

قالت إيميلي: "أوه، كلا. سوف أعود غدًا".

"أوه، هذا رائع".

أخرجت إيميلي شيئًا من جيب معطفها الصوفي وأعطته إياه ثم قالت: "هل يمكن أن تعطي هذا لخالتك؟ إنها وصفة عمل كعكة القهوة، وأخبرها بأنها طلبتها في الوقت المناسب؛ فالطاهية راحلة اليوم وكذلك بقية الخدم. واحرص على إخبارها بهذا؛ فسوف تهتم به".

جاءت صيحة قادمة من بعيد يحملها النسيم تقول: "روني، روني، روني!".

قال روني وقد سرى التوتر في جسده: "هذا صوت خالتي. ومن الأفضل أن أذهب".

قالت إيميلي: "أعتقد أن عليك ذلك". ونادته من خلفه قائلة: "هناك طلاء أخضر

على خدك الأيسر". واختفى روني بعد اجتيازه بوابة منزل خالته.

قالت إيميلي: "ها هو ذا زميلي قد أحضر حقيبتي. هيا أيها المفتش، سأخبرك بكل شيء في السيارة".

الفصل 20

زيارة الخالة جينيفر

في الساعة الثانية والنصف، تلقى الطبيب وارين زيارة من إيميلي . وقد أعجب على الفور بهذه الفتاة الجذابة العملية. وكانت أسئلتها بسيطة ومباشرة.

"نعم يا آنسة تريفوسيس أعي تمامًا ما تعنيه. وسوف تدركين أنه على عكس الاعتقاد الشائع في الروايات، من الصعوبة بمكان أن تحددي تاريخ الوفاة بدقة. وقد رأيت الجثة في الساعة الثامنة. وأستطيع القول على نحو قاطع إن الكابتن تريفيليان توفي قبل ساعتين على الأقل. ويصعب تحديد إلى أي مدى كانت الوفاة قبل ذلك. ولو أخبرتني بأنه قتل في الساعة الرابعة، لقلت إن ذلك ممكن، رغم أن رأيي الشخصي يميل إلى تحديد زمن الوفاة بوقت لاحق. ومن ناحية أخرى، من المؤكد أنه لم يمت منذ فترة أطول من هذه. وفترة الأربع ساعات والنصف يمكن أن تكون الحد الأقصى للمدة التي مرت على وفاته".

قالت إيميلي: "شكرًا لك. هذا هو كل ما أردت معرفته".

لحقت بقطار الساعة الثالثة وعشر دقائق في المحطة، ثم توجهت مباشرة إلى الفندق الذي نزل به السيد داكريس.

كان حديثهما عمليًا وخاليًا من أية عاطفة. والسيد داكريس يعرف إيميلي منذ أن كانت طفلة صغيرة، ويتولى إدارة شئونها لصالحها منذ أن بلغت سن الرشد.

قال لها: "عليك أن تعدي نفسك لتلقي صدمة يا إيميلي؛ فالأمور بالنسبة لجيمس بيرسون أسوأ بكثير مما كنا نتخيل".

"أسوأ؟".

"نعم. ولا فائدة من الالتفاف حول الحقيقة. لقد ظهرت بعض الحقائق التي تسيء من موقفه. وتلك الحقائق هي التي دفعت الشرطة لاتهامه بارتكاب الجريمة. ولن أكون حريصًا على مصالحك لو حجبت تلك الحقائق عنك".

قالت إيميلي: "من فضلك أخبرني بها".

كان صوتها هادئًا تمامًا. وبغض النظر عن مقدار شعورها بصدمة داخلية، لم يكن في نيتها إظهار مشاعرها؛ فليست المشاعر هي التي ستساعد جيمس بيرسون، بل الأفكار. ويجب أن تحافظ على حضور جميع ملكاتها العقلية.

وقال المحامي: " لا شك أنه كان بحاجة ملحة وعاجلة للمال. وأنا لا أنوي الدخول في أخلاقيات الموقف الآن. ومن الواضح أن بيرسون كان يقترض بعض المال أحيانًا من شركته، وهذا لطف في التعبير؛ إذ يمكنني القول إنه أخذها من دون علمهم. وكان مولعًا بالمضاربة في الأسهم، وفي إحدى المرات السابقة، ولعلمه أنه سيكسب بعض الأرباح من الأسهم خلال أسبوع، تعجل ذلك من خلال استخدام أموال الشركة في شراء أسهم معينة كان يعلم يقينًا أنها سترتفع. وتمت العملية على نحو مرضٍ للغاية، وأعاد بيرسون المال للشركة، ولم تساوره أية شكوك في نزاهة العملية. ومن الواضح أنه كرر هذه العملية منذ ما يزيد على أسبوع. وفي هذه المرة، حدث شيء غير متوقع. تجري مراجعة دفاتر الشركة في أوقات محددة، ولكن لسبب ما تم تقديم موعد المراجعة، فأصبح بيرسون في مأزق مزعج للغاية. وكان يدرك تمامًا كيف ستفسر الشركة فعله هذا، ولم يكن يستطيع جمع المبلغ المختلس. وقد اعترف بنفسه بأنه حاول اللجوء إلى عدة جهات مختلفة لإقراضه المال لكنه فشل عندما انطلق إلى ديفونشاير لطرح مشكلته على خاله - وهو وجهته الأخيرة - وإقناعه بمساعدته. ومن المؤكد أن الكابتن تريفيليان رفض إقراضه".

"والآن يا عزيزتي إيميلي، نحن غير قادرين تمامًا على منع هذه الحقائق من الخروج إلى النور. وقد اكتشفت الشرطة الأمر بالفعل. وكما ترين، لدينا هنا دافع ملح وعاجل تمامًا لارتكاب الجريمة، أليس كذلك؟ فعند وفاة الكابتن تريفيليان، سوف يمكن لبيرسون بسهولة أن يتحصل على المبلغ الضروري كدفعة أولى من السيد كيركوود وينقذ نفسه من الكارثة ومن الاتهام الجنائي المحتمل".

قالت إيميلي بيأس: "أوه، ذلك الأحمق".

قال السيد داكريس بجفاء: "أحمق تمامًا. ويبدو لي أن فرصتنا الوحيدة تكمن في إثبات أن جيمس بيرسون كان يجهل بنود وصية خاله".

ساد الصمت لبرهة، بينما ظلت إيميلي تفكر في الأمر.

وبعد ذلك قالت بهدوء:

"أخشى أن يكون هذا مستحيلًا؛ فقد كان ثلاثتهم على علم بالأمر: سيلفيا، وجيمس، وبرايان. وكثيرًا ما كان جيمس وسيلفيا يتحدثان بشأن خالهما الثري الذي يعيش في ديفونشاير، ، ويضحكان، ويمزحان".

قال السيد داكريس:"يا عزيزتي، هذا مؤسف للغاية".

سألته إيميلي: "ألا تعتقد أنه غير مذنب يا سيد داكريس؟".

قال المحامي: "من الغريب للغاية أنني لا أراه مذنبًا؛ فجيمس بيرسون شاب شديد الشفافية في بعض النواحي. وإذا سمحت لي يا إيميلي، فبوسعي القول إنه ليس على مستوى عالٍ من الأمانة التجارية، ولكنني لا أعتقد ولو لدقيقة واحدة أن يده يمكن أن تمتد بالأذى إلى خاله".

قالت إيميلي: "حسنًا، هذا جيد. وأتمنى أن تراه الشرطة هكذا".

"تمامًا، ولكن الانطباعات والأفكار ليست لها فائدة عملية هنا. ومن المؤسف أن القضية محاكة ضده بقوة. ولن أخفي عليك يا ابنتي العزيزة أن المشهد لا يبشر بخير. وأود أن أقترح عليك تكليف السيد لوريمر - مستشار الملك - بالدفاع عنه". ثم أضاف بابتهاج: "إنهم يطلقون عليه لقب رجل اليائسين".

قالت إيميلي: "هناك أمر واحد أود معرفته. أنت ترى جيمس بالطبع، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد".

قالت: "أريد منك أن تخبرني بصراحة عما إذا كنت تعتقد أنه قال الحقيقة من نواحٍ أخرى". وأوضحت له الفكرة التي اقترحها أنديربي.

فكر المحامي في المسألة بعناية قبل الرد.

ثم قال: "إن انطباعي عنه هو أنه قال الحقيقة فيما يتعلق بوصف حديثه مع خاله. ولكن لا شك في أنه خائف إلى حد بعيد، ولو أنه ذهب إلى النافذة، ودخل بتلك الطريقة، ووجد جثمان خاله... فلعله كان خائفًا جدًا من الاعتراف بالحقيقة وابتدع تلك القصة الأخرى".

قالت إيميلي: "هذا ما اعتقدته أنا. وفي المرة القادمة التي تزوره فيها يا سيد داكريس، فهلا حثثته على قول الحقيقة؛ فقد يحدث هذا فارقًا عظيمًا جدًا".

قال: "سوف أفعل هذا. ورغم ذلك...". ثم بعد دقيقة أو دقيقتين من الصمت قال: "أعتقد أنكما مخطئان بشأن هذه الفكرة؛ فقد انتشر خبر وفاة الكابتن تريفيليان في كل أنحاء إكزامبتون قرابة الساعة الثامنة والنصف. وفي ذلك الوقت، غادر آخر قطار متوجه إلى إكسيتر، ولكن جيمس بيرسون استقل أول قطار في الصباح، وهذا تصرف غير حكيم على الإطلاق؛ لأنه استرعى الانتباه إلى تحركاته، وما كان سيثير الانتباه لو أنه غادر بالقطار في ساعة عادية. والآن لو أنه كما اقترحت اكتشف جثة خاله بعد الساعة الرابعة والنصف ببعض الوقت، فأعتقد أنه كان سيتعين عليه مغادرة إكزامبتون على الفور؛ فهناك قطار يغادر بعد الساعة السادسة بوقت قصير، وهناك آخر يغادر في الثامنة إلا الربع".

قالت إيميلي مقرة بصحة هذا الكلام: "هذه وجهة نظر. ولم أفكر في ذلك".

قال السيد داكريس: "لقد سألته بدقة عن كيفية دخوله منزل خاله، فقال إن الكابتن تريفيليان جعله يخلع حذاءه، وتركه عند عتبة الباب. وهذا يفسر عدم وجود أية علامات رطوبة في الصالة".

"ألم يتحدث عن سماعه أي صوت - أو أي شيء على الإطلاق - يعطى فكرة عن وجود شخص آخر في المنزل؟".

"لم يذكر لي ذلك، ولكنني سأسأله عنه".

قالت إيميلي: "شكرًا لك. إذا كتبت رسالة فهل يمكنك إيصالها إليه؟".

"هذا يتوقف على محتواها بالطبع".

"أوه، ستكون رسالة متحفظة للغاية".

وذهبت إلى المكتب، ودونت بضع كلمات هي:

"الأعز على قلبي جيمس،

كل شيء سيكون على ما يرام؛ لذا فلتبتهج. وأنا أبذل قصارى جهدي في استكشاف الحقيقة. وكم كنت أحمق يا عزيزي!

لك حبي.

إيميلي"

ثم قالت له إيميلي: "تفضل".

قرأها السيد داكريس ولكنه لم يعلق عليها.

قالت إيميلي: "لقد عانيت في تحسين خطي حتى يمكن لسلطات السجن قراءتها بسهولة. والآن، يجب أن أذهب".

"اسمحي لي بأن أقدم لك فنجان شاي".

"كلا، شكرًا لك يا سيد داكريس. لا وقت لديّ لأضيعه. أنا ذاهبة لزيارة الخالة جينيفر، خالة جيمس".

وفي منزل لاوريل، قيل لـ إيميلي إن السيدة جاردنر في الخارج ولكن ستعود قريبًا.

ابتسمت إيميلي للخادمة وقالت لها:

"إذن سأدخل وأنتظرها".

قالت الخادمة: "هل تودين مقابلة الممرضة ديفيس؟".

دائماً ما كانت إيميلي مستعدة لمقابلة أي أحد؛ لذا قالت على الفور: "نعم".

وبعد دقائق قليلة وصلت الممرضة ديفيس بزيها الرسمي والفضول بادٍ عليها.

قالت إيميلي: "كيف حالك؟ أنا إيميلي تريفوسيس، ويمكنك أن تعديني قريبة السيدة جاردنر؛ لأنني كنت سأصبح كذلك، ولكن خطيبي جيمس بيرسون قد اعتقل، وأتوقع أنك تعرفين".

قالت الممرضة ديفيس: "أوه، لقد كان ذلك أمراً مروعاً للغاية. وقد قرأنا كل شيء في الصحف هذا الصباح. ويا لها من مسألة فظيعة! ويبدو أنك تتحملينها على نحو رائع يا آنسة تريفوسيس... على نحو رائع للغاية".

كان في نبرة الممرضة شيء من الاستخفاف كأنها تقول في نفسها إن ممرضات المستشفيات لديهن قدرة كبيرة على التحمل بسبب قوة شخصياتهن، أما المخلوقات الأدنى فمن المتوقع منهم الاستسلام.

قالت إيميلي: "حسنًا، على المرء ألا يجثو على ركبتيه خاضعًا. وآمل ألا تكوني منزعجة للغاية - أعني أن الأمر شاق عليك بالتأكيد لكونك مرتبطة بعائلة قُتِلَ أحد أفرادها".

قالت الممرضة ديفيس دون أن تلين لهذا الدليل على تعاطف إيميلي معها: "إنه أمر غير سار على الإطلاق بالطبع، ولكن واجب المريض على المرء مقدم على كل شيء".

قالت إيميلي: "يا للروعة! من المؤكد أنه أمر رائع كون خالتي جينيفر تشعر بأن لديها شخصاً يمكنها الاعتماد عليه".

قالت الممرضة متصنعة الابتسام: "أوه، هذا صحيح. أنت لطيفة للغاية. ولكن لديّ بالطبع تجارب غريبة سابقة. عجبًا، في الحالة الأخيرة شهدت...". وظلت إيميلي تستمع بصبر إلى حكاية طويلة فاضحة تشتمل على مسائل معقدة عن الطلاق والأبوة. وبعد أن امتدحت الممرضة ديفيس على ذوقها، وحسن تصرفها، ولباقتها، عادت بها إلى موضوع عائلة جاردنر.

قالت إيميلي: "أنا لا أعرف زوج خالتي جينيفر على الإطلاق، ولم أقابله قط؛ فهو لا يغادر المنزل، أليس كذلك؟".

قالت الممرضة: "بلى، إنه رجل مسكين".

"ماذا به بالضبط؟".

شرعت الممرضة ديفيس في شرح الموضوع بحماسة مهنية.

وبعد أن انتهت، تمتمت إيميلي بتأمل: "إذن قد يتعافى مرة أخرى في أية لحظة".

قالت الممرضة: "سيكون ضعيفًا للغاية حينها".

"أوه، بالطبع. ولكن هذا يبدو باعثًا على التفاؤل بقدر أكبر، أليس كذلك؟".

هزت الممرضة رأسها بيأس مبني على خبرتها المهنية الراسخة، وقالت:

"لا أعتقد أنه سيكون هناك أي علاج لحالته".

كانت إيميلي قد رسمت في دفترها الصغير جدولًا زمنيًا لما أسمته دليل براءة الخالة جينيفر. وتمتمت الآن بتردد:

"كم يبدو غريبًا أن يعتقد المرء أن الخالة جينيفر كانت في السينما بالفعل في أثناء قتل شقيقها".

قالت الممرضة ديفيس: "ذلك أمر محزن للغاية، أليس كذلك؟ وهي بالطبع لم تكن تعرف... ولكن هذا الأمر يسبب للمرء صدمة كبيرة بعد ذلك".

ظلت إيميلي تفكر في كيفية استخراج ما تريد معرفته من دون طرح سؤال مباشر، ثم سألتها:

"ألم تكن لديها أية رؤية غريبة أو هاجس؟ ألست أنت من قابلها في الصالة عندما عادت وقلت لها إنها تبدو غريبة؟".

قالت الممرضة: "أوه، نعم. لست أنا. ولم أرها إلا عندما جلسنا لتناول العشاء معًا، وكانت تبدو في حالتها الطبيعية تمامًا حينها. يا له من أمر مثير للغاية!".

قالت إيميلي: "أظن أن الأمر اختلط عليّ".

قالت الممرضة ديفيس: "ربما كان ذلك قريبًا آخر لها. وقد جئت متأخرة بعض الشيء. وشعرت بالذنب لترك مريضي لوقت طويل، ولكنه هو نفسه حثني على الذهاب".

وفجأة نظرت إلى ساعتها وقالت:

"أوه، يا إلهي! لقد طلب مني زجاجة أخرى من المياه الساخنة. يجب أن أحضرها إليه على الفور. أرجو أن تعذريني يا آنسة تريفوسيس".

تقبلت إيميلي عذرها، وانتقلت إلى الموقد وضغطت بأصبعها على الجرس.

وحضرت الخادمة بملابس غير أنيقة ووجه مرتعب.

وقالت لها إيميلي: "ما اسمك؟".

"بياتريس يا آنسة".

"يا بياتريس، قد لا أستطيع الانتظار حتى رؤية خالتي - السيدة جاردنر - وكنت أريد سؤالها عن بعض الأشياء التي اشترتها في يوم الجمعة الماضية. هل تعرفين ما إذا

كانت أحضرت معها كيساً قماشيًا كبيراً؟".

"كلا يا آنسة، لم أرها عندما عادت".

"أعتقد أنك قلت إنها حضرت في الساعة السادسة".

قالت بياتريس وهي تحاول بأقصى جهدها أن تكون مفيدة: "نعم يا آنسة، حضرت في ذلك الموعد، ولم أرها عندما عادت، ولكنني عندما أخذت بعض المياه الساخنة إلى غرفتها في الساعة السابعة تفاجأت لرؤيتها مستلقية على فراشها في الظلام. وقلت لها "لقد فاجأتني حقًا يا سيدتي". فقالت "لقد عدت منذ فترة طويلة... في الساعة السادسة". ولم أرَ كيساً كبيراً في أي مكان".

قالت إيميلي في نفسها: " إنه لأمر صعب. لا بد للمرء من ابتكار أفكار كثيرة. لقد ابتكرت حتى الآن فكرة الهاجس وفكرة الكيس الكبير، ولكن على حد علمي يجب على المرء أن يبتكر فكرة ما إذا لم يرد أن يبدو مريبًا". وابتسمت بلطف ثم قالت:

"كل شيء على ما يرام يا بياتريس، لا تنزعجي".

غادرت بياتريس الحجرة، وأخرجت إيميلي جدولًا زمنيًا صغيراً محليًا من حقيبة اليد الخاصة بها، ونظرت فيه.

وتمتمت قائلة: "المغادرة من إكسيتر - من محطة سان ديفيد - في الثالثة وعشر دقائق، والوصول إلى إكزامبتون في الثالثة واثنتين وأربعين دقيقة. والوقت المطلوب للذهاب إلى منزل أخيها وقتله - كم يبدو هذا وحشيًا وقاسيًا، بل وسخيفًا أيضًا! - فلنقل إنه نصف ساعة إلى ثلاثة أرباع الساعة. ما هي قطارات العودة؟ هناك قطار ينطلق في الرابعة وخمس وعشرين دقيقة، والقطار الذي ذكر السيد داكريس أنه ينطلق في الساعة السادسة وعشر دقائق ويصل في الساعة السابعة إلا ثلاثًا وعشرين دقيقة. نعم، من المحتمل عمليًا أن تكون استقلت أحد القطارين. ومن المؤسف أنه لا يوجد سبب للاشتباه بالممرضة؛ فقد كانت في الخارج طوال فترة العصر، ولا أحد يعلم أين كانت. ولكن لا توجد جريمة قتل من دون دافع أبداً. وبالطبع أنا لا أصدق أن أحداً ممن يقيمون في هذا المنزل قتل الكابتن تريفيليان، ولكن ما يشعر بالارتياح أن يعلم المرء أن من المحتمل فعلهم لذلك. مرحى... ها هو باب المنزل ينفتح".

كانت هناك همهمة في الصالة، ثم انفتح الباب ودخلت جينيفر جاردنر الحجرة.

قالت إيميلي: "أنا إيميلي تريفوسيس... الفتاة التي خطبها جيمس بيرسون".

قالت السيدة جاردنر وهي تصافحها: "أنت إيميلي إذن. حسنًا، هذه مفاجأة".

وفجأة، شعرت إيميلي بأنها ضعيفة وصغيرة للغاية، وأشبه بفتاة تفعل شيئًا سخيفًا للغاية؛ فالخالة جينيفر امرأة استثنائية. إنها صاحبة شخصية مميزة... هذه هي سمتها. ولدى الخالة جينيفر شخصية قوية تعدل قوة شخصية فردين وثلاثة أرباع الفرد، لا

قوة شخصية فرد واحد.

قالت لها: "هل تناولت الشاي يا عزيزتي؟ كلا؟ إذن سوف نتناوله هنا معًا. أمهليني دقيقة واحدة... يجب أن أصعد لرؤية روبرت أولًا".

لاح تعبير غريب على وجهها عندما ذكرت اسم زوجها، والصوت الجميل القوي رق، وكان أشبه بشعاع ضوء لدى مروره فوق موجات مظلمة من المياه.

قالت إيميلي في نفسها بعد أن تُركت وحيدة في حجرة الاستقبال: "إنها تعشقه. ورغم هذا، هناك شيء مخيف بشأن الخالة جينيفر. وأتساءل عما إذا كان العم روبرت يعجبه كل هذا العشق".

وعندما عادت جينيفر جاردنر، خلعت قبعتها. وأعجبت إيميلي بشعرها المنساب بسلاسة على جبينها.

قالت السيدة جاردنر: "هل تريدين أن نتحدث عن تلك الأمور يا إيميلي أم لا؟ إذا كنت لا تريدين فأنا أتفهم مشاعرك تمامًا".

قالت إيميلي: "ليس من المفيد كثيرًا التحدث عنها، أليس كذلك؟".

قالت السيدة جاردنر: "لا يسعنا إلا أن نأمل عثور الشرطة على القاتل الحقيقي بسرعة. هلا ضغطت على الجرس يا إيميلي! سأرسل الشاي الخاص بالممرضة إليها؛ فأنا لا أريد منها أن تثرثر هنا. كم أكره الممرضات!".

"هل هي ممرضة جيدة؟".

"أحسبها كذلك. يقول روبرت إنها جيدة على أية حال. وأنا أكرهها بشدة، ولطالما كرهتها، ولكن روبرت يقول إنها أفضل ممرضة عملت لدينا حتى الآن".

قالت إيميلي: "إنها جميلة بعض الشيء".

"هراء. كيف ولديها يدان قبيحتان غليظتان؟".

راقبت إيميلي أصابع خالتها البيضاء الطويلة عند ملامستها إبريق الحليب وملقط السكر.

جاءت بياتريس، وأخذت كوب الشاي وطبقًا عليه بعض الطعام، ثم غادرت الحجرة.

وقالت السيدة جاردنر: "كان روبرت منزعجًا للغاية بشأن كل هذا. وهو يدخل نفسه في حالات غريبة. وأعتقد أن هذا كله جزء من مرضه في الحقيقة".

"هل كان على معرفة جيدة بالكابتن تريفيليان؟".

هزت جينيفر جاردنر رأسها نفيًا، وقالت:

"إن تريفيليان لم يعرفه، ولم يبالِ به. ولأكون صادقة معك، أنا نفسي لا أستطيع أن أدعي أي قدر من الحزن على وفاته؛ فقد كان رجلًا بخيلًا بشعًا يا إيميلي. وكان على علم بمعاناتنا... وبفقرنا! وكان يعرف أن قرضًا من المال في الوقت المناسب من شأنه أن يوفر لـ روبرت علاجًا خاصًا قد يحدث كل الفرق. حسنًا، لقد نال جزاءه".

وتحدثت بصوت مليء بالشجن العميق.

قالت إيميلي في نفسها: "يا لها من امرأة غريبة... إنها جميلة ورهيبة، مثل إحدى شخصيات التراجيديا اليونانية".

وواصلت السيدة جاردنر حديثها قائلة: "ربما لايزال هناك وقت أمامنا. وقد بعثت برسالة إلى المحاميين في إكزامبتون اليوم أسألهما فيها عما إذا كان من الممكن أن يعطياني بعضًا من ميراثي مقدمًا".

وكان وجهها متوهجًا، كما لو أنه سُلِّطَ عليه ضوء مصباح.

كانت إيميلي متعبة؛ فقد كان يومها طويلًا، ولم تتناول سوى القليل من الطعام، وقد أرهقها كبت مشاعرها، وظلت الحجرة تروح وتغدو أمام ناظريها.

"هل أنت بخير يا عزيزتي؟".

قالت إيميلي بصعوبة: "أنا بخير". وما أثار ذهولها أن شعورها بالضيق والمهانة تحول إلى دموع.

ولم تحاول السيدة جاردنر النهوض ومواساتها، وهو ما كانت إيميلي ممتنة له، بل جلست في صمت إلى أن خفت دموع إيميلي، ثم تمتمت بصوت يحمل التفكير المتعمق:

"يا للفتاة المسكينة! من سوء الحظ أن جيمس بيرسون قد اعتقل... ذلك من سوء الحظ المرير. وأتمنى... أتمنى أن يكون هناك شيء يمكن فعله في هذا الشأن".

الفصل 21

أحاديث

بما أن تشارلز أنديربي تُرِكَ وشأنه، فإن هذا لم يدفعه للإقلال من جهوده. وليكون أكثر معرفة بكيفية عيش الحياة في قرية سيتافورد، لم يتعين عليه سوى أن يسمح للسيدة كورتيس بأن تفتح فمها بالكلام كما يفتح صنبور الإطفاء. وخلال استماعه ببعض الذهول لفيض من الحكايات، والذكريات، والشائعات، والتخمينات، والتفاصيل الدقيقة، حاول ببطولة أن يفصل بين الغث والسمين منها. ثم أشار إلى اسم شخص آخر، وعلى الفور اندفعت المياه من الصنبور بقوة في هذا الاتجاه.وسمع كل شيء عن الكابتن وايت، عن حدة طبعه، ووقاحته، ومشاجراته مع جيرانه، ورقته المدهشة من حين إلى آخر، خاصة مع الشابات الجميلات، والحياة التي يعيشها، وخادمه الهندي، والأوقات المحددة لوجباته، والنظام الغذائي الدقيق الذي تتألف منها وجباته.وسمع بمكتبة السيد ريكروفت، ومستحضرات تقوية الشعر الخاصة به، وإصراره على الالتزام بنظام صارم والتقيد بالمواعيد، وفضوله الشديد نحو أفعال الآخرين، وبيعه مؤخراً بعض ممتلكاته الشخصية القديمة التي نالها كجوائز، وشغفه العجيب بالطيور، والفكرة السائدة بأن السيدة ويليت تحاول استمالته للارتباط بها. وسمع بالآنسة بيرسهاوس ولسانها، وعن طريقة تنمرها على ابن أختها، والشائعات حول حياة اللهو التي كان هذا الابن يحظى بها في لندن. وسمع مرة أخرى بالصداقة التي كانت تجمع بين الميجور برنابي والكابتن تريفيليان، وعن ذكرياتهما الماضية وشغفهما بالشطرنج. وسمع كل ما عُرِفَ عن عائلة ويليت، بما في ذلك الاعتقاد أن الآنسة فيوليت ويليت كانت تغري السيد روني جارفيلد بالتودد إليها، وأنها لم تقصد خداعه في الحقيقة. وتم التلميح إلى أنها قامت بنزهات غامضة في السهل، وأنها شوهدت تتجول هناك برفقة شاب، وأن هذا بلا ريب - كما خمنت السيدة كورتيس - هو سبب قدومهما إلى هذه البقعة المنعزلة، وأن والدتها أبعدتها على الفور "لتنسيها الأمر"، ولكن "قد تكون الفتيات أوسع حيلة مما تتخيل الأمهات". أما عن السيد دوك، فمن الغريب أنه لم يكون هناك الكثير لسماعه عنه؛ فهو لم يأتِ إلا منذ فترة قصيرة، ويبدو أن أنشطته تنحصر في البستنة.

بلغت الساعة الثالثة والنصف، وقد أصيب رأس السيد أنديربي بدوار من جراء حديث السيدة كورتيس، فخرج في نزهة. وكانت غايته من ذلك هي نثر بذور التعارف مع ابن أخت الآنسة بيرسهاوس على نحو أفضل. وقد ثبت أن المراقبة الحذرة لمنزل الآنسة

بيرسهاوس عديمة الجدوى، ولكن بضربة حظ صادف ذلك الشاب خارجًا للتو من بوابات منزل سيتافورد وهو مغتم. وكان من الواضح تمامًا أنه أُخرِج بعد سماعه كلمات حادة.

قال تشارلز: "مرحبًا، أليس هذا هو منزل الكابتن تريفيليان؟".

قال روني: "بلى".

"كنت آمل في التقاط صورة له في هذا الصباح... من أجل صحيفتي، ولكن هذا الجو لا يساعد على التصوير".

تقبل روني هذا الكلام بنية حسنة من دون التفكير في أنه لو كان التصوير ممكنًا في الأيام المشمسة فقط، لكانت الصور التي تظهر في الصحف اليومية قليلة. وقال:

"من المؤكد أنها وظيفة مثيرة للغاية... أعني وظيفتك".

قال تشارلز متبعًا العرف في عدم إظهار الحماسة نحو وظيفة المرء: "إنها لحياة مضنية". وألقى نظرة من فوق كتف روني على منزل سيتافورد، وقال: "أظنه مكانًا كئيبًا للغاية".

قال روني: "لا حدود للفارق الذي حدث منذ انتقال عائلة ويليت للعيش فيه. لقد دخلت المنزل في مثل هذا الوقت من العام الماضي، وفي الحقيقة أكاد لا أصدق أنه ذلك المنزل ذاته، ورغم هذا لا يمكنني معرفة ما أحدثتاه به. أحسب أنهما قامتا بتغيير مواضع الأثاث قليلًا، ووضعتا بعض الوسائد والأشياء الأخرى. ويمكنني القول إن وجودهما هنا كان نعمة ربانية عليّ".

قال تشارلز: "ولكني لا أحسب هذا المكان مبهجًا للغاية بصورة عامة".

قال تشارلز: "مبهج؟ لو أنني عشت هنا لمدة أسبوعين لمت تمامًا. وإني لأعجب من كيفية تمسك خالتي بالعيش فيه. أنت لم ترَ قططها، أليس كذلك؟ لقد تعين عليّ تمشيط شعر إحداها في هذا الصباح، فانظر كيف خدشتني تلك المتوحشة". ومد يده وذراعه ليري تشارلز.

قال تشارلز: "يا له من حظ عاثر!".

قال روني: "يمكنني القول إنه كذلك. هل تُجري أية تحريات هنا؟ إذا كنت كذلك، فهل بوسعي مساعدتك؟ أيمكنني لعب دور واتسون - مساعد شيرلوك هولمز - معك أو أي شيء من هذا القبيل؟".

سأله تشارلز بطريقة عادية: "هل هناك أية دلائل في منزل سيتافورد؟ أعني هل ترك الكابتن تريفيليان أيًا من أشيائه هنا؟".

"لا أعتقد ذلك؛ فقد قالت خالتي إنه أخذ معه جميع متعلقاته. لقد نقل أقدام الفيل، وأنياب فرس النهر، وبنادق الصيد كلها، وغيرها من الأشياء".

قال تشارلز: "يبدو كأنه لم ينوِ العودة".

"هذه فكرة. ألا تعتقد أنه انتحار؟".

قال تشارلز: "الرجل الذي يستطيع ضرب نفسه بدقة على مؤخرة رأسه بكيس رملي ينبغي أن يكون فنانًا في عالم الانتحار".

قال روني: "نعم، أعتقد أنها ليست فكرة سديدة. ورغم هذا، يبدو أنه كان لديه إحساس مسبق بما سيحدث له". ثم تهلل وجهه وقال: "اسمع، ما رأيك في هذه الفكرة؟ كان هناك أعداء يلاحقونه، وعلم أنهم قادمون؛ لذا جمع أشياءه وهرب بعد أن وضع أشخاصًا آخرين مكانه، أعني عائلة ويليت".

قال تشارلز: "إن عائلة ويليت أعجوبة".

"نعم، لا أستطيع فهم هذا الأمر. تخيل أن يزرع المرء نفسه هنا في الريف على هذا النحو. ويبدو أن فيوليت لا تمانع ذلك... بل تقول في الحقيقة إن هذا يعجبها. ولا أدري ما خطبها اليوم، أظنها مشكلة الخدم. ولا أستطيع فهم سبب قلق النساء الشديد بشأن الخدم. إذا أزعجوك، فاطردهم".

قال تشارلز: "هذا بالضبط ما فعلتاه، أليس كذلك؟".

"بلى، أعلم هذا. ولكنهما في حالة انفعال شديد بسبب هذا الأمر، فالأم مستلقية على فراشها تصرخ على نحو هستيري أو ما شابه ذلك، والابنة تعض كسلحفاة. لقد أخرجتني للتو دفعًا".

"ألم تزرهما الشرطة؟".

حملق إليه روني ثم قال: "الشرطة، كلا، لماذا تزورهما؟".

"حسنًا، يا للعجب؛ فقد رأيت المفتش ناراكوت في سيتافورد هذا الصباح".

سقطت العصا من يد روني محدثة ضجة، فانحنى ليلتقطها، ثم قال:

"من تقول إنه كان في سيتافورد هذا الصباح... المفتش ناراكوت؟".

"نعم".

"هل هو... المسئول عن قضية تريفيليان؟".

"نعم".

"ماذا كان يفعل في سيتافورد؟ أين رأيته؟".

قال تشارلز: "أوه، أحسبه كان يجري بعض التحريات. يتفحص حياة الكابتن تريفيليان السابقة، إن جاز التعبير".

"أتعتقد أن هذا كل ما في الأمر؟".

"أحسبه كذلك".

"ألا يعتقد أن لأحد في سيتافورد علاقة بالأمر؟".

"هذا مستبعد تمامًا، أليس كذلك؟".

"بلى، هذا مستبعد جدًا. ولكنك تعلم طبيعة الشرطة... فهم دائمًا ما يتدخلون في شئون الآخرين بطريقة خطأ. على الأقل، هذا ما يقال عنهم في الروايات البوليسية".

قال تشارلز: "أعتقد أنهم مجموعة من الرجال الأذكياء للغاية. والصحافة بالطبع تفعل الكثير لمساعدتهم. ولكنك لو قرأت إحدى قضاياهم بعناية، لأدهشتك طريقتهم في اكتشاف القتلة من دون وجود أدلة عملية تساعدهم على ذلك".

قال روني: "أوه... حسنًا... من اللطيف معرفة هذا، أليس كذلك؟ لقد توصلوا بالتأكيد إلى ذلك الرجل المدعو جيمس بيرسون بسرعة كبيرة. وتبدو هذه قضية واضحة للغاية".

قال تشارلز: "واضحة كوضوح الشمس في كبد السماء. الأمر الجيد هو أنه لم أكن أنا أو أنت متهمين فيها، أليس كذلك؟ حسنًا، يجب عليّ إرسال بضع برقيات. ويبدو أن الناس هنا غير معتادين البرقيات؛ فإذا أرسلت برقية بما يزيد على الشلنين والنصف يعدونك مجنونًا هاربًا من مستشفى الأمراض العقلية".

أرسل تشارلز برقياته، واشترى علبة سجائر، وقليلًا من حلوى عين الثور المريبة، وروايتين قصيرتين ذواتي ورق قديم للغاية. وبعد ذلك، عاد إلى المنزل، وألقى جسده على فراشه، ونام بهدوء، هانئًا بنعمة عدم إدراكه أنه هو وعلاقاته - وخاصة الآنسة إيميلي تريفوسيس - مثار للحديث في كل مكان حوله.

ومن الآمن تمامًا أن نقول إنه ليست هناك سوى ثلاثة موضوعات فقط للأحاديث في سيتافورد حاليًا. أحدها هو القاتل، والثاني هو هروب السجين، والثالث هو الآنسة إيميلي تريفوسيس وابن خالها. وبالفعل، في وقت محدد، جرت ثلاثة أحاديث منفصلة وموضوعها الأساسي هو إيميلي.

الحديث الأول جرى في منزل سيتافورد، بعد أن انتهت فيوليت ويليت ووالدتها من غسل أدوات الشاي بنفسيهما بسبب مغادرة الخادمات.

قالت فيوليت، وهي لا تزال تبدو شاحبة ومتعبة: "السيدة كورتيس هي من أخبرتني".

قالت والدتها: "إن طريقة تلك المرأة في الحديث كالوباء".

"أعلم هذا. ويبدو أن الفتاة تقيم لديها مع ابن خال لها أو شيء من هذا القبيل. وقد

ذكرت لي في هذا الصباح أنها تقيم في منزل السيدة كورتيس، ولكنني ظننت أنها فعلت ذلك لأنها لم تجد لها مكانًا في منزل الآنسة بيرسهاوس. والآن يبدو لي أنها لم تلتقِ بالآنسة بيرسهاوس إلا في هذا الصباح!".

قالت السيدة ويليت: "أنا أكره تلك المرأة بشدة".

"من، السيدة كورتيس؟".

"كلا، كلا، أقصد الآنسة بيرسهاوس. هذا النوع من النساء خطير؛ لأنهن يعشن على استكشاف خبايا الآخرين. انظري كيف أرسلت تلك الفتاة إلى هنا من أجل وصفة كعكة القهوة! وددت لو أنني أرسلت إليها كعكة مسمومة؛ فهذا سيجعلها تكف عن التطفل إلى الأبد!".

قالت فيوليت: "أظن أنه كان يتعين عليّ أن أدرك...". ولكن والدتها قاطعتها قائلة:

"وكيف لك أن تدركي ذلك يا عزيزتي؟! وما الضرر الذي وقع على أية حال؟".

"ما سبب قدومها إلى هنا في رأيك؟".

"لا أظن أن لديها شيئًا محددًا في ذهنها. لقد كانت تستكشف المكان وحسب. هل السيدة كورتيس متأكدة من خطبتها لـ جيمس بيرسون؟".

"أعتقد أن الفتاة أخبرت السيد ريكروفت بهذا. وقالت السيدة كورتيس إنها ظنت ذلك منذ البداية".

"حسنًا، الأمر برمته طبيعي إذن. إنها تبحث بلا هدى عن شيء قد يساعدها".

قالت فيوليت: "أنت لم تلتقي بها يا أمي. إنها لا تسير بلا هدى".

قالت السيدة ويليت: "كنت أتمنى أن ألتقي بها، ولكن أعصابي كانت محطمة في هذا الصباح. وأحسب أن هذا رد فعل للقائي بمفتش الشرطة بالأمس".

"لقد كنت رائعة يا أمي. وليتني لم أكن بتلك الحماقة... بحيث أغمي عليّ. أوه! إنني أخجل من نفسي لكشفي الأمر على هذا النحو. أما أنت فقد كنت هادئة ورصينة تمامًا... لم تهتز منك شعرة".

قالت السيدة ويليت بصوت حازم خالٍ من الرقة: "لقد تدربت جيدًا على مثل هذه الأمور. ولو أنك مررت بما مررت به أنا... لكنني آمل ألا تمري به يا ابنتي. وأنا أثق وأؤمن بأن حياة سعيدة آمنة تنتظرك". فهزت فيوليت رأسها ثم قالت:

"أخشى أن... أخشى...".

"هراء... أما بالنسبة لقولك إنك كشفت الأمر بإغمائك بالأمس... فلا شيء من هذا القبيل. لا تقلقي".

"ولكن المفتش... سيظن أن...".

"أن ذكر جيمس بيرسون جعلك تفقدين وعيك؟ نعم... سوف يظن ذلك؛ فليس ذلك المفتش ناراكوت أحمق. ولكن ماذا سيحدث لو ظن ذلك؟ سوف يشك في وجود علاقة لنا به... وسيبحث عنها... ولن يجدها".

"أتعتقدين هذا؟".

"بالطبع لن يجدها! كيف له ذلك؟ ثقي بي يا عزيزتي فيوليت. هذا أمر مؤكد تمامًا، وربما كان في فقدانك للوعي خير لنا على نحو ما. سوف نفكر في الأمر هكذا على أية حال".

وجرى الحديث الثاني في منزل الميجور برنابي. وكان حديثًا من طرف واحد إلى حد ما؛ فقد حملت العبء الأكبر منه السيدة كورتيس، التي ظلت تستعد للمغادرة طوال نصف الساعة الماضية، بعد أن مرت لأخذ ملابس الميجور برنابي المتسخة.

قالت السيدة كورتيس بزهو: "إنها مثل بيليندا ابنة خالتي سارة - وهذا ما قلته لزوجي في هذا الصباح - فهي كتوم... ويمكنها أن تتحكم في كل الرجال بأصبعها الأصغر".

بدت من الميجور برنابي ابتسامة عريضة.

وواصلت حديثها قائلة: "إنها مخطوبة لشاب، وتُمضي الوقت مع شاب آخر. وهذا هو دأب ابنة خالتي. ولكن انتبه إلى أن ابنة خالتي لا تفعل هذا بغرض التسلية، أو لمجرد العبث... فهي فتاة كتوم غامضة. والآن، ها هو ذا السيد جارفيلد الشاب... سوف تطرحه أرضًا كالشاة قبل أن تقول هات السكين؛ فلم أرَ في حياتي شابًا أشبه بالشاة مثلما رأيته في هذا الصباح... وكانت تلك علامة واضحة".

توقفت لالتقاط نَفَسها، فعاجلها الميجور برنابي قائلًا:

"حسنًا، حسنًا، لا أريد أن أؤخرك يا سيدة كورتيس".

قالت السيدة كورتيس من دون أن تتحرك: "سوف يطلب زوجي الشاي بلا شك. ولم أكن قط ممن يتسكعون بغية الثرثرة. فليمضِ الإنسان إلى عمله... هذا شعاري. وبمناسبة الحديث عن العمل، ما رأيك يا سيدي في أن أنظف لك منزلك على نحو جيد؟".

قال الميجور برنابي بقوة: "لا داعي لذلك!".

"لقد مر شهر منذ أن نظفته آخر مرة".

"لا بأس، أحب أن أعلم مواضع أشيائي؛ فبعد مرات التنظيف تلك لا يعاد أي شيء إلى موضعه".

تنهدت السيدة كورتيس؛ فقد كانت منظفة شديدة الحماس، وقالت: "إن منزل الكابتن وايت هو الذي يحتاج إلى تنظيف في الربيع. ذلك الخادم الكريه القادم من المستعمرات... ما الذي يعرفه عن التنظيف؟ أتمنى أن أعرف. ذلك الرجل الأسود الكريه".

قال الميجور برنابي: "لا أحد أفضل من الخدم المستقدمين من المستعمرات؛ فهم يعرفون كيف يؤدون أعمالهم ولا يثرثرون".

ومهما حملت الجملة السابقة من تلميحات، فقد ضاعت كلها هباء على السيدة كورتيس؛ فقد عاد عقلها إلى الموضوع السابق وقالت:

"لقد جاءتها برقيتان... برقيتان وصلتا في نصف ساعة. لقد أثارتا خوفي، ولكنها قرأتهما ببرود تام، ثم قالت لي إنها ذاهبة إلى إكسيتر ولن تعود إلا غداً".

سألها الميجور بنبرة أمل: "هل صحبت الشاب معها؟".

"كلا، لا يزال هنا. ويا له من شاب حسن الحديث! إنهما يشكلان زوجين لطيفين".

ابتسم الميجور برنابي، فقالت السيدة كورتيس:

"حسنًا، سأذهب".

ولم يجرؤ الميجور على التنفس؛ خشية أن يشغلها هذا عن الذهاب. ولكن في هذه المرة أوفت بما قالت. وانغلق الباب خلفها.

تنهد الميجور بارتياح، وأخذ نفسًا من غليونه، وشرع في قراءة نشرة إعلانية عن منجم معين موصوف بكلمات تفاؤلية على نحو مبالغ فيه، ومن شأنه أن يثير شكوك أي أحد سوى أرملة أو جندي متقاعد.

تمتم الميجور برنابي: "اثنا عشر بالمائة. يبدو هذا جيداً للغاية...".

وفي المنزل المجاور، كان الكابتن وايت يتحدث بثقة وتحذلق إلى السيد ريكروفت قائلًا:

"إن أمثالك من الرجال لا يعلمون أي شيء عن العالم. أنت لم تعش قط، لم تذق خشونة العيش قط".

ولم يقل السيد ريكروفت أي شيء. ومن الصعب للغاية ألا تتفوه بكلام لاذع عند الحديث مع الكابتن وايت؛ ومن ثم فعادة ما يكون من الأفضل عدم الرد عليه مطلقًا.

اتكأ الكابتن على جانب كرسيه المتحرك ثم قال:

"أين ذهبت تلك الكلبة؟ يا لها من فتاة جميلة!". وكانت الأفكار تتداعى في عقله بطريقة طبيعية، أما بالنسبة للسيد ريكروفت - الذي ظل ينظر إليه بغيظ شديد - فلم

يستطع مواكبة أفكاره.

وتساءل الكابتن وايت: "ماذا تفعل هنا؟ هذا ما أريد معرفته". ثم صاح: "يا عبدول!".

"ماذا يا سيدي؟".

"أين بولي؟ هل خرجت ثانية؟".

"إنها في المطبخ يا سيدي".

قال الكابتن: "حسنًا، لا تطعمها". واتكأ للخلف على كرسيه ثانية، ثم واصل الحديث في موضوعه الثاني، فقال: "ماذا تريد الفتاة من هنا؟ وإلى من تنوي التحدث في مكان كهذا؟ فجميعكم أيها المحافظون العجائز سوف تصيبونها بالملل. وقد تحدثت إليها في هذا الصباح، وأظنها اندهشت لوجود رجل مثلي في مكان كهذا".

وفتل شاربه.

قال السيد ريكروفت: "إنها خطيبة جيمس بيرسون. أنت تعرفه... هو ذلك الرجل الذي اعتقل بتهمة قتل تريفيليان".

أسقط وايت كوبًا من العصير رفعه للتو قرب شفتيه فاصطدم بالأرض، فصاح على الفور بخادمه عبدول وشتمه بألفاظ لا حصر لها لعدم وضعه طاولة في زاوية مناسبة لكرسيه. وبعد ذلك، عاد إلى حديثه فقال:

"إذن، هذه هويتها. إنها أفضل من أن تكون لبهلوان كهذا؛ ففتاة كهذه بحاجة إلى رجل حقيقي".

قال السيد ريكروفت: "إن الشاب جيمس بيرسون وسيم للغاية".

"وسيم... وسيم... الفتيات لا يردن دمية حلاق. هذا النوع من الشباب الذين يعملون في المكاتب طوال اليوم ماذا يعلمون عن الحياة؟ ما مدى خبرته بالواقع؟".

قال السيد ريكروفت بحدة: "ربما تكون خبرة اعتقاله بتهمة القتل واقعًا كافيًا له لبعض الوقت".

"الشرطة واثقة بأنه فعلها، أليس كذلك؟".

"من المؤكد أنهم واثقون تمامًا؛ فما كانوا ليعتقلوه لو لم يكونوا متأكدين من ذلك".

قال الكابتن وايت بازدراء: "إنهم ساذجون".

قال السيد ريكروفت: "ليس صحيحًا تمامًا؛ فقد أذهلني المفتش ناراكوت بقدراته وكفاءته هذا الصباح".

"أين لقيته هذا الصباح؟".

"لقد زارني في منزلي".

قال الكابتن وايت بنبرة من انتُقصت كرامته: "ولكنه لم يزرني".

"حسنًا، أنت لم تكن صديقًا مقربًا إلى الكابتن تريفيليان أو أي شيء من هذا".

"لا أدري ما ترمي إليه، ولكن تريفيليان كان رجلًا بخيلًا، وقلت له هذا الكلام في وجهه. ولم يكن يستطيع لعب دور الرئيس عليّ، ولم أتذلل له كبقية الناس هنا؛ فدائمًا هناك زيارات... زيارات... الكثير جدًا من الزيارات. أما أنا فإذا اخترت ألا أرى شخصًا ما لمدة أسبوع، أو شهر، أو عام، فهذا شأني وحدي".

قال السيد ريكروفت: "وأنت لم ترَ أحدًا منذ أسبوع حتى الآن، أليس كذلك؟".

"بلى، ولماذا ينبغي عليّ ذلك؟". وضرب هذا الرجل العاجز الغاضب الطاولة بيده، فأدرك السيد ريكروفت كالعادة أنه تفوه بكلام لاذع. وواصل الكابتن حديثه قائلًا: "لماذا ينبغي عليّ ذلك بحق الجحيم؟ أخبرني!".

ظل السيد ريكروفت صامتًا بحكمة، فذهب عن الكابتن غضبه، وقال:

"ورغم هذا، إذا أرادت الشرطة معرفة الكابتن تريفيليان فأنا الرجل الذي ينبغي عليهم اللجوء إليه؛ فقد جبت العالم واكتسبت الحكمة. وبوسعي تحديد قيمة المرء بدقة. وما الفائدة من الذهاب إلى الكثير من الخَرِفين والنساء العجائز؟ إن ما يريدونه هو رجل حكيم".

وضرب الطاولة بيده مرة أخرى، فقال السيد ريكروفت:

"حسنًا، أحسب أنهم يعرفون عم يبحثون".

قال الكابتن وايت: "لقد سألوا عني، من الطبيعي أن يسألوا عني".

قال السيد ريكروفت بحذر: "حسنًا... إمم... أنا لا أتذكر تمامًا".

"لماذا لا تستطيع التذكر؟ أنت لم تصبح خَرِفًا بعد".

قال السيد ريكروفت مهدئًا إياه: "أظنني كنت... إمم... كنت مضطربًا".

"كنت مضطربًا؟ أتخشى الشرطة؟ أنا لا أخشاها. دعهم يأتوا إلى هنا... نعم... سوف أريهم. هل تعلم أنني أطلقت النار على قطة على بعد تسعين مترًا تقريبًا في الليلة الماضية؟".

قال السيد ريكروفت: "أفعلت هذا حقًا؟".

كانت عادة الكابتن وايت في إطلاق النار من مسدسه على قطط حقيقية أو وهمية

تمثل بلاء شديداً بالنسبة لجيرانه.

وقال الكابتن وايت فجأة: "حسنًا، أنا متعب. هل ترغب في تناول مشروب آخر قبل أن تغادر؟".

وفور فهم السيد ريكروفت تلميحه، هب واقفًا. وواصل الكابتن وايت إلحاحه عليه بأن يتناول كوبًا آخر من العصير، وقال:

"ستكون رجلًا حقًا إذا تناولت المزيد؛ فالرجل الذي لا يستمتع بمشروبه لا يعد رجلًا على الإطلاق".

ولكن السيد ريكروفت واصل رفضه العرض؛ فقد نال كفايته.

سأله وايت: "ما نوع الشاي الذي تتناوله؟ أنا لا أعلم أي شيء عن الشاي. وسوف أطلب من عبدول أن يحضر بعضًا منه؛ فأنا أظن أن الفتاة ربما تزورني لشرب الشاي يومًا ما. ويا لها من فتاة جميلة للغاية! يجب أن أفعل شيئًا من أجلها؛ فمن المؤكد أنها تشعر بملل شديد في مكان كهذا لا يوجد فيه من يمكنها التحدث إليه".

قال السيد ريكروفت: "هناك شاب برفقتها".

قال الكابتن وايت: "شباب هذه الأيام يصيبونني بالغثيان. ما الفائدة منهم؟".

هذا سؤال تصعب الإجابة عنه على نحو مناسب، ومن ثم لم يحاول السيد ريكروفت ذلك، وغادر.

صحبته الكلبة إلى البوابة، وسببت له ذعرًا كبيرًا.

وفي المنزل رقم 4، كانت الآنسة بيرسهاوس تتحدث إلى ابن أختها رونالد قائلة له:

"إذا كنت تحب اللهاث خلف فتاة لا تريدك، فأنت وشأنك يا رونالد. ولكن من الأفضل أن تتشبث بفتاة عائلة ويليت؛ فقد تحظى بفرصة هناك، رغم أني أعتقد أن هذا مستبعد تمامًا".

اعترض روني على كلامها قائلًا: "أوه، أود أن أقول...".

فتجاهلت اعتراضه قائلة: "والأمر الثاني الذي أود قوله هو إذا قدم أي ضابط شرطة إلى سيتافورد، فعليك أن تعلمني بوجوده. من يدري لعلي أستطيع تقديم معلومة قيمة له؟".

قال روني: "أنا نفسي لم أعلم بوجوده إلا بعد مغادرته".

"هذا مألوف منك يا روني. هذا دأبك دائمًا".

"أنا آسف يا خالتي كارولين".

"وعندما تطلي أثاث الحديقة، فلا حاجة إلى أن تطلي وجهك أيضاً؛ فهذا لن يحسنه فضلاً عن كونه إهداراً للطلاء".

"أنا آسف يا خالتي كارولين".

قالت الآنسة بيرسهاوس وهي تغمض عينيها: "والآن، لا تجادلني أكثر من هذا؛ فأنا متعبة".

حك روني الأرض بقدمه وبدا منزعجاً.

قالت له الآنسة بيرسهاوس بحدة: "ما الأمر؟".

"أوه! لا شيء... فقط...".

"ماذا؟".

"حسناً، كنت أتساءل هل تمانعين في ذهابي إلى إكسيتر غداً؟".

"لماذا؟".

"حسناً، أريد لقاء صديق لي هناك".

"أي صديق هذا؟".

"أوه! إنه مجرد صديق".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "إذا رغب شاب في أن يكذب، فعليه أن يكذب جيداً".

"أوه! أود أن أقول... لكن...".

"لا تعتذر".

"لا بأس إذن. أيمكنني الذهاب؟".

"لا أدري ماذا تعني بقولك "أيمكنني الذهاب؟" كما لو كنت طفلاً صغيراً. لقد جاوزت الحادية والعشرين".

"نعم، ولكن ما عنيته هو أني لا أريد...".

أغمضت السيدة بيرسهاوس عينيها مرة أخرى، وقالت له:

"لقد طلبت منك ألا تجادلني؛ فأنا متعبة وأريد أن أرتاح. وإذا كان "الصديق" الذي تريد لقاءه في إكسيتر يرتدي تنورة واسمه إيميلي تريفوسيس فهذه حماقة زائدة منك... هذا كل ما لديّ".

"ولكن اسمعيني...".

"أنا متعبة يا رونالد. هذا يكفي".

الفصل 22

مغامرات تشارلز الليلية

لم يكن تشارلز يتطلع بأي تشوق إلى النتائج المرتقبة لنوبة حراسته الليلية. وقال في نفسه إنه من المحتمل أن يكون هذا الأمر أشبه بملاحقة إوزة برية، وأن إيميلي خاضعة لخيالها الجامح للغاية.

وكان واثقًا بأنها استخلصت من الكلمات القليلة التي سمعتها استراقًا معنى لا وجود له إلا في عقلها هي. وربما كان الإرهاق الشديد هو الذي دفع السيدة ويليت لتمني حلول المساء.

نظر تشارلز من نافذته وارتعش؛ فقد كانت ليلة قارسة البرودة وضبابية... وهي آخر ليلة يرغب المرء في إمضائها في العراء متسكعًا ومنتظرًا حدوث شيء ذي طبيعة غامضة للغاية.

ورغم هذا، لم يجرؤ على الخضوع لرغبته في البقاء داخل المنزل في ارتياح. وتذكر صوت إيميلي العذب عندما قالت له: "من الرائع للغاية أن يكون لدى المرء شخص يمكنه الاعتماد عليه بحق".

لقد اعتمدت على تشارلز، وينبغي ألا يذهب اعتمادها هباءً. ماذا؟ كيف له أن يخذل تلك الفتاة الجميلة الضعيفة. هذا لن يكون أبدًا.

وفضلًا عن هذا، ظل يفكر في أثناء ارتدائه جميع ملابسه الداخلية قبل ارتدائه قميصين صوفيين ومعطفًا صوفيًا في أن الأمور ستكون غير سارة إلى حد بعيد إذا عادت إيميلي واكتشفت أنه لم يفِ بوعده.

وربما توبخه بأحد الألفاظ اللاذعة. كلا، لا يمكنه المخاطرة بهذا. ولكن بالنسبة لما سيحدث...

وعلى أية حال - متى سيحدث ذلك وكيف؟ - لا يمكنه أن يتواجد في كل مكان في آن واحد. وربما ما سيحدث - أيًا كانت طبيعته - سيحدث في منزل سيتافورد ولن يستطيع معرفة أي شيء عنه أبدًا.

قال لنفسه متبرمًا: "شأنها كشأن الفتيات، ذهبت إلى إكسيتر بكل سهولة،

وتركتني لأداء العمل الشاق".

وحينها تذكر مرة أخرى نغمات صوتها العذبة عندما عبرت عن اعتمادها عليه، وشعر بالخزي لغضبه.

وأكمل ارتداء ملابسه، وبدا منتفخًا وأشبه بشخصية تويدليدي، وخرج من المنزل بخفة عجيبة دون أن يلاحظه أحد.

كانت الليلة أشد برودة وقساوة مما كان يظن. هل أدركت إيميلي ما سيعانيه من متاعب بدلًا منها؟ تمنى أن تكون قد أدركت ذلك.

وتحركت يده بلطف نحو أحد جيوبه، وربتت على كيس من الشطائر مخفية في جيب قريب، وتمتم قائلًا:

"هذا أفضل صديق في ليلة طويلة. وأظن أن هذه الليلة طويلة بالطبع".

دخل الأرض المحيطة بمنزل سيتافورد بحذر. لم تكن عائلة ويليت تحتفظ بكلاب، ومن ثم لا خوف من إثارة الانتباه في هذا الجانب. وكان هناك ضوء في المنزل الصغير المخصص للبستاني يبين أنه مسكون. أما منزل سيتافورد نفسه فكان مظلمًا عدا نافذة ينبعث منها الضوء في الطابق الأول.

قال تشارلز في نفسه: "تلكما المرأتان وحدهما في المنزل. وما كنت لأهتم شخصيًا بذلك. ولكن الأمر مخيف بعض الشيء!".

ورأى أن إيميلي سمعت تلك الجملة حقًا.

"ألن تأتي هذه الليلة أبدًا؟". ما الذي تعنيه حقًا؟

وقال في نفسه: "ترى هل تنويان المغادرة خفية؟ حسنًا، أيًا كان ما سيحدث، فـتشارلز سيكون موجودًا هنا لرؤيته".

ودار حول المنزل على مسافة آمنة. ونظرًا للطبيعة الضبابية لليلة، لم يخشَ أن يلاحظ وجوده أحد. وكان كل شيء يبدو عاديًا حسبما يرى. ومن خلال مروره بحذر على الأبنية الملحقة تبين أنها مغلقة.

قال تشارلز والساعات تمر: "آمل أن يحدث شيء ما". وتناول قضمة من شطيرة ثم قال: "لم أشهد بردًا كهذا من قبل. ماذا كنت تفعل في أثناء الحرب العالمية الأولى يا أبي، محال أن الجو كان أسوأ من هذا حينها".

وألقى نظرة على ساعة اليد الخاصة به، فدهش إذ وجد الساعة لم تتجاوز الثانية عشرة إلا عشرين دقيقة؛ فقد كان واثقًا بأن الفجر قريب.

صدر صوت مفاجئ جعله يرهف سمعه بانفعال. كان ذلك صوت مزلاج يسحب

بخفة كبيرة، وكان قادماً من ناحية المنزل. قام تشارلز بالانتقال من شجيرة إلى أخرى بهدوء تام. نعم، لقد كان محقًا تماماً؛ فقد انفتح الباب الجانبي ببطء. وكان هناك سواد يقف على العتبة. وكان ينظر بقلق نحو الظلام.

قال تشارلز لنفسه: "إما أن تكون هذه السيدة ويليت أو ابنتها. وأعتقد أنها ابنتها فيوليت الجميلة".

وبعد الانتظار لمدة دقيقة أو دقيقتين، خطا السواد على الممر وأغلق الباب خلفه بهدوء تام، وشرع في المشي مبتعداً عن المنزل في الاتجاه المعاكس للممر الأمامي؛ وهو الممر الذي يلتف خلف منزل سيتافورد ماراً بقطعة أرض صغيرة تغطيها الأشجار، ثم يؤدي إلى السهل المنبسط.

كان الممر منعطفاً بالقرب من الشجيرات التي يختبئ تشارلز خلفها، وكان قريباً للغاية لدرجة أن تشارلز استطاع التعرف على المرأة عند مرورها. لقد كان محقًا تماماً؛ فهي فيوليت ويليت. وكانت ترتدي معطفاً طويلًا داكن اللون وتضع على رأسها قبعة صغيرة مسطحة.

مضت في طريقها، وتبعها تشارلز بهدوء قدر المستطاع. ولم يكن يخشى أن تراه، بل كان يخشى من سماعها لخطواته. وكان حريصاً للغاية على عدم إثارة انتباهها. وبسبب حرصه الشديد هذا، سبقته هي. ولمدة دقيقة أو دقيقتين كان يخشى أن يفقد أثرها، ولكنه عندما دار في طريقه بلهفة حول قطعة الأرض التي تغطيها الأشجار، رآها واقفة أمامه في موضع يبعد عنه قليلًا. وفي هذا الموضع ينتهي السور المحيط بالمنزل ببوابة، وكانت فيوليت ويليت واقفة بجوار هذه البوابة ومائلة بجسدها عليها تنظر إلى الخارج.

تسلل تشارلز مقترباً منها قدر ما يجرؤ، وانتظر. ومر الوقت. وكان لدى الفتاة مصباح جيب صغير، فأشعلته لبرهة، ووجهته - بحسب ظن تشارلز - إلى الساعة التي كانت ترتديها في معصمها لمعرفة الوقت، ثم مالت على البوابة مرة أخرى بالقدر ذاته من الاهتمام والترقب. وفجأة، سمع تشارلز تصفيرة خافتة تكررت مرتين.

ورأى الفتاة تتأهب فجأة، ومالت على البوابة وأخرجت من شفتيها الإشارة ذاتها... تصفيرة خافتة تكررت مرتين.

وبعدها، وعلى نحو مفاجئ مخيف، لاح سواد رجل في الظلام. وصدرت شهقة تعجبية خافتة من الفتاة، وتراجعت خطوة أو خطوتين، فانفتحت البوابة للداخل، وانضم إليها الرجل. وتحدثت إليه بنبرة خافتة سريعة. ونظراً لأن تشارلز لم يستطع سماع حديثهما، فقد تقدم مقترباً منهما على نحو طائش، فوطئ بقدمه غصن شجرة محدثًا خشخشة، فاستدار الرجل على الفور وقال:

"من هناك؟".

ولمح سواد تشارلز وهو يتقهقر للخلف.

وقال: "هيه، توقف! ماذا تفعل هنا؟".

واندفع خلفه، فاستدار تشارلز نحوه وواجهه ببراعة. وما هي إلا ثوانٍ حتى ظل الاثنان يتقلبان مراراً وتكراراً وكل منهما يطوق جسد الآخر بذراعيه بقوة.

كان صراعًا قصيراً؛ فخصم تشارلز كان الأضخم والأقوى، فنهض الرجل على قدميه مقتاداً أسيره.

وقال: "سلطي الضوء على وجهه يا فيوليت، دعينا نر هذا الرجل".

أقبلت الفتاة التي كانت تقف على بعد بضع خطوات وهي خائفة، وأضاءت مصباحها على نحو مطيع.

قالت: "من المؤكد أنه ذلك الرجل الذي يمكث في القرية، الصحفي".

قال الرجل متعجبًا: "صحفي، هه؟ أنا لا أحب هذه الطائفة. ماذا تفعل أيها الحقير بتجسسك في أملاك خاصة في مثل هذا الوقت من الليل؟".

تمايل المصباح في يد فيوليت، ولأول مرة تمكن تشارلز من رؤية خصمه بوضوح تام. ولبضع دقائق ظلت تراوده فكرة غريبة بأن الزائر قد يكون ذلك السجين الهارب. ومن شأن نظرة واحدة لذلك الرجل أن تبدد أية فكرة خيالية كهذه؛ فقد كان شاباً لا يتجاوز عمره الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين. وكان طويلًا، ووسيمًا، وحازمًا، وليس بينه وبين السجين المطارد أي شبه.

قال الشاب بحدة: "والآن، أخبرني ما اسمك؟".

قال تشارلز: "اسمي تشارلز أنديربي". ثم قال: "أنت لم تخبرني باسمك بعد".

"يا لوقاحتك!".

وجاءت ومضة إلهام لـتشارلز. وقد خدمه التخمين الإلهامي عدة مرات من قبل. وكان ذلك التخمين مجرد رمية عشوائية، ولكنه كان يؤمن بصحته. وقال بهدوء:

"ولكنني أعتقد أن باستطاعتي تخمينه".

"هه؟".

وبدا الشاب مشدوهًا تمامًا، فقال تشارلز:

"أعتقد أنني أتشرف بمخاطبة السيد برايان بيرسون القادم من أستراليا. هل هذا صحيح؟".

ساد الصمت... وكان صمتًا طويلًا إلى حد ما. وشعر تشارلز بأن الطاولة انقلبت

لصالحه.

وقال الرجل في النهاية: "لا أتخيل كيف عرفت، ولكنك محق. إن اسمي هو برايان بيرسون".

قال تشارلز: "في هذه الحالة، أقترح أن ندخل المنزل ونتحدث معاً في بعض الأمور!".

الفصل 23

في منزل هازلمور

كان الميجور برنابي يجري حساباته، أو بتعبير أكثر كلاسيكية، كان ينظر في شئونه الخاصة. وكان رجلًا منهجيًا للغاية يحتفظ في دفتر ذي غلاف جلدي بتسجيل للأسهم المشتراة، والأسهم المبيعة، والخسائر أو الأرباح المصاحبة لها... وعادة ما كانت تصاحبها خسائر؛ فما كان يجذب الميجور - كما هو شائع بين أكثر رجال الجيش المتقاعدين - هو نسبة الربح العالية، لا النسبة المعتدلة المقترنة بالسلامة.

ظل يتمتم: "حقول النفط هذه تبدو جيدة. ويبدو أنها تحتوي على ثروة. ولكنها لا تقل سوءًا عن منجم الألماس ذلك! إنها توجد في كندا، وتبدو استثمارًا جيدًا حتى الآن".

انقطع حبل تفكيره عندما بدا رأس رونالد جارفيلد عند النافذة المفتوحة، وقال له رونالد بمرح: "مرحبًا، أرجو ألا أكون متطفلًا عليك".

قال الميجور برنابي: "إذا كنت تنوي الدخول فاذهب إلى الباب الأمامي، وانتبه إلى النباتات الصخرية. أظنك واقفًا عليها الآن".

تراجع روني للخلف معتذرًا، وسرعان ما وصل إلى الباب الأمامي.

وصاح فيه الميجور قائلًا: "امسح قدميك في ممسحة الأقدام من فضلك".

كان الميجور يرى الشباب مزعجين للغاية. والشاب الوحيد الذي شعر نحوه ببعض المودة لمدة طويلة هو ذلك الصحفي، تشارلز أنديربي.

قال الميجور لنفسه: "ذلك شاب لطيف. وكان مهتمًا للغاية أيضًا بما سردتُه له عن حرب البوير".

أما بالنسبة لـروني جارفيلد فلم يكن يشعر نحوه بأية مودة. وكان كل ما يقوله روني البائس أو يفعله يثير انزعاج الميجور. ورغم هذا، فالضيافة ضيافة. قال له الميجور متبعًا التقاليد:

"هل تود أن تشرب شيئًا؟".

"كلا، شكرًا. في الحقيقة، لقد جئت إليك لمعرفة ما إذا كان باستطاعتنا التعاون معًا؛ فأنا أريد الذهاب إلى إكزامبتون اليوم وسمعت أنك استأجرت سيارة إلمر".

أومأ برنابي برأسه، وقال موضحًا:

"أنا ذاهب لاسترجاع أشياء تريفيليان؛ فقد انتهت الشرطة من فحص المنزل الآن".

قال روني بارتباك: "حسنًا، أنا أريد الذهاب إلى إكزامبتون اليوم بالذات، وفكرت في أن نذهب معًا ونقتسم أجرة السيارة. هه؟ ما رأيك؟".

قال الميجور برنابي: "بالتأكيد، أنا موافق. ولكن أليس من الأكثر إفادة أن نذهب سيرًا على الأقدام. إنه تمرين، ولا أحد منكم يا شباب هذه الأيام يمارس أي تمارين. والسير تسعة كيلو مترات ونصف الكيلو متر سريعًا في الذهاب ومثلهن في الإياب هو أكثر ما يفيدك في هذا العالم. ولولا حاجتي إلى إحضار بعض أغراض تريفيليان إلى هنا، لقطعتها سيرًا بنفسي. الرفاهية... إنها كارثة هذا الزمان".

قال روني: "أوه، حسنًا. أنا لا أستطيع أن أرى نفسي نشيطًا للغاية هكذا، ولكنني مسرور لحل المسألة على ما يرام. لقد أخبرني إلمر بأنك ستنطلق في الساعة الحادية عشرة، فهل هذا صحيح؟".

"نعم".

"جيد، سأكون هنا في الموعد المحدد".

ولكن روني لم يفِ بكلمته تمامًا؛ ففكرته عن الوصول في الموعد المحدد تعني التأخر لمدة عشر دقائق. وقد وجد الميجور برنابي في حالة غضب وانفعال وغير قابل للتهدئة باعتذار فاتر.

قال روني لنفسه: "يا للضجة التي يحدثها العجائز! ولا فكرة لديهم عن الويل الذي يصبونه على الجميع بدقتهم في المواعيد، وإصرارهم على فعل كل شيء في اللحظة المحددة، وتمارينهم اللعينة، ومحافظتهم على لياقتهم".

وترك عقله يلهو لبضع دقائق بفكرة زواج الميجور برنابي بخالته، وتساءل لمن منهما ستكون الغلبة؟ ورأى أن الغلبة ستكون لخالته دائمًا. ومن الممتع إلى حد ما أن يتخيل خالته وهي تصفق بيديها وتطلق صيحات تصم الآذان لتنادي الميجور أن يأتي إليها.

وبعد أن نحى هذه الأفكار عن عقله، دخل في حديث مسلٍّ مع الميجور فقال له:

"أصبحت سيتافورد مكانًا مبهجًا للغاية... أليس كذلك؟ نزلت بها الآنسة تريفوسيس، وذلك الشاب المدعو أنديربي، والرجل القادم من أستراليا... بالمناسبة، متى قدم ذلك الرجل؟ لقد ظهر في هذا الصباح ولا يعرف أحد من أين جاء. وقد أقلق

هذا الأمر خالتي بشدة".

قال الميجور برنابي بحدة: "إنه يقيم مع عائلة ويليت".

"نعم، ولكن من أين أتى فجأة؟ فعائلة ويليت ليس لديها مطار خاص. وأعتقد أن هناك شيئًا غامضًا على نحو مريب بشأن ذلك الرجل المدعو بيرسون. ولديه التماعة شريرة في عينيه... شريرة للغاية. ولديّ إحساس بأنه هو من قتل العجوز تريفيليان المسكين".

لم يرد عليه الميجور برنابي بأي شيء.

واصل روني حديثه قائلًا: "أنا أرى الأمر على هذا النحو: الأشخاص الذين يذهبون إلى المستعمرات عادة ما يكونون سيئين. وأقرباؤهم لا يحبونهم، ويدفعون بهم إلى هناك لهذا السبب. حسنًا إذن... إليك القصة: عاد الشخص السيئ، بعد أن أفلس، لزيارة خاله الثري، فرفض الخال الثري إعانة ابن أخته المفلس... فقام ابن أخته المفلس بضربه. وهذا ما أسميه نظرية".

قال الميجور برنابي: "ينبغي أن تخبر الشرطة بها".

قال السيد جارفيلد: "أحسب أن باستطاعتك أنت أن تفعل هذا؛ فأنت صديق مقرب لـ ناراكوت، أليس كذلك؟ وبالمناسبة، ألم يتطفل على سيتافورد ثانية؟".

"لا أعلم".

"ألم يزرك في منزلك اليوم؟".

"نعم".

يبدو أن إجابات الميجور برنابي الموجزة نبهت روني في النهاية، فقال بغموض:

"حسنًا، هكذا إذن". ثم لجأ إلى صمت تأملي.

وفي إكزامبتون، توقفت السيارة أمام فندق ثري كراونز، ونزل منها روني. وبعد الاتفاق مع الميجور برنابي على الالتقاء هناك في الساعة الرابعة والنصف للعودة معًا، سار باتجاه المتاجر الموجودة في إكزامبتون.

وذهب الميجور للقاء السيد كيركوود أولًا، وبعد إجراء حديث موجز معه، أخذ المفاتيح وتوجه إلى هازلمور.

كان الميجور قد طلب من إيفانز أن يلقاه هناك في الساعة الثانية عشرة، فوجد الخادم المخلص في انتظاره عند عتبة الباب. وبوجه حزين متجهم، أدخل الميجور برنابي المفتاح في الباب الأمامي، ودخل المنزل الخاوي، فتبعه إيفانز. وهو لم يدخله منذ تلك الليلة المأساوية، ورغم عزمه الحديدي على عدم إظهار أي ضعف، فقد أبدى

رعشة خفيفة عند دخوله حجرة الاستقبال.

عمل إيفانز والميجور معًا بتعاطف وصمت. وعندما كان أحدهما يبدي تعليقًا موجزًا، كان الآخر يتلقاه بتقدير وتفهم.

قال الميجور: "هذه مهمة غير سارة، ولكن لا بد من أدائها". فرد إيفانز وهو يضع الجوارب في أكوام مرتبة ويعد ملابس النوم:

"يبدو هذا أمرًا غير عادي تمامًا، ولكن كما قلت يا سيدي لا بد من أداء هذه المهمة".

كان إيفانز بارعًا وكفئًا في عمله، فقام بترتيب كل شيء، وتنظيمه، وتصنيفه في أكوام منفصلة. وفي الساعة الواحدة، توجه الاثنان إلى فندق ثري كراونز لتناول وجبة غداء خفيفة. وعندما عادا إلى المنزل أمسك الميجور بذراع إيفانز فجأة عندما كان إيفانز يغلق الباب وقال له:

"صهٍ. أتسمع وقع الخطوات هذا فوقنا؟ إنه... إنه في غرفة نوم جوزيف".

"يا إلهي! إنه كذلك يا سيدي".

واستولى عليهما رعب نابع من الإيمان بالخرافات لمدة دقيقة، ثم تحرر الميجور من خوفه، وشد كتفيه بغضب، وسار إلى أسفل السلم، وصاح بصوت جهوري:

"من هناك؟ اخرج!".

وما أثار دهشته، وانزعاجه، وارتياحه - رغم حيرته - أن روني جارفيلد ظهر أمامه في أعلى السلم. وبدا محرجًا وأبله. وقال:

"مرحبًا. لقد كنت أبحث عنك".

"ماذا تعني بقولك كنت تبحث عني؟".

"حسنًا، أردت أن أخبرك بأنني لن أكون مستعدًا للعودة في الرابعة والنصف؛ فعليّ الذهاب إلى إكسيتر؛ لذا، لا تنتظرني. وسوف أستقل سيارة من إكزامبتون".

سأله الميجور: "كيف دخلت المنزل؟".

قال روني بصوت عالٍ: "كان الباب مفتوحًا. وعلى نحو طبيعي، ظننتك هنا".

التفت الميجور إلى إيفانز بحدة وقال:

"ألم توصده عندما خرجنا؟".

"نعم يا سيدي؛ فالمفتاح ليس معي".

تمتم الميجور قائلًا: "يا لغبائي!".

قال روني: "هل أنت منزعج؟ أنا لم أجد أحداً في الأسفل، ومن ثم صعدت وألقيت نظرة في الأعلى".

قال الميجور: "بالطبع لا، هذا لا يهم، ولكنك فاجأتني، هذا كل ما في الأمر".

قال روني بابتهاج: "حسنًا، سأذهب الآن. إلى اللقاء".

ابتسم الميجور، ونزل روني على السلم وقال له بطريقة صبيانية:

"هل لديك مانع أن تخبرني... امممم... أين حدث الأمر؟".

أشار الميجور بإبهامه في اتجاه حجرة الاستقبال.

"أوه، هل يمكنني أن ألقي نظرة على الداخل؟".

قال الميجور بنبرة فظة: "لك هذا".

فتح روني باب حجرة الاستقبال، وغاب لبضع دقائق، ثم خرج.

صعد الميجور إلى أعلى، ولكن إيفانز ظل في الصالة. وبدا عليه انطباع كلب الحراسة، وظلت عيناه الصغيرتان العميقتان تراقبان روني بإمعان يشوبه الشر.

قال روني: "ظننت أنكم لن تستطيعوا أبداً غسل بقع الدم. وظننت أنه مهما غسلتموها فستعاود الظهور دائماً. أوه، بالطبع... لقد ضرب العجوز بكيس رملي، أليس كذلك؟ يا لغبائي! أكان واحداً من هذه؟". وحمل كيساً رملياً طويلاً نحيفاً كان موضوعاً عند أحد الأبواب الأخرى. ووزنه بيده بتأمل، ووازنه بين يديه ثم قال: "هذه لعبة صغيرة لطيفة، أليس كذلك؟". وأرجحه في الهواء بضع مرات.

كان إيفانز صامتاً.

قال روني وقد أدرك أن صمت إيفانز لا يدل على المودة: "حسنًا، من الأفضل أن أذهب. أخشى أنني لم أراعِ قواعد اللياقة، ألست كذلك؟". وأشار برأسه نحو الطابق العلوي وقال: "نسيت أنهما كانا صديقين حميمين. وكانا على الشاكلة ذاتها، أليس كذلك؟ حسنًا، سوف أذهب الآن حقاً. وأنا آسف إن كنت قد تفوهت بأشياء غير لطيفة".

وعبر الصالة ثم خرج من الباب الأمامي. وظل إيفانز واقفاً في الصالة بهدوء، وما إن سمع صوت انغلاق البوابة بالمزلاج بعد خروج السيد جارفيلد حتى صعد إلى الطابق العلوي للانضمام إلى الميجور برنابي. ومن دون أية كلمة أو تعليق، واصل عمله من حيث توقف، وذهب على الفور إلى الغرفة وجثا على ركبتيه أمام خزانة الأحذية.

وفي تمام الساعة الثالثة والنصف، كانت مهمتهما قد انتهت. وتم تخصيص صندوق من الثياب والملابس الداخلية لإيفانز، وحزم صندوقاً آخر استعداداً لإرساله إلى دار

الأيتام الخاصة بالبحرية. أما بالنسبة للأوراق والفواتير فجمعت في حقيبة صغيرة واحدة، ووجه الميجور تعليماته لـ إيفانز بالبحث عن شركة محلية لنقل الأثاث من أجل نقل أدوات الصيد والرءوس المختلفة ووضعها في مخزن مناسب؛ لأنه لا يوجد متسع في المنزل الصغير الخاص بالميجور. ونظراً لأنه تم تأجير منزل هازلمور مفروشاً، فلم تعرض له أية مسألة أخرى.

وعندما تمت تسوية جميع هذه الأمور، تنحنح إيفانز بحرج مرة أو مرتين ثم قال:

"أرجو المعذرة يا سيدي، ولكني... سأحتاج إلى عمل أعتني فيه بأحد السادة مثلما كنت أعتني بالكابتن".

"نعم، نعم، بوسعك أن تخبر أي أحد أن يتصل بي لكي أزكيك عنده. لا بأس أبداً بهذا".

"أستميحك عذراً يا سيدي، ولكن ليس هذا ما عنيته. لقد كنا نتحدث أنا وريبيكا في الأمر يا سيدي، ونتساءل يا سيدي... هل بوسعك أن تمنحنا فرصة؟".

"أوه! ولكن... حسناً... أنا أعتني بنفسي كما تعلم. وتلك المرأة العجوز - لا أذكر اسمها - تأتي إليّ وتنظف المنزل مرة يومياً وتطهو لي بعض الطعام. وهذا... اممم... هذا كل ما بوسعي دفع أجر نظيره".

قال إيفانز سريعاً: "ليس المال هو ما يهمنا كثيراً يا سيدي. كما تعلم يا سيدي أني كنت متعلقاً بالكابتن بشدة... وإذا أمكنني أن أخدمك يا سيدي مثلما كنت أخدمه، فسيكون ذلك بالنسبة لي كما لو أنه لم يتغير شيء تقريباً، إذا كنت تفهم مقصدي".

تنحنح الميجور وصرف بصره عنه ثم قال:

"هذا إخلاص كبير منك، وأقسم على هذا. وسوف... سوف أفكر في الأمر". ثم هرب بخفة كاد معها يقطع الطريق ركضاً. ووقف إيفانز ناظراً إليه بابتسامة تفهم مرتسمة على وجهه وتمتم قائلاً:

"كأنهما توأمان متماثلان، هو والكابتن". ثم ارتسمت تعابير الحيرة على وجهه، وتمتم قائلاً:

"ترى إلى أين ذهبا؟ هذا أمر غريب بعض الشيء. يجب أن أسأل ريبيكا عن رأيها في الأمر".

الفصل 24

المفتش ناراكوت يناقش القضية

قال المفتش ناراكوت: "أنا غير سعيد تمامًا حيال هذه القضية يا سيدي".

نظر رئيس الشرطة إليه متسائلًا، فقال له المفتش ناراكوت:

"لم أعد سعيدًا حيالها مثلما كنت سابقًا".

قال الرئيس: "ألا تعتقد أننا قبضنا على الرجل الصحيح؟".

"أنا لست راضيًا. وفي البداية، كان كل شيء يشير إلى اتجاه واحد، ولكن الآن... الأمر مختلف".

"ولكن الأدلة التي تدين بيرسون لا تزال قائمة كما هي".

"نعم، ولكن هناك عددًا من الأدلة الجديدة التي ظهرت يا سيدي. هناك الفرد الآخر من عائلة بيرسون... أعني برايان. وعندما كنا نشعر بعدم الحاجة إلى البحث بعيدًا، قبلت الإفادة عن كونه موجودًا في أستراليا. أما الآن، فقد تبين لنا أنه كان موجودًا في إنجلترا طوال الوقت. ويبدو أنه عاد منذ شهرين... ومن الواضح أنه قدم على السفينة ذاتها التي قدمت عليها السيدة ويليت وابنتها. ويبدو أنه أعجب بالفتاة خلال رحلة السفر. وعلى أية حال، لسبب ما لم يخبر أحدًا من أفراد عائلته بقدومه، فليس لدى أخيه أو أخته أية فكرة عن وجوده في إنجلترا. وفي يوم الخميس الماضي، غادر فندق أورمسبي في ميدان راسل، وذهب إلى بادينجتون. ومنذ ذلك اليوم وحتى ليلة الثلاثاء الماضي - عندما التقى السيد أنديربي به مصادفة - وهو يرفض الإخبار بتحركاته بأية طريقة".

"هل بينت له خطورة تصرفه هذا؟".

"قال إنه لا يأبه لذلك، وإنه لا علاقة له بجريمة القتل وعلينا نحن أن نثبت خلاف ذلك، وإن الكيفية التي أمضى بها وقته حينها أمر يخصه هو وحده، لا نحن، ورفض أن يدلي بأية إفادة عن مكان تواجده حينها وعما كان يفعله".

قال رئيس الشرطة: "هذا غريب جدًا".

"نعم يا سيدي. هذه قضية غريبة. واعلم أنه لا فائدة من التهرب من الحقائق، وهذا الرجل من النوعية الأقرب إلى ارتكاب مثل تلك الفعلة من أخيه. وفرضية إقدام جيمس بيرسون على ضرب رجل عجوز بكيس رملي على رأسه متناقضة مع شخصيته... ولكنها تعد عملًا عاديًا بالنسبة لشخصية برايان بيرسون، إن جاز التعبير؛ فهو شاب حاد الطباع ومتغطرس... وسيستفيد مثل أخيه تمامًا من وفاة خاله لو تذكر. نعم... وقد جاء مع السيد أنديربي صباح اليوم، وكان مرحًا ومبتهجًا جدًا، وغاية في الثبات والصراحة... كان هذا توجهه، ولكن هذا لن يخدع أحدًا يا سيدي، لن يخدع أحدًا".

"أنت تقصد...".

"إن موقفه هذا غير مدعوم بالحقائق؛ فلماذا لم يكشف عن نفسه في وقت سابق؟ وقد نشر خبر مقتل خاله في الصحف كلها يوم السبت، وتم اعتقال أخيه يوم الاثنين، ولم يبدِ أية إشارة. وما كان سيفعل لو لم يلتقِ به ذلك الصحفي مصادفة في حديقة منزل سيتافورد في منتصف الليلة الماضية".

"ماذا كان يفعل هناك؟ أقصد أنديربي".

قال ناراكوت: "أنت تعلم طبيعة الصحفيين، فهم دائمًا ما يتشممون الأخبار. إنهم مذهلون".

قال رئيس الشرطة: "إنهم مصدر إزعاج لعين في الغالب، ولكن لهم فوائدهم أيضًا".

قال ناراكوت: "أظن أن تلك الشابة هي التي كلفته بذلك".

"شابة؟!".

"إنها الآنسة إيميلي تريفوسيس".

"وكيف علمت بالأمر؟".

"لقد زارت منزل سيتافورد لتحري الأمر. وهي شابة حادة الذكاء، لا يغيب عنها أي شيء".

"وماذا كان قول برايان بيرسون نفسه عن تصرفه ذلك؟".

"قال إنه قدم إلى منزل سيتافورد لرؤية فتاته الآنسة فيوليت ويليت، هذا كل ما في الأمر. وقد خرجت من المنزل للقائه بعدما نام الجميع لأنها لم ترد أن تعلم والدتها بالأمر. فهذه قصتهما".

كان صوت المفتش ناراكوت يعبر عن التكذيب التام لها.

وقال المفتش: "في اعتقادي يا سيدي أنه لو لم يكشفه السيد أنديربي، لما كشف عن نفسه، ولعاد إلى أستراليا وطالب بنصيبه من الإرث وهو هناك".

سرت ابتسامة ساخرة على شفتي رئيس الشرطة وتمتم قائلًا:

"من المؤكد أنه صب جام غضبه على أولئك الصحفيين ذوي الفضول الوبائي".

واصل المفتش كلامه قائلًا: "وهناك أمر آخر اتضح لنا. تتكون عائلة بيرسون من ثلاثة أفراد كما تذكر، وأختهما سيلفيا بيرسون متزوجة بـ مارتن ديرينج، الروائي. وقد أخبرني بأنه تناول الغداء مع ناشر أمريكي وأمضى فترة ما بعد الظهيرة معه، ثم ذهب لحضور عشاء أدبي في المساء، ولكن تبين لنا الآن أنه لم يحضر ذلك العشاء الأدبي مطلقًا".

"من أخبرك بهذا؟".

"إنه أنديربي ثانية".

قال رئيس الشرطة: "أعتقد أن عليّ الالتقاء بـ أنديربي هذا؛ فيبدو أنه أحد مصادر المعلومات الفعالة في هذا التحقيق. ولا شك أن صحيفة دايلي واير تحتوي على بعض الشباب الأذكياء في طاقم عملها".

تابع المفتش قوله: "حسنًا، بالطبع قد تكون لهذا الأمر علاقة بالقضية وقد لا تكون له أية علاقة بها. وقد قُتل الكابتن تريفيليان قبل الساعة السادسة مساءً، ومن ثم لا فائدة من معرفة أين أمضى ديرينج مساءه... ولكن لماذا تعمد الكذب في هذا الشأن؟ هناك خطب ما يا سيدي".

قال رئيس الشرطة مصدقًا على كلامه: "نعم، لم تكن هناك ضرورة لذلك".

"إن هذا يجعل المرء يظن أن كلامه كله ربما يكون كذبًا. وقد يكون افتراضي التالي بعيدًا، ولكني أفترض أن ديرينج ربما غادر بادينجتون في قطار الثانية عشرة وعشر دقائق... ووصل إلى إكزامبتون بعد الساعة الخامسة بقليل، وقتل الرجل العجوز، ثم استقل قطار الساعة السادسة وعشرة دقائق، وعاد إلى منزله قبل منتصف الليل. إن هذا الأمر بحاجة إلى التحقيق على أية حال يا سيدي. ويجب أن نتقصى عن وضعه المالي ونرى إذا ما كان يواجه ضائقة مالية شديدة أم لا؛ فباستطاعته وضع يده على أية أموال ترثها زوجته... ليس عليك سوى أن تنظر إليها لتعرف هذا. وعلينا أن نتأكد من أن دليل ابتعاده عن مسرح الجريمة في فترة العصر لا تشوبه شائبة".

قال رئيس الشرطة معلقًا: "الأمر برمته غريب، ولكني لا أزال أعتقد أن دليل إدانة جيمس بيرسون قاطع. وأرى أنك لا تتفق معي على هذا... وأن لديك شعورًا بأنك أمسكت بالرجل الخطأ".

قال المفتش: "ذلك الدليل سليم؛ فهو مادي وما إلى ذلك، وبوسع أية هيئة محلفين أن تحكم بإدانته بناءً عليه. ورغم أن ما تقوله صحيح إلى حد ما... فأنا لا أراه قاتلًا".

قال رئيس الشرطة: "وفتاته نشيطة للغاية في بحث هذه القضية".

"الآنسة تريفوسيس؟ نعم، هي فتاة رائعة بلا شك. إنها شابة ممتازة، ولديها عزم شديد على إخراجه من القضية.
وقد سيطرت على ذلك الصحفي أنديربي وتسخره للبحث عن كل ما تراه ذا قيمة. وهي أفضل بكثير من أن تكون خطيبة للسيد جيمس بيرسون. ولولا وسامته لقلت إنه لا يملك أية ميزة شخصية".

قال رئيس الشرطة: "ولكنها إذا كانت شابة متسلطة، فهذا ما تحبه".

قال المفتش ناراكوت: "آها، لا ضابط للأذواق. حسنًا، أنت تتفق معي يا سيدي على أنه يجدر بي البت في صحة دليل غياب السيد ديرينج من دون توانٍ".

" نعم، ابدأ على الفور. وماذا عن الطرف الرابع المستفيد من الوصية؟ أليس هناك طرف رابع؟".

"بلى، أخت الكابتن. ولا غبار عليها، وقد أجريت تحقيقًا معها. وكانت في منزلها في الساعة السادسة بالتأكيد يا سيدي. سوف أبدأ التحري بشأن ديرينج على الفور".

وبعد مرور خمس ساعات، وجد المفتش نفسه جالسًا مرة أخرى في حجرة الاستقبال في منزل نوك. وفي هذه المرة، كان السيد ديرينج في المنزل. وقالت الخادمة في البداية إنه لا يريد أن يزعجه أحد لأنه يباشر الكتابة، ولكن المفتش أخرج بطاقته الرسمية وأمرها بأن تأخذها إلى سيدها من دون تأخير. وفي أثناء انتظاره، ظل المفتش يخطو جيئة وذهابًا؛ فقد كان عقله يفكر بنشاط. ومن حين إلى آخر، كان يلتقط شيئًا صغيرًا من على الطاولة، وينظر إليه كأنه لا يراه تقريبًا، ثم يعيده إلى موضعه، فالتقط علبة سجائر أسترالية على شكل آلة الكمان... وقال إنها ربما تكون هدية من برايان بيرسون، ثم التقط رواية قديمة بالية بعنوان "كبرياء وتحامل". وقلب الغلاف ورأى على الورقة الخالية الداخلية الاسم مارثا ريكروفت مكتوبًا بحبر باهت إلى حد ما. وعلى نحو ما، بدا له الاسم ريكروفت مألوفًا، ولكنه لم يستطع تذكره في اللحظة الحالية. وانقطع تفكيره عندما فتح الباب، ودخل مارتن ديرينج.

كان ذلك الرجل الروائي متوسط الطول وذا شعر كستنائي كثيف بعض الشيء. وكان وسيمًا بصورة مفرطة إلى حد ما، وذا شفتين غليظتين حمراوين.

لم يعجب المفتش ناراكوت بمنظره، وقال له:

"صباح الخير يا سيد ديرينج. أنا آسف لإزعاجكم مرة أخرى".

قال ديرينج: "أوه، لا بأس أيها المفتش، ولكن ليس لدينا أكثر مما أخبرناك به".

"لقد قيل لنا إن شقيق زوجتك السيد برايان بيرسون في أستراليا، ولكننا اكتشفنا أنه موجود في إنجلترا منذ شهرين. وأعتقد أنه كان ينبغي أن تشيروا لنا إلى ذلك،

فزوجتك أخبرتني بأنه في نيو ساوث ويلز".

قال ديرينج وقد بدا مندهشًا حقًا: "برايان في إنجلترا! أؤكد لك أيها المفتش أنه لم تكن لديّ معرفة بهذا... وأؤكد لك أن زوجتي لم تكن تعرف أيضًا".

"ألم يتصل بك بأية طريقة؟".

"نعم بالتأكيد، وأنا أعرف أن سيلفيا قد أرسلت إليه خطابين إلى أستراليا خلال تلك الفترة".

"أوه، حسنًا، في هذه الحالة أنا أتقدم إليك بالاعتذار يا سيدي. ولكنني ظننت على نحو طبيعي أنه اتصل بأقاربه، واستأت قليلًا لإخفائكما ذلك عني".

"حسنًا، نحن لم نعلم أي شيء كما أخبرتك. هل ترغب في سيجارة أيها المفتش؟ بالمناسبة، علمت أنكم قبضتم على سجينكم الهارب".

"نعم، لقد قبضنا عليه في وقت متأخر من ليلة الثلاثاء. ومن سوء حظه الشديد أن الضباب كان كثيفًا، فظل يمشي في دائرة ليجد نفسه في النهاية على بعد ثمانمائة متر تقريبًا من سجن برينستاون".

"من الغريب للغاية أن الجميع يمشون في دوائر في الضباب. ومن حسن حظه أنه لم يهرب في يوم الجمعة؛ فأنا أظن أن هذه الجريمة كانت ستنسب إليه بالتأكيد".

"إنه رجل خطير، وهم يسمونه فريمانتل فريدي. وهو مدان بجرائم سرقة بالإكراه وجرائم اعتداء... وعاش حياة مزدوجة بالغة الغرابة؛ فقد كان يمضي نصف وقته كرجل ثري محترم مثقف. وأنا واثق بأن مستشفى برودمور للأمراض العقلية هي المكان الأنسب له. وكانت تعتريه نوبات جنون إجرامي من وقت إلى آخر، فكان يختفي ويصاحب أسوأ الشخصيات".

"أحسب أنه لا يتمكن الكثيرون من الهروب من سجن برينستاون، أليس كذلك؟".

"هذا يكاد يكون مستحيلًا يا سيدي. ولكن عملية الهروب هذه بالذات تم التخطيط لها وتنفيذها على نحو متقن أيما إتقان. ونحن لم نصل إلى جميع تفاصيلها بعد تقريبًا".

نهض ديرينج ونظر في ساعته وقال: "حسنًا، إذا لم يكن هناك المزيد مما تريد السؤال عنه أيها المفتش... فأخشى أنني منشغل...".

"أوه، هناك المزيد بالفعل يا سيد ديرينج. أريد أن أعرف لماذا أخبرتني بأنك كنت في حفل عشاء أدبي في فندق سيسيل في ليلة الجمعة؟".

"أنا... أنا لا أفهم قصدك أيها المفتش".

"أعتقد أنك تفهمه بالفعل يا سيدي. أنت لم تحضر ذلك العشاء الأدبي يا سيد

ديرينج".

تردد مارتن ديرينج، وتنقلت عيناه في تردد من وجه المفتش إلى السقف، ثم إلى الباب، ثم إلى قدميه.

وانتظر المفتش رده بهدوء وثبات، ثم قال مارتن ديرينج في النهاية:

"حسنًا، هب أنني لم أكن هناك، فبما ستنفعك معرفة هذا؟ فيم ستنفعك أنت أو غيرك معرفة تحركاتي بعد مرور خمس ساعات من مقتل خال زوجتي؟".

"لقد أدليت لنا بإفادة معينة يا سيد ديرينج وأريد منك أن تصححها، فهناك جانب منها ثبتت صحته، وتعين عليّ التحقق من الجانب الآخر. لقد قلت إنك تناولت الغداء مع صديق وأمضيت معه فترة العصر".

"نعم... الناشر الأمريكي الخاص بي".

"ما اسمه؟".

"روزنكرون، إدجار روزنكرون".

"آها، وما عنوانه؟".

"لقد غادر إنجلترا. رحل في يوم السبت الماضي".

"هل توجه إلى نيويورك؟".

"نعم".

"إذن سيكون في عرض البحر الآن. ما اسم السفينة التي سافر بها؟".

"أنا... أنا لا أذكر ذلك حقًا".

"أتعرف شركة النقل؟ أهي كونارد أم وايت ستار؟".

"أنا... أنا لا أذكر ذلك حقًا".

قال المفتش: "آه حسنًا، سوف نرسل برقية إلى شركة النقل التي سافر إلى نيويورك من خلالها، فمن المؤكد أنهم يعرفون".

قال ديرينج على مضض: "اسم السفينة هو جارجانتوا".

"شكرًا لك يا سيد ديرينج، ظننت أنك ستتذكر إذا حاولت. والآن، إفادتك هي أنك تناولت الغداء برفقة السيد روزنكرون، وأنك أمضيت فترة العصر بصحبته. متى تركته؟".

"في الخامسة بحسب ظني".

"وماذا فعلت بعد ذلك؟".

"أرفض التصريح بذلك؛ فهذا ليس من شأنك. وهذا هو كل ما أردت معرفته بالتأكيد".

أومأ المفتش ناراكوت بتأمل؛ فإذا أكد روزنكرون كلام ديرينج، فستسقط أية اتهامات ضده، ولن تفيد معرفة نوعية نشاطاته الغامضة في تلك الليلة في مجرى القضية".

سأله ديرينج بتوتر: "ماذا ستفعل؟".

"سوف نراسل السيد روزنكرون على متن السفينة جارجانتوا".

صاح ديرينج: "اللعنة على ذلك كله! سوف تتسبب لي في فضيحة. اسمعني...".

وذهب إلى مكتبه، ودوّن بضع كلمات في عجالة على ورقة، ثم أعطاها للمفتش، وقال له بضيق:

"أحسبك مصرًا على فعل ما تنوي فعله، ولكن على الأقل افعله بطريقتي أنا؛ فليس من العدل أن تورط رجلًا في الكثير من المتاعب".

كُتِبَ في الورقة:

روزنكرون المسافر على متن السفينة "جارجانتوا"

أرجو التأكيد على إفادتي بأنني كنت معك في وقت الغداء وحتى الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة الرابع عشر من الشهر الحالي.

مارتن ديرينج

وقال للمفتش: "اجعل الرد يرسل إليك مباشرة... لا مانع لديّ في هذا. ولكن لا تجعله يرسل إلى سكوتلاند يارد أو أحد مراكز الشرطة؛ فأنت لا تعرف طبيعة أولئك الأمريكيين، فأية إشارة إلى تورطي في قضية مع الشرطة من شأنها أن تلغي العقد الجديد الذي اتفقت عليه. وأبقِ الأمر سرًا أيها المفتش".

"ليس لديّ اعتراض على هذا يا سيد ديرينج. وكل ما أريده هو الحقيقة. وسوف أجعل الرد يرسل إليّ على عنواني الخاص في إكسيتر".

"شكرًا لك، أنت رجل طيب. وليس من السهل كسب الرزق من الأدب أيها المفتش. وسوف تجد أن الرد سيكون على ما يرام. وقد كذبت عليك بشأن العشاء، ولكنني في الحقيقة أخبرت زوجتي بهذا وفكرت في أنه ربما يمكنني إخبارك بالقصة ذاتها. ولولا ذلك، لأوقعت نفسي في الكثير من المتاعب".

"إذا أكد السيد روزنكرون إفادتك يا سيد ديرينج، فلن يكون هناك شيء آخر

تخشاه".

قال المفتش في نفسه وهو يغادر المنزل إنه شخص بغيض، ولكنه واثق تماماً بأن ذلك الناشر الأمريكي سيؤكد صدق كلامه.

وفجأة، تذكر المفتش أمراً عندما قفز على متن القطار العائد به إلى ديفون، فقال:

"ريكروفت... بالطبع... إنه اسم ذاك الرجل العجوز الذي يعيش في أحد منازل سيتافورد. إنها لمصادفة غريبة".

الفصل 25

في مقهى ديلر

كانت إيميلي تريفوسيس وتشارلز أنديربي جالسين على طاولة صغيرة بمقهى ديلر في إكسيتر. وكانت الساعة الثالثة والنصف، وفي تلك الساعة كان هناك هدوء وسكينة نسبيان. وكان هناك بضعة أشخاص يتناولون الشاي بهدوء، ولكن المقهى في مجمله كان خاويًا.

قال تشارلز: "حسنًا، ما رأيك فيه؟".

قطبت إيميلي جبينها وقالت:

"إنه لأمر صعب".

كان برايان بيرسون قد تناول الغداء معهما بعد حديثه مع الشرطة. وكان غاية في التأدب مع إيميلي، بل كان متأدبًا على نحو مبالغ فيه في رأيها.

وقد بدا الأمر لهذه الفتاة الذكية غريبًا تمامًا؛ فها هو ذا شاب مرتبط بعلاقة حب سرية، وتطفل عليه شخص غريب متطفل.

وقد تعامل برايان بيرسون مع الأمر كحمل وديع، وأذعن لاقتراح تشارلز باستئجار سيارة والذهاب إلى الشرطة.

لماذا هذا الخضوع والطواعية؟ لقد بدا هذا لإيميلي مناقضًا تمامًا لطبيعة برايان بيرسون بحسب تحليلها لشخصيته.

وشعرت بأنه لو قال لـتشارلز "أراك في الجحيم أولًا!" لكان ذلك أقرب إلى شخصيته.

كان ذلك التصرف الموادع مريبًا. وحاولت نقل بعض من مشاعرها إلى أنديربي.

قال أنديربي: "فهمت مقصدك. لدى برايان شيء يريد إخفاءه، ومن ثم لا يمكنه التصرف بطبيعته العدوانية".

"هذا ما أعنيه بالضبط".

"هل تعتقدين أنه ربما قتل العجوز تريفيليان؟".

قالت إيميلي بتأمل: "برايان... شخص له خطره؛ فهو منعدم الضمير إلى حد ما - بحسب ظني - وإذا أراد شيئًا فلا أحسبه سيسمح للمبادئ التقليدية المعتادة بأن تقف أمامه؛ فهو ليس رجلًا إنجليزيًا بسيطًا رزينًا".

قال أنديربي: "إذا ما وضعنا جميع الاعتبارات الشخصية جانبًا، ألا تجدينه أكثر إقدامًا من جيمس؟".

أومأت إيميلي برأسها وقالت:

"أكثر إقدامًا بكثير. وبوسعه تنفيذ أي أمر على نحو متقن... لأنه لن يفقد أعصابه".

"اصدقيني القول يا إيميلي، هل تعتقدين أنه فعلها؟".

"أنا... أنا لا أدري. إنه يستوفي الشروط... إنه الشخص الوحيد الذي يستوفيها".

"ماذا تقصدين بأنه يستوفي الشروط؟".

قالت إيميلي وهي تعد على أصابعها: "حسنًا. أولًا، لديه الدافع. وهو الدافع ذاته، تلك العشرون ألف جنيه المخصصة له في الوصية. وثانيًا، لديه الفرصة؛ فلا أحد يعلم أين كان في عصر يوم الجمعة، ولو كان في أي مكان يمكنه التصريح به... لأخبر به؟ لذا، سوف نفترض أنه كان بالفعل في مكان قريب من منزل هازلمور في يوم الجمعة".

قال تشارلز مبينًا: "ولكنهم لم يجدوا أحدًا ادعى رؤيته في إكزامبتون، وهو شخص من اليسير ملاحظته للغاية".

هزت إيميلي رأسها بتهكم وقالت:

"لم يكن في إكزامبتون. ألا ترى يا تشارلز أنه إذا ارتكب الجريمة فمن المؤكد أنه خطط لها مسبقًا. وحده البريء المسكين جيمس هو من قدم كالساذج ومكث فيها. هناك مدينتا ليدفورد وتشاجفورد، أو ربما إكسيتر. ولعله سار من ليدفورد إلى هناك مشيًا على الأقدام... فهناك طريق رئيسي بينهما ولم يجعله الثلج متعذرًا. ولعلها كانت نزهة جيدة للغاية".

"أظن أن علينا إجراء تحرياتنا في جميع الأماكن المجاورة".

قالت إيميلي: "تقوم الشرطة بهذا حاليًا، وسوف تؤديه على نحو أفضل بكثير منا. جميع الأمور العامة تؤديها الشرطة على نحو أفضل بكثير منا، أما الأمور الخاصة والشخصية مثل الاستماع للسيدة كيرتيس، والتقاط إشارة من الآنسة بيرسهاوس، ومراقبة السيدة ويليت وابنتها، فهذا ما ننجح فيه".

قال تشارلز: "أو لا ننجح، بحسب الحالة".

قالت إيميلي: "بالعودة إلى استيفاء برايان بيرسون للشروط، لدينا شرطان: الدافع والفرصة. وهناك شرط ثالث... وهو ما أعتقد أنه الأهم على الإطلاق".

"وماذا يكون؟".

"حسنًا، شعرت منذ البداية بأنه لا يمكننا تجاهل تلك المسألة الغريبة الخاصة بلعبة تحضير الأرواح. وقد حاولت النظر فيها على نحو منطقي وببصيرة ثاقبة قدر الإمكان، ووجدت لها ثلاثة تفسيرات: (1) أن ما حدث كان أمرًا خارقًا. حسنًا، قد يكون كذلك بالطبع، ولكنني أستبعد هذا التفسير على نحو شخصي. (2) أنه كان فعلًا متعمدًا... أن شخصًا ما فعله عن عمد، ولكن نظرًا لأن المرء لا يستطيع التوصل إلى سبب محتمل لذلك، فهذا التفسير مستبعد أيضًا. (3) أن يكون مصادفة، أي أن شخصًا ما كشف عما في نفسه من دون أن يقصد... فعل ذلك لا إراديًا بالتأكيد، من خلال نوع غير واعٍ من المكاشفة الذاتية. وإذا كان الأمر كذلك، فأحد أولئك الستة الذين حضروها إما علم بأن الكابتن تريفيليان سوف يُقتل في وقت محدد في عصر ذلك اليوم، وإما علم أن شخصًا ما سوف يجري معه حوارًا قد ينتج عنه عنف. ولا أحد من أولئك الستة يمكن أن يكون القاتل الحقيقي، ولكن من المؤكد أن أحدهم كان متواطئًا مع القاتل. ولا توجد صلة بين الميجور برنابي وبين شخص آخر، ولا بين السيد ريكروفت وبين شخص آخر، ولا بين رونالد جارفيلد وبين شخص آخر، ولكن عندما نتطرق إلى السيدة ويليت وابنتها فالأمر مختلف؛ فهناك صلة بين فيوليت ويليت وبين برايان بيرسون، وتربطهما علاقة قوية للغاية، وكانت تلك الفتاة غاية في القلق بعد جريمة القتل".

قال تشارلز: "أتعتقدين أنها كانت تعرف؟".

"هي أو أمها... إحداهما كانت على علم بالأمر".

قال تشارلز: "هناك شخص واحد لم تذكريه. إنه السيد دوك".

قالت إيميلي: "أعلم. وإنه لأمر غريب؛ فهو الشخص الوحيد الذي لا نعلم عنه أي شيء مطلقًا. وحاولت لقاءه مرتين وفشلت. ويبدو أنه لا تربطه أية صلة بالكابتن تريفيليان أو بأي أحد من أقاربه، وليست هناك أية صلة تربطه بالقضية على أية حال، ولكن...".

قال تشارلز أنديربي عندما توقفت إيميلي: "ولكن ماذا؟".

"ولكننا التقينا بالمفتش ناراكوت خارجًا من منزله. ما الذي يعلمه المفتش ناراكوت ولا نعلمه نحن؟ أتمنى أن أعرفه".

"أنت تعتقدين أن...".

"فلنفترض أن دوك شخص مريب، وأن الشرطة على علم بأمره. ولنفترض أن

الكابتن تريفيليان اكتشف شيئًا عنه؛ فقد كان شديد التدقيق في التعرف على مستأجريه كما تذكر. وهب أنه كان ينوي إخبار الشرطة بما عرفه، واتخذ دوك الترتيبات مع شريك له على قتله. أوه، أعلم أن الأمر برمته يبدو ميلودراميًا على هذا النحو، ولكن من المحتمل أن يكون حدث شيء كهذا".

قال تشارلز ببطء: "هذه مجرد فكرة بالتأكيد".

وجنح كلاهما للصمت، وغرق كل منهما في التفكير.

وفجأة، قالت إيميلي:

"أتعرف ذلك الشعور الغريب الذي يعتريك عندما ينظر أحدهم إليك؟ أنا أشعر الآن بأن شخصًا ما يراقبني من خلفي. هل هذا مجرد توهم أم أن هناك شخصًا بالفعل يحملق إليّ الآن؟".

حرك تشارلز كرسيه سنتيمترين ونظر في المقهى بطريقة عادية. وقال لها:

"هناك امرأة تجلس على طاولة بجوار النافذة. إنها طويلة، وسمراء، وجميلة، وهي تحملق إليك".

"أهي شابة؟".

"كلا، ليست تمامًا. مرحى!".

"ما الأمر؟".

"روني جارفيلد. لقد دخل توًا، وهو يصافحها، ويجلس إلى طاولتها. أظنها تقول شيئًا عنا".

فتحت إيميلي حقيبة اليد الخاصة بها. وبشيء من التباهي وضعت قدرًا من مسحوق التجميل على أنفها، وأدارت مرآة الجيب الصغيرة بزاوية مناسبة.

وقالت بهدوء: "إنها الخالة جينيفر. إنهما ينهضان".

قال تشارلز: "سوف يذهبان، هل تريدين التحدث إليها؟".

قالت إيميلي: "كلا، أعتقد أن من الأفضل لي التظاهر بأني لم أرها".

قال تشارلز: "ما العجيب في أن تعرف الخالة جينيفر روني جارفيلد وتدعوه إلى تناول الشاي؟".

قالت إيميلي: "لماذا ينبغي عليها ذلك؟".

قال تشارلز: "ولماذا لا ينبغي عليها ذلك؟".

"أوه، بالله عليك يا تشارلز، دعنا لا نستمر في هذا، ينبغي... لا ينبغي... ينبغي... لا

ينبغي... هذا كله هراء بالطبع، وليس له أي معنى! ولكننا قلنا توًا إنه لا أحد آخر ممن حضروا جلسة تحضير الأرواح له أية علاقة بعائلة الكابتن تريفيليان، ولم تمضِ خمس دقائق حتى رأينا رونالد جارفيلد يتناول الشاي مع أخت الكابتن".

قال تشارلز: "هذا يبين أن المرء لن يعرف أبدًا كل شيء".

قالت إيميلي: "هذا يبين أن على المرء دائمًا أن يبدأ من جديد".

قال تشارلز: "بأكثر من طريقة".

نظرت إليه إيميلي وقالت:

"ماذا تعني؟".

قال تشارلز: "لا شيء في الوقت الحالي".

ووضع يده على يدها، ولكنها لم تبعدها.

قال تشارلز: "يجب أن نكمل هذا الأمر، وبعد ذلك...".

قالت إيميلي بهدوء: "بعد ذلك؟".

قال تشارلز: "أنا على استعداد لفعل أي شيء من أجلك يا إيميلي، أي شيء...".

قالت إيميلي: "حقًا؟ هذا لطف كبير منك يا عزيزي تشارلز".

الفصل 26

روبرت جاردنر

بعد مرور عشرين دقيقة، دقت إيميلي جرس الباب الأمامي لمنزل لاوريلز. وكان ذلك نتيجة دافع مفاجئ. وقد ابتسمت بمرح لـ-بياتريس عندما فتحت لها الباب.

قالت إيميلي: "ها أنا ذا مرة أخرى. أعلم أن السيدة جاردنر بالخارج، ولكن هل يمكنني لقاء السيد جاردنر؟".

كان ذلك طلبًا غريبًا بوضوح، وبدت بياتريس مرتابة فقالت لها:

"حسنًا، لا أدري إن كان هذا ممكنًا أم لا. سوف أصعد وأرى، هل تسمحين لي بذلك؟".

قالت إيميلي: "نعم، تفضلي".

صعدت بياتريس تاركة إيميلي وحدها في الصالة، وعادت في غضون بضع دقائق لتطلب من الشابة أن تتفضل بالصعود.

كان روبرت جاردنر مستلقيًا على فراش بجوار النافذة في غرفة كبيرة بالطابق الأول. وكان رجلًا ضخم الجثة، أزرق العينين، أشقر الشعر. ونظر إليها - بحسب ما ظن إيميلي - كما ينظر تريستان إلى محبوبته في المشهد الثالث من أوبرا تريستان وإيزوالدا، وكما لو أنه لا يوجد أحد آخر.

وقال لها: "مرحبًا، أنت من كان مقدراً لها أن تصبح زوجة المجرم، أليس كذلك؟".

قالت إيميلي: "هذا صحيح أيها الخال روبرت. أحسب أن بإمكاني أن أدعوك بالخال روبرت، أليس كذلك؟".

قال: "إذا سمحت لك جينيفر بهذا. كيف شعورك وخطيبك الشاب ملقى في السجن؟".

كونت إيميلي عنه انطباعاً بأنه رجل قاسٍ، رجل يحظى بمتعة سادية من عبثه بجراح الآخرين.

ولكنها كانت نداً له، فقالت له:

"مثير للغاية".

قال: "ولكنه ليس مثيراً بالنسبة للسيد جيمس، هه؟".

قالت إيميلي: "أوه، حسنًا. إنها مجرد تجربة، أليس كذلك؟".

قال روبرت جاردنر بخبث: "لقد تعلم من هذه التجربة أن الحياة ليست كلها لهواً ولعبًا. إنه أصغر من أن يقاتل في حرب عالمية، أليس كذلك؟ وهو قادر على العيش برفاهية ويسر. حسنًا، حسنًا... لقد تلقى صفعة من شخص آخر".

ونظر إليها بفضول ثم قال:

"لماذا جئت للقائي؟".

وبدا شيء من الارتياب في نبرة صوته.

قالت له: "إذا أردت الزواج والانضمام إلى عائلة ما، فعليك أن تتعرف إلى أفرادها أولًا".

قال: "لتعرفي الأسوأ قبل فوات الأوان. إذن، هل تعتقدين حقًا أنك ستتزوجين الشاب جيمس؟".

"ولمَ لا؟".

"رغم إدانته في جريمة قتل؟".

"نعم، رغم إدانته في جريمة قتل".

قال روبرت جاردنر: "حسنًا، لم أرَ في حياتي من هو أقل حظًا منك. من شأن أي أحد أن يعتقد أنك تستمتعين بوقتك".

"هذا ما أفعله. إن تعقب القاتلين أمر مثير للغاية".

"ماذا؟".

قالت إيميلي: "قلت إن تعقب القاتلين أمر مثير للغاية".

حملق إليها روبرت جاردنر، ثم ألقى برأسه على وسادته وقال بنبرة قلق:

"أنا متعب، ولا يمكنني التحدث إليك أكثر من هذا. أيتها الممرضة، أين الممرضة؟ أيتها الممرضة، أنا متعب".

حضرت الممرضة دافيس سريعًا من غرفة مجاورة فور ندائه، وقالت: "السيد جاردنر يصيبه التعب بسهولة، وأعتقد أن من الأفضل لك الذهاب إذا لم تمانعي يا آنسة

تريفوسيس".

نهضت إيميلي، وأومأت بسرور وقالت:

"وداعًا أيها الخال روبرت. ربما أعود في يوم ما".

"ماذا تعنين؟".

قالت إيميلي: "إلى اللقاء".

وكانت على وشك الخروج من باب المنزل عندما توقفت فجأة وقالت لـ بياتريس:

"أوه! لقد نسيت قفازيّ".

"سوف أحضرهما لك يا آنسة".

قالت إيميلي: "أوه، كلا. سوف أحضرهما بنفسي". وانطلقت بخفة نحو الأعلى ودخلت الغرفة من دون أن تطرق الباب.

قالت إيميلي: "أوه، أستميحكما عذرًا. أنا آسفة للغاية. لقد نسيت قفازيّ". وكانت قد دخلت على حين غفلة، فابتسمت بسرور للمحبين اللذين كانا جالسين في الغرفة، ونزلت السلم، وخرجت من المنزل.

قالت إيميلي لنفسها: "حيلة نسيان القفازين هذه حيلة رائعة. وهذه هي المرة الثانية التي تنجح معي فيها. يا لخالتي المسكينة جينيفر، ترى هل تعلم بهذا؟ ربما لا. يجب أن أسرع وإلا تركت تشارلز في انتظاري".

كان أنديربي ينتظرها في سيارة إلمر الفورد وفق الموعد المتفق عليه.

سألها تشارلز وهو يلف سترته حولها: "هل حالفك الحظ؟".

"نعم، إلى حد ما. أنا لست واثقة".

نظر إليها أنديربي بنظرة تساؤل.

قالت له كرد على نظرته: "كلا، لن أخبرك بالأمر. قد لا تكون له علاقة بقضيتنا... وإن كان كذلك، فلن يكون هذا من العدل".

تنهد أنديربي وقال معلقًا:

"أنا أسمي هذه قسوة".

قالت إيميلي بحزم: "أنا آسفة، ولكن لا جدال في هذا".

قال تشارلز بفتور: "افعليها بطريقتك".

وانطلقا في صمت... كان صمتًا نابعًا من الاستياء من جانب تشارلز... وناتجًا عن

الغفلة من جانب إيميلي.

وكانا على مشارف مدينة إكزامبتون عندما قطعت إيميلي الصمت بملاحظة غير متوقعة تمامًا، فقالت:

"يا تشارلز، هل أنت ممن يمارسون لعبة الورق التي تسمى البريدج؟".

"نعم، لماذا؟".

"كنت أفكر. هل تعلم ما يقال لك أن تفعله في هذه اللعبة عندما تقيِّم ما لديك من ورق؟ عندما تكون في موقف دفاعي يقال لك عد أوراقك الرابحة، وعندما تكون في موقف هجومي يقال لك عد أوراقك الخاسرة. والآن نحن في موقف هجومي في قضيتنا... ولكننا كنا نسير في الطريق الخطأ".

"ماذا تقصدين؟".

"حسنًا، لقد كنا نعد الأوراق الفائزة، أليس كذلك؟ أعني أننا كنا نستعرض الأشخاص الذين من المحتمل أن يكون أحدهم هو من قتل الكابتن تريفيليان، مهما كان الاحتمال بعيدًا. ولعل هذا هو سبب وقوعنا في حيرة شديدة".

قال تشارلز: "أنا لم أقع في هذه الحيرة".

"حسنًا، أنا وقعت فيها إذن. أنا غاية في الحيرة لدرجة أنني لا أستطيع التفكير مطلقًا. ودعنا ننظر للأمر من الجهة الأخرى، دعنا نعد الأوراق الخاسرة... أي الأشخاص الذين لا يحتمل قتلهم الكابتن تريفيليان".

قال أنديربي متأملًا: "حسنًا، دعينا نرَ... لدينا السيدة ويليت وابنتها، وبرنابي، وريكروفت، وروني... أوه! ولدينا دوك".

قالت إيميلي مصدقة على كلامه: "نعم، ونحن نعلم أنه لا أحد منهم قتله؛ لأنهم في التوقيت الذي قُتل فيه كانوا جميعًا في منزل سيتافورد، ورأى كل منهم الآخر، ولا يمكن أن يكونوا جميعًا كاذبين. نعم، كلهم خارج دائرة الاتهام".

قال أنديربي: "لا شك أن جميع سكان سيتافورد خارج دائرة الاتهام، حتى إلمر". وخفض صوته خشية أن يسمعه السائق. وواصل كلامه قائلًا: "لأن الطريق الواصل إلى سيتافورد كان مغلقًا أمام السيارات في يوم الجمعة".

قالت إيميلي بصوت خفيض مماثل: "ربما قطع الطريق سيرًا على الأقدام. وإذا كان بوسع الميجور برنابي الوصول إلى هناك في المساء، فبوسع إلمر الانطلاق في وقت الغداء... والوصول إلى إكزامبتون في الساعة الخامسة، وقتله، ثم العودة سيرًا على الأقدام".

فهز أنديربي رأسه نفيًا وقال:

"لا أعتقد أنه استطاع العودة سيراً. تذكري أن الثلج بدأ في التساقط في الساعة السادسة والنصف تقريباً. وعلى أية حال، هل تتهمين إلمر؟".

قالت إيميلي: "كلا، رغم أنه قد يكون مصاباً بجنون القتل بالطبع".

قال تشارلز: "صه. سوف تجرحين مشاعره لو سمعك".

قالت إيميلي: "على أية حال، لا يمكنك القول جازماً إنه لم يقتل الكابتن تريفيليان".

قال تشارلز: "على حد علمي، لن يستطيع المشي إلى إكزامبتون والعودة من دون أن يعلم جميع سكان سيتافورد بالأمر ويتحدثوا عن غرابته".

قالت إيميلي مصدقة على كلامه: "لا شك أنه مكان يعلم جميع من فيه بكل شيء".

قال تشارلز: "بالضبط، ولهذا السبب أقول إن جميع سكان سيتافورد خارج دائرة الاتهام. والشخصان الوحيدان اللذان لم يكونا مع السيدة ويليت وابنتها عاجزان، وهما الآنسة بيرسهاوس والكابتن وايت. ولا يمكنهما الخروج في مثل تلك العواصف الثلجية. وهناك السيد كورتيس العجوز الغالي وحرمه. ولو أن أحدهما فعلها، فمن المؤكد أنهما كانا سيذهبان إلى إكزامبتون بارتياح لقضاء العطلة الأسبوعية والعودة عندما ينتهي كل شيء".

ضحكت إيميلي وقالت:

"ولا يمكن للمرء أن يغيب عن سيتافورد لقضاء العطلة الأسبوعية من دون أن يُلاحَظ غيابه بالتأكيد".

قال أنديربي: "وكان السيد كورتيس سيلاحظ صمت زوجته لو أنها كانت هي الفاعلة".

قالت إيميلي: "بالطبع، لا شك في أن من ارتكبها هو عبدول؛ فهذا متوافق مع التراث، فهو ربما يكون بحاراً هندياً حقاً، ولعل الكابتن تريفيليان ألقى أخاه العزيز من فوق السفينة نتيجة تمرده... أو شيء من هذا القبيل".

قال تشارلز: "أنا أرفض تصديق أن يكون ذلك الهندي البائس المسكين بوسعه قتل أحد".

وقال فجأة: "عرفت!".

قالت إيميلي بلهفة: "ماذا؟".

"زوجة الحداد. تلك التي تنتظر مولودها الثامن. قطعت تلك المرأة الباسلة رغم حالتها الطريق كلها مشياً وضربته على رأسه بكيس الرمال".

"لماذا بالله عليك؟".

"لأنه رغم كون الحداد والد الأطفال السبعة، فالكابتن تريفيليان هو والد طفلها القادم".

قالت إيميلي: "تشارلز، لا تكن بذيئًا".

وأضافت قائلة: "وعلى أية حال، في تلك الحالة سيكون الحداد هو من فعلها، لا هي. وهذه حجة جيدة حقًا. فكر كيف باستطاعة تلك الذراع القوية أن تحمل كيس الرمال ببراعة! وما كانت زوجته لتستطيع ملاحظة غيابه لانشغالها بالعناية بأطفالها السبعة. ولن يتوافر لها الوقت لملاحظة أي رجل".

قال تشارلز: "لقد انحدر بنا الأمر إلى حماقة خالصة".

قالت إيميلي مصدقة على كلامه: "هذه حماقة إلى حد ما. لم يحقق عد الأوراق الخاسرة نجاحًا كبيرًا".

قال تشارلز: "وماذا عنك أنت؟".

"أنا؟".

"أين كنت حين وقوع الجريمة؟".

"يا للغرابة! أنا لم أفكر في هذا قط. لقد كنت في لندن بالطبع، ولكني لا أعلم كيف يمكنني إثبات ذلك. لقد كنت في شقتي وحدي".

قال تشارلز: "ها أنت ذا، لديك الدافع وكل شيء؛ ففتاك على وشك أن يرث عشرين ألف جنيه، وماذا ستريدين أكثر من هذا؟".

قالت إيميلي: "أنت ذكي يا تشارلز. يمكنني أن أدرك كوني موضعًا للشك حقًا. ولم يسبق لي التفكير في هذا الأمر من قبل".

الفصل 27

ناراكوت يتصرف

بعد مرور يومين، جلست إيميلي في مكتب المفتش ناراكوت. وكانت قد قدمت من سيتافورد في صباح هذا اليوم.

نظر إليها المفتش ناراكوت نظرة تقييمية؛ فقد أعجب بجرأتها، وعزمها الراسخ على عدم الاستسلام، وابتهاجها الدائم. لقد كانت محاربة، والمفتش ناراكوت يعجبه المحاربون. وكان رأيه الشخصي عنها أنها أفضل بكثير من أن تصبح زوجة لشخص مثل جيمس بيرسون، حتى إن كان ذلك الشاب بريئًا من جريمة القتل.

قال المفتش: "من المعروف عامة في الروايات البوليسية أن الشرطة تحرص على إيجاد متهم، ولا يكترثون إذا ما كان المتهم بريئًا أم لا ما دامت هناك أدلة إدانة كافية ضده. وليست هذه هي الحقيقة يا آنسة تريفوسيس، بل نحن لا نريد إلا المذنب".

"هل تؤمن حقًا بأن جيمس مذنب أيها المفتش ناراكوت؟".

"لا يمكنني أن أعطيك جوابًا رسميًا عن هذا السؤال يا آنسة تريفوسيس، ولكن بوسعي أن أخبرك بأننا... لا نحقق في الأدلة التي تدينه هو فقط، بل نحقق في أدلة تدين أشخاصًا آخرين بعناية كبيرة".

"أتقصد أدلة تدين أخاه... برايان؟".

"السيد برايان بيرسون شخص غير متعاون تمامًا؛ فقد رفض الإجابة عن أسئلتي أو إعطاء أية معلومات عن نفسه، ولكنني أعتقد أن...". واتسعت ابتسامة المفتش ناراكوت الساخرة ببطء وقال: "أعتقد أن باستطاعتي تخمين بعض أنشطته. وإذا كنت مصيبًا في تخميني، فسوف أعلم كل شيء في غضون نصف ساعة. ثم لدينا زوج أخته، السيد ديرينج".

سألته إيميلي بفضول: "هل رأيته؟".

نظر المفتش ناراكوت إلى وجهها المشرق، وشعر بميل إلى التقليل من حذره الرسمي. وبعد أن اتكأ على مقعده، قص عليها ما جرى بينه وبين السيد ديرينج، ثم أخرج من ملف عند مرفقه نسخة من البرقية التي أرسلها إلى السيد روزنكرون، وقال:

"هذا ما أرسلته. وها هو الرد".

وقرأته إيميلي:

ناراكوت درايسديل، طريق إكسيتر

نحن بلا شك نؤكد إفادة السيد ديرينج؛ فقد ظل في شركتنا طوال فترة ما بعد الظهيرة من يوم الجمعة.

روزنكرون

قالت إيميلي: "أوه! ... هذا مزعج". وقد اختارت كلمة ألطف من الكلمة التي كانت تنوي استخدامها؛ لعلمها أن رجال الشرطة قديمو الطراز ويندهشون بسهولة.

قال المفتش ناراكوت بتأمل: "نعم، هذا أمر مثير للاستياء، أليس كذلك؟".

بدت ابتسامته البطيئة ثانية، وقال:

"ولكنني رجل نزاع إلى الشك يا آنسة تريفوسيس. وقد بدت مبررات السيد ديرينج مقبولة للغاية... ولكنني رأيت أنه من المؤسف أني سمحت له بالتلاعب بي بشكل كامل، ومن ثم أرسلت برقية أخرى".

وسلمها مرة أخرى نسختين من الورق.

وكانت الورقة الأولى تنص على ما يلي:

المطلوب معلومات عن جريمة قتل الكابتن تريفيليان. هل تدعم إفادة مارتن ديرينج بغيابه عن مسرح الجريمة في فترة ما بعد الظهيرة من يوم الجمعة.

مفتش قسم الشرطة ناراكوت، إكسيتر

وقد بين الرد انفعالًا وجهلًا كبيرًا بعواقب رده الأول، وقال فيها:

لم تكن لديّ فكرة عن كون الأمر متعلقًا بقضية قتل، ولم أرَ مارتن ديرينج في يوم الجمعة، ووافقت على دعم كلامه كخدمة من صديق لصديقه؛ اعتقادًا مني أن زوجته تراقبه من أجل اتخاذ إجراءات الطلاق.

قالت إيميلي: "أوه، أوه!... أنت ذكي أيها المفتش".

كان المفتش يرى بوضوح أنه ذكي للغاية؛ فقد كانت ابتسامته لطيفة راضية.

مضت إيميلي في حديثها وهي تنظر إلى البرقيات قائلة: "يا لتستر الرجال بعضهم على بعض! مسكينة يا سيلفيا! في بعض الأحوال أعتقد حقًا أن الرجال وحوش. ولهذا السبب من اللطيف للغاية أن تجد المرأة رجلًا يمكنها الاعتماد عليه حقًا".

وابتسمت للمفتش بإعجاب.

قال لها المفتش محذرًا: "والآن، اعلمي يا آنسة تريفوسيس أن كل هذه المعلومات سرية للغاية. وقد تماديت أكثر مما ينبغي لي بإطلاعك عليها".

قالت إيميلي: "أعتقد أن هذا لطف كبير منك، ولن أنسى ذلك أبدًا أبدًا".

حذرها المفتش ثانية قائلًا: "حسنًا، أرجو ألا تبوحي بأية كلمة منها إلى أي أحد".

"أتعني أن عليّ ألا أخبر تشارلز بها... أقصد السيد أنديربي".

قال المفتش ناراكوت: "سيظل الصحفي صحفيًا، مهما كان مقدار ترويضك إياه يا آنسة تريفوسيس... فالخبر خبر، أليس كذلك؟".

قالت إيميلي: "لن أخبره إذن. وأعتقد أنني كممت فاه على نحو جيد، ولكن كما قلت، سيظل الصحفي صحفيًا".

قال المفتش ناراكوت: "إياك أن تطلعي الآخرين على أية معلومات غير ضرورية. هذه قاعدتي".

لاحت التماعة خافتة في عيني إيميلي؛ وكانت فكرتها التي لم تفصح عنها هي أن المفتش ناراكوت خرق هذه القاعدة على نحو سيئ للغاية خلال نصف الساعة الماضية.

خطرت ببالها ذكرى مفاجئة، ولكنها لم تكن مهمة بالطبع في ذلك الحين؛ فيبدو أن كل شيء يشير إلى اتجاه مختلف تمامًا. ولكنها ذكرى لطيفة رغم هذا.

وقالت فجأة: "أيها المفتش، من السيد دوك؟".

"السيد دوك؟!".

ظنت أن المفتش فوجئ بسؤالها، فقالت:

"أتذكر عندما التقيناك خارجًا من منزله في سيتافورد؟".

"آه، نعم، نعم، أذكره. في الحقيقة يا آنسة تريفوسيس، لقد فكرت في الحصول على وصف مستقل لمسألة جلسة تحضير الأرواح تلك؛ فالميجور برنابي ليس بارعًا في الوصف".

قالت إيميلي: "ولكني لو كنت مكانك لذهبت إلى شخص مثل السيد ريكروفت، فلماذا ذهبت إلى السيد دوك؟".

ساد الصمت لبرهة ثم قال المفتش:

"إنها مسألة رأي".

قالت إيميلي: "ولكني أتساءل... أتساءل عما إذا كانت الشرطة تعرف شيئًا ما عن

السيد دوك".

لم يرد المفتش ناراكوت عليها، وكانت عيناها مركزتين بثبات على الورق النشاف.

قالت إيميلي: "رجل يعيش حياة نظيفة! يبدو أن هذا هو الوصف الدقيق للسيد دوك، ولكن ماذا لو أنه لم يعش حياة نظيفة على الدوام؟ وماذا لو كانت الشرطة على علم بذلك؟".

ورأت رعشة خفيفة على وجه المفتش ناراكوت وهو يحاول إخفاء ابتسامة.

وقال لها بطريقة ودية: "أنت تحبين التخمين، أليس كذلك يا آنسة تريفوسيس؟".

قالت: "عندما لا يخبرك الآخرون بأمور معينة تضطر إلى التخمين!".

قال المفتش ناراكوت: "إذا كان هناك رجل يعيش حياة نظيفة كما تقولين، ويزعجه أو يعوقه الكشف عن حياته السابقة، فالشرطة قادرة على كتم أسراره. ولا رغبة لدينا في كشف أسرار أحد".

قالت إيميلي: "فهمت. ولكن يبقى السؤال قائماً... أنت ذهبت للقائه، أليس كذلك؟ يبدو هذا كما لو أنك فكرت في أنه متورط في الأمر. أتمنى... أتمنى أن أعرف حقيقة السيد دوك؟ وما فرع الإجرام الذي كان منغمساً فيه في الماضي؟".

ونظرت إلى المفتش متوسلة أن يخبرها، ولكنه احتفظ بوجهه جامداً، فأدركت عند هذه النقطة أنه لا أمل لها في التأثير فيه، فتنهدت واستأذنت في الانصراف.

وعندما غادرت، جلس المفتش يحدق إلى الورق النشاف، ولا تزال الابتسامة بادية على شفتيه. ودق الجرس، فدخل أحد مرءوسيه.

قال المفتش: "ماذا لديك؟".

فأجابه: "صحيح تماماً يا سيدي، ولكنه لم يكن في فندق داتشي في برينستاون، بل كان في فندق تو بريدجز".

فتعجب المفتش قائلًا: "آه!". وأخذ الأوراق التي سلمه إياها الرجل.

ثم استطرد قائلًا: "حسنًا، هذا يبين أن كل شيء على ما يرام. هل تحريت عن تحركات الرجل الآخر ليوم الجمعة؟".

قال الرجل: "من المؤكد أنه وصل إلى إكزامبتون بآخر قطار، ولكنني لم أتبين بعد في أية ساعة غادر لندن. ولا تزال التحريات جارية".

أومأ ناراكوت برأسه

قال الرجل: "هذه صورة من الشهادة الموجودة في سجل الزيجات يا سيدي".

فرد ناراكوت الورقة، وكانت عبارة عن شهادة زواج عُقِدَ في عام 1894 بين ويليام مارتن ديرينج ومارثا إليزابيث ريكروفت.

قال المفتش: "آه! هل لديك شيء آخر؟".

"نعم يا سيدي. أبحر السيد برايان بيرسون من أستراليا على متن سفينة تابعة لشركة بلو فانيل، واسمها فيدياس. وقد رست في كيب تاون، ولكن لم يكن على متنها أحد يحمل الاسم ويليت، ولم يكن على متنها أم وابنتها من جنوب إفريقيا. كانت هناك السيدة إيفانز وابنتها والسيدة جونسون وابنتها، وكلهن جئن من ملبورن... والمرأتان المذكورتان آنفًا أقرب في الوصف إلى السيدة ويليت وابنتها".

قال المفتش: "... عائلة جونسون. قد لا يكون جونسون أو ويليت الاسم الحقيقي لهما. وأعتقد أنني أوقعت بهما تمامًا. هل لديك مزيد؟".

وبدا أنه لم يكن لديه شيء آخر.

قال المفتش: "حسنًا، أعتقد أن لدينا ما يكفي للمواصلة".

الفصل 28

الأحذية

قال السيد كيركوود: "ولكن يا شابتي العزيزة، ما الذي تتوقعين العثور عليه في منزل هازلمور؟ لقد نقلت جميع متعلقات الكابتن تريفيليان، وأجرت الشرطة فحصاً دقيقاً للمنزل. وأنا أتفهم موقفك وتلهفك على... تبرئة السيد بيرسون إن أمكن. ولكن ماذا بوسعك أن تفعلي؟".

قالت إيميلي: "أنا لا أتوقع العثور على أي شيء، أو ملاحظة أي شيء غفل عنه رجال الشرطة. ولا أستطيع أن أشرح لك يا سيد كيركوود. إنني أريد... أريد فهم الجو العام للمكان. وأرجوك أن تعطيني المفاتيح؛ فليس في ذلك ضرر".

قال السيد كيركوود بوقار: "بالتأكيد ليس هناك ضرر من هذا".

قالت إيميلي: "إذن، أرجوك أن تتلطف معي".

ولذا، كان السيد كيركوود لطيفاً معها وأعطاها المفاتيح بابتسامة تسامح. وبذل أقصى جهده في محاولة إقناعها بذهابه معها، وهي كارثة تفادتها بلباقة وحزم.

وفي ذلك الصباح، تلقت إيميلي خطاباً. وكان هذا الخطاب المرسل من السيدة بيلينج يقول:

"عزيزتي الآنسة تريفوسيس،

قلت لي إنك تودين مني أن أعلمك بأي شيء غريب يحدث حتى إن لم يكن مهماً. ونظراً لأن الأمر الآتي غريب، رغم عدم أهميته بأية حال، فقد فكرت في أن من واجبي إعلامك به على الفور، وآمل أن يصلك هذا الخطاب مع آخر بريد في هذه الليلة أو مع أول بريد في الصباح. جاءتني ابنة أختي وأخبرتني بأمر غير مهم لكنه غريب، وقد اتفقت معها على هذا. قالت الشرطة، وهذا ما ظنه الجميع، إنه لا شيء أُخذَ من منزل الكابتن تريفيليان، وهم يقصدون بلا شيء أنه لا شيء قيم قد أخذ، ولكن هناك شيئاً مفقوداً لم يلاحظ لكونه غير مهم. ولكن يبدو يا آنسة أن زوجاً من أحذية الكابتن تريفيليان مفقود، وهو ما لاحظه إيفانز عندما ذهب لترتيب

المتعلقات مع الميجور برنابي. ورغم أنني افترضت عدم أهميته يا آنسة، فقد فكرت في أنك قد تودين معرفة ذلك. لقد كان زوجًا من الأحذية السميكة التي تنظف بالزيت، والتي يرتديها الكابتن إذا خرج وسط الثلوج، ولكن نظرًا لأنه لم يخرج وسط الثلوج، فلا معنى لاختفائهما. وهما مفقودان ولا أحد يعلم من الذي أخذهما، ورغم علمي بعدم أهميتهما فقد شعرت بأن من واجبي أن أكتب إليك، وآمل أن يصلك خطابي في أسرع وقت ممكن، وألا تكوني قلقة للغاية على الشاب، وسأظل مخلصة لك يا آنسة.

السيدة جي. بيلينج".

قرأت إيميلي هذا الخطاب، ثم أعادت قراءته، وناقشته مع تشارلز.

قال تشارلز بتمعن: "أحذية، لا يبدو هذا الأمر ذا معنى".

قالت إيميلي: "من المؤكد أن له معنى. أقصد... لماذا يُفقَد زوج من الأحذية؟".

"ألا تعتقدين أن إيفانز ابتدع هذا الأمر؟".

"لماذا ينبغي عليه فعل هذا؟ وفوق ذلك، إذا ابتدع المرء أمرًا فينبغي أن يكون هذا الأمر منطقيًا، لا أمرًا سخيفًا لا معنى له كهذا".

قال تشارلز بتأمل: "توحي الأحذية بوجود شيء يتعلق بآثار الأقدام".

قالت إيميلي: "أعلم، ولكن لا يبدو أن لآثار الأقدام دورًا في هذه القضة على الإطلاق. وربما لو لم تتساقط الثلوج مرة أخرى...".

قال تشارلز: "نعم، ربما، ولكن حتى حينها...".

ثم قدم افتراضًا فقال: "أيمكن أن يكون أعطاهما لأحد المتشردين ثم عاد المتشرد فقتله؟".

قالت إيميلي: "أحسب ذلك ممكنًا، ولكن هذا لا يبدو من سمات الكابتن تريفيليان؛ فهو ربما يجد له عملًا أو يعطيه شلنًا، ولكنه ما كان ليعطيه أفضل أحذيته الشتوية".

قال تشارلز: "حسنًا، أنا أستسلم".

قالت إيميلي: "أما أنا فلن أستسلم. سوف أصل إلى حقيقة هذا الأمر بأية وسيلة".

ولهذا، جاءت إلى إكزامبتون، وذهبت أولًا إلى فندق ثري كراونز حيث استقبلتها السيدة بيلينج بحماس عظيم.

قالت السيدة بيلينج: "ألا يزال فتاك في السجن يا آنسة؟ يا للعار! لا أحد منا يصدق أنه فعلها... وأنا أود على الأقل سماعهم يقولون هذا. هل تسلمتِ خطابي؟ وهل تودين

رؤية إيفانز؟ حسنًا، هو يعيش عند المنعطف في منزل رقم 85 في شارع فور. وتمنيت لو كان باستطاعتي الذهاب معك، ولكنني لا أستطيع مغادرة الفندق، وأنت لن تخطئي في الوصول إلى هناك".

ولم تخطئ إيميلي في الوصول إليه بالفعل. وكان إيفانز خارج المنزل، أما زوجته فقد استقبلتها ودعتها للدخول. وجلست إيميلي وحثت السيدة إيفانز على الجلوس أيضًا، وتحدثت في الأمر مباشرة، فقالت:

"لقد جئت للحديث عما أخبر زوجك السيدة بيلينج به، أعني زوج الأحذية المفقود الخاص بالكابتن تريفيليان".

قالت الفتاة: "إنه أمر غريب بلا شك".

"هل زوجك متأكد تمامًا من هذا؟".

"أوه، نعم. كان الكابتن يرتديهما غالب وقته في الشتاء. وكانا كبيرين، وكان يرتدي معهما زوجين من الجوارب".

أومأت إيميلي برأسها ثم قالت:

"أليس من المحتمل أنه أرسلهما للإصلاح أو شيء من هذا القبيل؟".

قالت السيدة إيفانز بفخر: "لا يمكن أن يحدث هذا من دون علم إيفانز".

قالت إيميلي مصدقة على كلامها: "كلا، لا أظن هذا".

قالت السيدة إيفانز: "إنه لأمر غريب، ولكنني لا أحسب أن له علاقة بجريمة القتل، أتظنين ذلك يا آنسة؟".

قالت إيميلي متفقة معها: "لا يبدو كذلك".

قالت الفتاة بتلهف: "هل اكتشفوا أي شيء جديد يا آنسة؟".

"نعم، شيئًا أو شيئين... لكنهما ليسا مهمين للغاية".

"عندما رأيت ذلك المفتش القادم من إكسيتر هنا اليوم ثانية، ظننت أنهم ربما اكتشفوا شيئًا".

"المفتش ناراكوت؟".

"نعم، هو عينه يا آنسة".

"هل جاء بقطاري ذاته؟".

"كلا، جاء بالسيارة. وذهب أولًا إلى فندق ثري كراونز، وسأل عن حقائب الشاب".

"حقائب أي شاب؟".

"الشاب الذي تخرجين معه يا آنسة".

اتسعت عينا إيميلي، بينما مضت الفتاة في حديثها قائلة:

"لقد سألوا توم عنها، ومررت على الفندق بعد ذلك بقليل، فأخبرني بالأمر. إن توم شديد الملاحظة، وقد تذكر أنه كان على حقائبه ملصقان، ملصق إلى إكسيتر والآخر إلى إكزامبتون".

أضاءت ابتسامة مفاجئة وجه إيميلي عندما تخيلت الجريمة وقد ارتكبها تشارلز ليضمن لنفسه سبقًا صحفيًا. ورأت أن بوسع المرء أن يكتب قصة رائعة عن هذا الموضوع. ولكنها أعجبت بدقة المفتش ناراكوت في تحري جميع التفاصيل المتعلقة بأي شخص مهما كانت صلته بالجريمة بعيدة. لا بد أنه غادر إكسيتر فور لقائه بها؛ فمن شأن سيارة سريعة أن تسبق القطار.
وقد تناولت غداءها في إكسيتر على أية حال.

سألتها إيميلي: "أين ذهب المفتش بعد ذلك؟".

"إلى سيتافورد يا آنسة. لقد سمعه توم يقول هذا للسائق".

"إلى منزل سيتافورد؟".

"كلا يا آنسة، إلى منزل السيد دوك".

دوك مرة أخرى. شعرت إيميلي بالغضب والحيرة؛ فدائمًا ما تصطدم به... ذلك العنصر المجهول. وشعرت أيضًا بأنه كان يتعين عليها استنتاج طبيعته من خلال الدلائل المتاحة، ولكن يبدو أنه ترك الأثر ذاته لدى الجميع... عن كونه رجلًا عاديًا بسيطًا لطيفًا.

قالت إيميلي لنفسها: "يجب أن أراه. سوف أذهب إليه مباشرة بمجرد أن أعود إلى سيتافورد".

وبعد ذلك، شكرت السيدة إيفانز، وذهبت إلى مكتب السيد كيركوود وحصلت على المفاتيح، وها هي تقف الآن في صالة منزل هازلمور وتتساءل عما توقعت أن تشعر به هناك.

وصعدت إيميلي السلم ببطء، وذهبت إلى الغرفة الأولى المقابلة للسلم. وبدا واضحًا تمامًا أنها كانت غرفة نوم الكابتن تريفيليان. وكانت قد أُفرِغت من المتعلقات الشخصية، كما قال السيد كيركوود. وكانت البطاطين مطوية في كومة ومرتّبة، والأدراج خالية، ولم يُترَك في خزانة الملابس شيء ولو حمالة ثياب. وكانت خزانة الأحذية خاوية الأرفف.

تنهدت إيميلي، ثم استدارت للخلف، ونزلت السلم. هنا حجرة الجلوس، حيث كان القتيل ممدداً، والثلج يتناثر للداخل عبر النافذة المفتوحة

وحاولت تخيل المشهد. يد من التي امتدت بضرب الكابتن تريفيليان ولماذا؟ وهل قتل في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة كما يعتقد الجميع؟... أم أن جيمس فقد أعصابه حقًا وكذب؟ وهل أخفق في إسماع أي أحد طرقه على الباب الأمامي للمنزل، فالتف ودخل من النافذة، ونظر فرأى جثة خاله فهرب في نوبة رعب؟ تمنت إيميلي أن تعلم الحقيقة. ووفقًا لكلام السيد داكريس، جيمس مصرٌ على قصته. نعم... ولكن ربما فقد جيمس أعصابه. لا يمكنها الجزم بذلك. وهل كان هناك أحد آخر في المنزل - كما افترض السيد ريكروفت - سمع شجارهما واغتنم الفرصة؟

وإذا كان الأمر كذلك... فهل هذا يتعلق بمسألة الحذاء؟ هل كان هناك أحد في الأعلى... أو ربما في غرفة نوم الكابتن تريفيليان؟ ومرت إيميلي بالصالة ثانية.

وألقت نظرة سريعة على حجرة الطعام، وكان هناك صندوقان محزومان جيداً، وعليهما ملصقان. وكان رف الأواني خاليًا؛ فقد نقلت الأكواب إلى منزل الميجور برنابي.

ورغم هذا، لاحظت أن الروايات الثلاث التي نالها الكابتن كجائزة، والتي استمع تشارلز لوصف محتوياتها من إيفانز وأعاد سردها عليها بطريقة ممتعة، قد نُسِيت وتركت ملقاة على أحد المقاعد.

نظرت حول الحجرة وهزت رأسها؛ فلم يكن هناك أي شيء.

وصعدت السلم مرة أخرى، ودخلت غرفة النوم ثانية.

يجب أن تعرف سبب اختفاء ذلك الزوج من الأحذية! وما لم تستطع تكوين نظرية تراها مقنعة في تفسير سبب اختفائهما، فسوف تعجز عن استبعادهما من عقلها. وكانت هذه المسألة تعلو إلى حد سخيف يجعل كل شيء آخر يتعلق بالقضية يبدو ضئيلًا للغاية بالنسبة إليها. ألا يوجد ما يساعدها على حل هذا اللغز؟

أخرجت كل درج وتحسست خلفه؛ ففي الروايات البوليسية دائمًا ما توجد قصاصة ورق مفيدة. ولكن يبدو أنه في الحياة الواقعية لا يمكن توقع مثل هذه المصادفات السعيدة، ولو كان الأمر كذلك لكان المفتش ناراكوت ورجاله دقيقين إلى حد رائع في التفتيش عنها. وتحسست وجود ألواح خشبية مرتخية، وتحسست حواف السجادة بأصابعها، وفحصت الفراش المزود بنوابض. ولم تعرف ما الذي تتوقع العثور عليه في هذه المواضع كلها، ولكنها واصلت البحث بدأب شديد.

وبعد ذلك، وعندما نصبت ظهرها ونهضت واقفة، لفت نظرها شيء واحد يتناقض مع هذا النظام الدقيق في الغرفة، كانت هناك كومة صغيرة من الرماد في الموقد.

نظرت إليها إيميلي نظرة أشبه بتلك النظرة التي ينظر بها الطائر إلى الأفعى. واقتربت منها وهي تنظر إليها. ولم يكن الأمر بحاجة إلى استنتاج منطقي أو استدلال بالسبب والنتيجة، كان هناك ببساطة مشهد لرماد يوحي باحتمال محدد.

ثنت إيميلي أكمامها، وأنشبت كلتا يديها في المدخنة.

وبعد دقيقة، كانت تحملق بفرح يشوبه عدم التصديق إلى كيس ملفوف في ورق صحيفة على نحو عشوائي. وبهزة واحدة فضت الصحيفة فكانت المفاجأة: وجدت زوج الأحذية المفقود أمامها.

قالت إيميلي: "ولكن لماذا؟ ها هما، ولكن لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟".

وحدقت إليهما، وقلبتهما، وفحصتهما من الخارج والداخل، ولكن ظل السؤال ذاته يتردد في عقلها، لماذا؟

هب أن شخصاً ما أخذ حذاءي الكابتن تريفيليان وخبأهما في المدخنة، فلماذا فعل ذلك؟

صاحت إيميلي بيأس: "أوه! سوف أصاب بالجنون!".

وضعت الحذاءين بعناية في منتصف الأرضية، وجلبت أحد الكراسي ووضعته أمامهما وجلست عليه. ثم ظلت تفكر في الأمور بإمعان من البداية، واستعرضت جميع التفاصيل التي عرفتها بنفسها أو سمعتها من الآخرين. وظلت تفكر في كل فرد له دور في المأساة أو لا علاقة له بها.

وفجأة، بدأت تتشكل في عقلها فكرة غامضة غريبة... فكرة أوحى بها ذلك الزوج من الأحذية البسيط الملقى على الأرض بلا حراك.

قالت إيميلي: "ولكن إذا كان الأمر كذلك... إذا كان كذلك...".

والتقطت الحذاءين بيدها وأسرعت إلى الأسفل. ودفعت باب حجرة الطعام لتفتحه، وتوجهت إلى الخزانة الموجودة في الزاوية. توجد هنا مجموعة متنوعة من جوائز الصيد وأدواته، كل الأشياء التي لا يأتمن عليها المرأتين اللتين استأجرتا منزله. وتضم هذه المجموعة ألواح التزلج، ومجدافين، وقدم فيل، وأنياباً، وعصي صيد السمك... وكلها كانت بانتظار شركة شحن السيد يونج وبيبودي لحزمها بخبرة تمهيداً لنقلها.

انحنت إيميلي والحذاءان في يدها.

وما هي إلا دقيقة أو دقيقتان حتى انتصبت ثانية وقد احمر وجهها، وصارت في حالة ذهول.

وقالت إيميلي: "هذا هو الأمر إذن... هذا هو الأمر إذن".

وارتمت على أحد الكراسي؛ فلا تزال هناك الكثير من الأمور التي لم تستطع فهمها.

وبعد مرور بضع دقائق، نهضت واقفة على قدميها، وقالت بصوت عالٍ:

"عرفت من قتل الكابتن تريفيليان، ولكنني لا أعلم ما السبب، وما زلت لا أستطيع إدراك سبب ارتكابه الجريمة، ولكن يجب ألا أضيع الوقت".

وخرجت مسرعة من منزل هازلمور. وكان العثور على سيارة تقلها إلى سيتافورد مسألة لا تستغرق سوى بضع دقائق. وطلبت من السائق أن يوصلها إلى منزل السيد دوك. وهناك، أعطت السائق أجره ثم سارت على الممر المؤدي إلى المنزل بينما تحركت السيارة مبتعدة عنها.

وأمسكت بمطراق الباب، وأصدرت طرقات عالية.

وبعد دقيقة أو دقيقتين، فتح الباب رجل ضخم الجثة وجهه خالٍ من أية تعبيرات إلى حد ما.

وللمرة الأولى، التقت إيميلي بالسيد دوك وجهًا لوجه.

وسألته: "أأنت السيد دوك؟".

"نعم".

"أنا الآنسة تريفوسيس. هل يمكنني الدخول من فضلك؟".

تردد الرجل لبرهة، ثم تنحى جانبًا ليسمح لها بالمرور. دخلت إيميلي إلى حجرة الجلوس.

وأغلق الباب خلفها، ثم تبعها.

قالت إيميلي: "أريد لقاء المفتش ناراكوت. أهو هنا؟".

صمت السيد دوك مرة أخرى، وبدا مترددًا في الإجابة. وفي النهاية بدا أنه اتخذ قراره، فابتسم لها... وكانت ابتسامة فضولية إلى حد ما، ثم قال:

"المفتش ناراكوت موجود هنا، لماذا تريدين لقاءه؟".

أخذت إيميلي الكيس الذي كانت تحمله وفتحته، ثم أخرجت منه زوجًا من الأحذية ووضعتهما على الطاولة أمامه، ثم قالت:

"أريد لقاءه بشأن هذا الزوج من الأحذية".

الفصل 29

الجلسة الثانية لتحضير الأرواح

قال روني جارفيلد: "مرحبًا، مرحبًا، مرحبًا".

كان السيد ريكروفت يصعد ببطء الطريق المنحدر قادمًا من مكتب البريد، فتوقف حتى لحق به روني.

سأله روني: "هل كنت في متجر هارودز المحلي؟ عند الأم العجوز هيبرت".

قال السيد ريكروفت: "كلا، بل كنت أتمشى قليلًا إلى ما بعد محل الحداد؛ فالطقس رائع اليوم".

نظر روني إلى السماء الزرقاء الصافية وقال:

"نعم، الطقس مختلف بعض الشيء عما كان عليه في الأسبوع الماضي. وبالمناسبة، هل ستذهب إلى السيدة ويليت وابنتها؟".

"نعم، وهل ستذهب أنت أيضًا؟".

"نعم؛ فهما مصدر بهجتنا في سيتافورد... السيدة ويليت وابنتها. "يجب ألا تدع نفسك للكآبة"، هذا هو شعارهما، أي مواصلة الحياة كالعادة. وتقول خالتي ليس من الذوق أن تدعُوَا الآخرين لتناول الشاي معهما بعد وفاة الكابتن بوقت قصير هكذا، ولكن هذا هراء. إنها لا تقول هذا إلا لأنها منزعجة بشأن إمبراطور بيرو".

قال السيد ريكروفت مندهشًا: "إمبراطور بيرو؟".

"إنه أحد قططها التعيسة، والذي تبين أنه أنثى، وهذا ما أزعج الخالة كارولين؛ فهي لا تحب إناث القطط... ومن ثم نفثت عن نفسها بإطلاق عبارات خبيثة عن السيدة ويليت وابنتها. لماذا لا ينبغي عليهما دعوة الآخرين لتناول الشاي؟ فلم يكن تريفيليان أحد أقاربهما أو أي شيء من هذا القبيل".

قال السيد ريكروفت وهو يدير رأسه ويفحص طائرًا حلق بجواره واعتقد أنه من فصيلة نادرة: "هذا صحيح تمامًا".

ثم تمتم قائلًا: "يا للإزعاج؛ فلم أحضر نظارتي معي".

قال روني: "آه! بمناسبة الحديث عن السيد تريفيليان، هل تعتقد أن السيدة ويليت كانت تعرفه على نحو أفضل مما تقول؟".

"لماذا تسأل عن هذا؟".

"بسبب التغير الذي حل بها. هل سبق لك أن رأيتها على هذا النحو؟ لقد بدت أكبر من سنها الحقيقية بعشرين عامًا خلال الأسبوع الماضي. ومن المؤكد أنك لاحظت ذلك".

قال السيد ريكروفت: "نعم، لاحظت هذا".

"حسنًا إذن. من المؤكد أن مقتل تريفيليان كان أفظع صدمة تعرضت لها. وسيكون غريبًا لو تبين أنها زوجته القديمة التي هجرها في شبابه ولم يستطع التعرف عليها".

"لا أظن ذلك محتملًا يا سيد جارفيلد".

"هذا احتمال فيه الكثير من المبالغات السينمائية، أليس كذلك؟ ورغم هذا، هناك أمور غريبة للغاية تحدث. وقد قرأت بعض الأمور المذهلة للغاية في صحيفة دايلي وايز... وهي أمور ما كنت لتصدقها لو لم تكتب عنها صحيفة".

قال له السيد ريكروفت منتقدًا: "وهل جعلها ذلك أكثر قابلية للتصديق؟".

قال روني: "إنك تحمل في صدرك قدرًا من الضغينة نحو الشاب أنديربي، أليس كذلك؟".

قال السيد ريكروفت: "أنا أكره تطفل المرء بوقاحة على شئون لا تعنيه".

تمسك روني برأيه قائلًا: "نعم، ولكن هذه الأمور تعنيه بالفعل. أقصد أن التطفل هو مهنة ذلك الشاب المسكين. ويبدو أنه روض العجوز برنابي أيما ترويض. والعجيب أن ذلك العجوز لا يطيق رؤيتي، فأنا بالنسبة له أشبه براية حمراء لثور".

لم يرد السيد ريكروفت.

قال روني وهو ينظر ثانية إلى السماء: "يا إلهي! هل تدرك أن اليوم هو الجمعة؟ في مثل هذا الوقت تقريبًا منذ أسبوع كنا متوجهين إلى عائلة ويليت مثلما نفعل الآن. ولكن الطقس مختلف بعض الشيء".

قال السيد ريكروفت: "أسبوع واحد، يبدو أطول من ذلك بكثير".

"يبدو كعام، أليس كذلك؟ مرحبًا يا عبدول!".

مرا ببوابة منزل الكابتن وايت التي كان يطل منها ذلك الخادم الهندي البائس.

قال السيد ريكروفت: "مساء الخير يا عبدول. كيف حال سيدك؟".

فهز الخادم رأسه وقال:

"هو في حالة سيئة يا سيدي. ولا يرغب في رؤية أحد، وهو لم يرَ أحداً منذ فترة طويلة".

قال روني في أثناء مرورهما: "أتعلم أمراً؟ باستطاعة هذا الرجل أن يقتل وايت بسهولة تامة، ولن يعلم أحد بأمره؛ فبإمكانه أن يستمر لأسابيع في هز رأسه والقول بأن سيده لا يرغب في رؤية أحد، ولن يستغرب أحد هذا الأمر".

أقر السيد ريكروفت بصحة كلامه، ثم قال:

"ولكن ستظل أمامه مشكلة التخلص من الجثة".

"نعم، هذه هي العقبة دائماً، أليس كذلك؟ فالتخلص من جثة الإنسان مسألة شاقة".

ومرا بمنزل الميجور برنابي، الذي كان في حديقته ينظر بضجر إلى عشب نبت في مكان غير محبب.

قال السيد ريكروفت: "مساء الخير أيها الميجور. هل ستأتي أنت أيضاً إلى منزل سيتافورد؟".

فحك برنابي أنفه ثم قال:

"لا أظن ذلك. لقد أرسلتا إليّ دعوة، ولكنني... لا أشعر برغبة في ذلك. وأنا أتوقع أن تتفهموا موقفي".

طأطأ السيد ريكروفت رأسه علامة على تفهمه ثم قال:

"ولكنني أتمنى أن تأتي. ولديّ سبب لذلك".

"سبب! أي سبب؟".

تردد السيد ريكروفت؛ فقد كان من الواضح أن وجود روني جارفيلد منعه من التصريح. ولكن روني - الغافل تماماً عن هذه الحقيقة - وقف منصتاً باهتمام شديد.

وقال بنبرة بطيئة: "أود أن أجري تجربة".

سأله برنابي: "أية تجربة؟".

تردد السيد ريكروفت في الحديث، فقال:

"أفضل ألا أخبرك بها مسبقاً. ولكن إذا أتيت، فسوف أطلب منك أن تدعمني في أي شيء أقترحه".

ثار فضول برنابي، فقال:

"حسنًا، سوف آتي، ويمكنك الاعتماد عليّ. أين قبعتي؟".

وانضم إليهما في غضون دقيقة واحدة وهو مرتدٍ قبعته، ودخل الثلاثة بوابة منزل سيتافورد.

قال برنابي: "سمعت أنك تتوقع صحبة يا ريكروفت".

بدت على وجهه العجوز لمحة غيظ، وقال:

"من قال لك هذا؟".

"تلك المرأة الثرثارة، السيدة كورتيس. هي نظيفة وأمينة، ولكن لسانها لا يكف عن الكلام، ولا تهتم إذا ما كنت تنصت إليها أم لا".

قال السيد ريكروفت مقرًا بصحة ذلك: "هذا صحيح تمامًا. أنا أتوقع مقدم ابنة أخي السيدة ديرينج وزوجها غدًا".

وصلوا إلى باب المنزل، وبمجرد الضغط على الجرس، فتح لهم الباب برايان بيرسون.

وفي أثناء خلع معاطفهم في الصالة، ظل السيد ريكروفت يتفحص باهتمام ذلك الشاب عريض المنكبين، وقال في نفسه:

"نموذج رائع. نموذج رائع جدًا؛ فهو حاد المزاج، وزاوية فكه غريبة، وقد يكون شخصًا كريهًا يصعب التعامل معه في ظروف معينة. وهو ما يمكنك أن تدعوه شابًا خطيرًا".

انتاب الميجور برنابي شعور غريب بالذهول عندما دخل حجرة الاستقبال، ونهضت السيدة ويليت لتحيته وقالت:

"رائع منك أن تحضر إلينا".

إنها الكلمات ذاتها التي سمعها في الأسبوع الماضي، والنار ذاتها المتوهجة في الموقد. وخيل إليه أن المرأتين ترتديان الثياب ذاتها، ولكنه لم يكن متأكدًا من ذلك.

إن هذه الأمور تثير لدى المرء شعورًا غريبًا. كأننا في الأسبوع الماضي... كأن جوزيف تريفيليان لم يمت... كأن شيئًا لم يحدث أو يتغير. توقف، هذا خطأ. لقد تغيرت السيدة ويليت. لقد صارت حطامًا، وهذا هو الوصف الوحيد المناسب لها. وهي لم تعد تلك المرأة الأنيقة الحازمة، بل أضحت مخلوقًا محطم الأعصاب تبذل جهدًا واضحًا مثيرًا للشفقة من أجل الظهور بمظهرها المعتاد.

قال الميجور في نفسه: "ولكني أقسم بأنني لا أدري ما عناه موت جوزيف بالنسبة

لها".

وللمرة المائة، سجل عقله انطباعًا بأن هناك أمرًا غريبًا جدًا بشأن السيدة ويليت وابنتها. وكالعادة، انتبه لكونه صامتًا وأن هناك شخصًا يتحدث إليه.

كانت السيدة ويليت تقول: "أخشى أن يكون هذا اجتماعنا الأخير".

رفع روني جارفيلد بصره فجأة وقال: "ما هذا الذي تقولينه؟!".

قالت السيدة ويليت بابتسامة لا تكاد تُدرَك: "نعم، نحن مضطرتان للتخلي عن إمضاء بقية الشتاء في سيتافورد. وعلى نحو شخصي، لقد أحببت القرية بالطبع... أحببت الثلوج، والهضاب، وطبيعتها كلها، لولا مشكلة الخدم! فمشكلة الخدم صعبة للغاية... لقد هزمتني!".

قال الميجور برنابي: "لقد ظننت أنك ستأتين بسائق وخادم بارعين".

هزت ارتعاشة مفاجئة جسد السيدة ويليت، وقالت:

"كلا، لقد... لقد اضطررت للتخلي عن تلك الفكرة".

قال السيد ريكروفت: "يا عزيزتي، هذه صدمة كبيرة لنا جميعًا. هذا محزن للغاية بحق. وسوف نغرق ثانية في بحر روتيننا اليومي بعد رحيلكما. بالمناسبة، متى سترحلان؟".

قالت السيدة ويليت: يوم الاثنين بحسب توقعي، ما لم أستطع الذهاب غدًا. إنه لأمر مضنٍ للغاية من دون خدم. وسوف أرتب الأمور بالطبع مع السيد كيركوود؛ فقد استأجرت المنزل لأربعة شهور".

سألها السيد ريكروفت: "هل ستذهبين إلى لندن؟".

"نعم، ربما نبدأ بها على أية حال. وأحسبنا سنسافر بعد ذلك إلى الريفييرا".

قال السيد ريكروفت وهو ينحني برقة: "إنها لخسارة عظيمة!".

بدرت من السيدة ويليت ضحكة خفيفة غريبة لا معنى لها، وقالت:

"هذا لطف كبير منك يا سيد ريكروفت. حسنًا، هلا تناولنا الشاي؟".

وضع الشاي، وقامت السيدة ويليت بصبه، وتولى روني وبرايان توزيعه. وخيم نوع غريب من الحرج على الجميع.

قال الميجور برنابي لـ-برايان بيرسون فجأة: "وماذا عنك؟ هل سترحل أنت أيضًا؟".

"نعم، إلى لندن. وفي الحقيقة، لا يمكنني مغادرة البلاد إلا بعد انتهاء هذه المسألة".

"هذه المسألة؟".

"أعني بعد تبرئة أخي من هذه التهمة السخيفة".

قذفهم بهذه الكلمات بطريقة تفيض بالتحدي لدرجة ألا أحد منهم عرف ماذا ينبغي له أن يقول.

خفف الميجور برنابي من حرارة الموقف بقوله:

"أنا لم أصدق مطلقًا أنه فعلها، ولا للحظة واحدة".

وقالت فيوليت وهي تلقي إليه نظرة امتنان: "لا أحد منا صدق هذا".

انقطعت فترة الصمت التالية بصوت الجرس، فقالت السيدة ويليت:

"هذا السيد دوك. أدخله يا برايان".

ذهب الشاب بيرسون إلى النافذة ثم قال:

"ليس هذا دوك، بل هو ذلك الصحفي البائس".

قالت السيدة ويليت: "أوه! يا إلهي! حسنًا، أظن أن علينا السماح له بالدخول على أية حال".

أومأ برايان برأسه ثم عاود الظهور بعد بضع دقائق بصحبة تشارلز أنديربي.

ودخل أنديربي بأسلوبه المعتاد في إظهار الرضا عن نفسه. ويبدو أن فكرة انعدام الترحيب به لم تخطر بباله.

وقال: "مرحبًا يا سيدة ويليت. كيف حالك؟ لقد فكرت في زيارتكم والاطمئنان عليكم. وكنت أتساءل عن سبب اختفاء جميع سكان سيتافورد، ولكنني علمت الآن".

"هل ترغب في بعض الشاي يا سيد أنديربي؟".

"هذا لطف كبير منك. نعم، أود بعضًا من الشاي. أرى أن إيميلي ليست هنا. وقد حسبتها مع خالتك يا سيد جارفيلد".

قال روني محدقًا إليه: "لا أعلم. ظننتها ذهبت إلى إكزامبتون".

"آها! ولكنها عادت. كيف عرفت؟ العصفورة الصغيرة أخبرتني. ولأكون دقيقًا، إنها العصفورة كورتيس. فقد رأت السيارة تمر بمكتب البريد وتصعد الطريق ثم عادت فارغة. وهي ليست في المنزل رقم 5 ولا في منزل سيتافورد. يا له من لغز... أين هي؟ فإذا لم تكن لدى الآنسة بيرسهاوس، فمن المؤكد أنها تتناول الشاي مع ساحر النساء قوي الشخصية المدعو الكابتن وايت".

قال السيد ريكروفت: "لعلها صعدت هضبة سيتافورد لمشاهدة غروب الشمس".

قال برنابي: "لا أظن هذا. كنت سأراها وهي تمر بمنزلي؛ فقد ظللت في الحديقة طوال الساعة الماضية".

قال تشارلز بسرور: "حسنًا، لا أظنها مشكلة حيوية للغاية. أعني لا أظنها خطفت، أو قُتلت، أو أي شيء من هذا القبيل".

قال برايان بخبث: "وهو أمر مؤسف من وجهة نظر صحيفتك، أليس كذلك؟".

قال تشارلز: "ما كنت لأضحي بـ إيميلي ولو خصصوا لي عدداً كاملًا". ثم أضاف بتأمل: "إيميلي فتاة فريدة".

قال السيد ريكروفت: "إنها فاتنة للغاية، فاتنة جداً. ونحن... متعاونان، أنا وهي".

قالت السيدة ويليت: "هل انتهى الجميع؟ ما رأيكم في لعب الورق؟".

قال السيد ريكروفت: "... مهلا".

وتنحنح على نحو يوحي بأهمية ما سيقول، فنظر الجميع إليه، ثم قال:

"يا سيدة ويليت، أنا كما تعلمين مهتم كثيراً بالظواهر الخارقة. ومنذ أسبوع مضى، وفي هذه الحجرة، مررنا بتجربة مذهلة ومروعة للغاية".

صدر صوت خافت من الآنسة فيوليت، فالتفت إليها وقال:

"أعلم يا عزيزتي الآنسة ويليت، أعلم. لقد أزعجتك تلك التجربة، لقد كانت مزعجة حقاً، ولا أنكر هذا. والآن، منذ وقوع الجريمة وقوات الشرطة تبحث عن قاتل الكابتن تريفيليان. وقد اعتقلوا السيد جيمس برايان، ولكن بعضنا على الأقل لا يصدق أنه مذنب. وما أعرضه عليكم هو تكرار تجربة الجمعة الماضية، رغم أننا سنجريها في هذه المرة بروحانية مختلفة إلى حد ما".

صاحت فيوليت: "كلا!".

قال روني: "أوه! هذه حماقة كبيرة. ولن أشارك فيها على أية حال".

لم يأبه به السيد ريكروفت، وقال:

"وأنت يا سيدة ويليت، ما رأيك؟".

فترددت وقالت:

"في الحقيقة يا سيد ريكروفت، أنا لا أحب هذه الفكرة. أنا لا أحبها على الإطلاق؛ فتلك المسألة البائسة التي أجريناها في الأسبوع الماضي خلفت لديّ انطباعاً بغيضاً تماماً. وسوف أستغرق وقتاً طويلًا لنسيانها".

سأل أنديربي: "ما الذي تعنيه بالضبط؟ أتقترح أن الأرواح ستخبرنا باسم القاتل

الحقيقي للكابتن تريفيليان؟ يبدو هذا محالًا جدًا".

"كنا نعد هذا أمرًا محالًا جدًا كما قلت عندما جاءتنا رسالة في الأسبوع الماضي تخبرنا بوفاة الكابتن تريفيليان".

قال أنديربي: "هذا صحيح، ولكن... اعلم أن فكرتك هذه قد تكون لها عواقب لم تأخذها في الحسبان".

"مثل ماذا؟".

قال أنديربي: "هب أنه ذكر أحد الأسماء، فكيف يمكنك التأكد من أن أحدًا من الحاضرين لم يعمد إلى...".

وصمت لبرهة فأكمل روني جارفيلد كلام أنديربي قائلًا:

"الغش. هذا ما تقصده. هب أن شخصًا ما قام بالغش".

قال السيد ريكروفت بمودة: "هذه تجربة جادة يا سيدي، ولن يقدم أحد على ارتكاب شيء كهذا".

قال روني بارتياب: "لا أدري. ولا أستغرب أمرًا منهم. لا أعني نفسي، أقسم على هذا، ولكن هب أن الجميع التفت إليّ وقالوا إنني فعلتها. سيكون هذا محرجًا بشدة".

تجاهل الرجل العجوز الضئيل كلام روني، وقال: "يا سيدة ويليت، أنا جاد في هذا. وأتوسل إليك أن تسمحي لنا بإجراء التجربة".

ترددت ثم قالت:

"أنا لا أحب هذا الأمر. لا أحبه حقًا. أنا...". ونظرت حولها بانزعاج كما لو أنها تبحث عن مهرب، ثم قالت: "أيها الميجور برنابي، لقد كنت صديق الكابتن تريفيليان. ما رأيك في الأمر؟".

التقت عينا الميجور بعيني السيد ريكروفت، ففهم أن هذا ما كان يعنيه حينها، فقال بنبرة غليظة:

"لمَ لا؟".

وكان لهذا أثر فعال في حسم الأصوات.

ذهب روني إلى الحجرة المجاورة، وأحضر الطاولة الصغيرة التي استُخدمت من قبل. ووضعها في منتصف الحجرة، وأحضر الكراسي حولها. ولم يتحدث أحد؛ فقد كان من الواضح أن هذه التجربة غير محببة.

قال السيد ريكروفت: "أعتقد أن هذا صحيح. ونحن على وشك تكرار تجربة الجمعة الماضية في ظروف مماثلة بدقة".

اعترضت السيدة ويليت قائلة: "ليست مماثلة تمامًا؛ فالسيد دوك غائب".

قال السيد ريكروفت: "هذا صحيح. ومن المؤسف أنه ليس هنا، مؤسف للغاية. حسنًا... فلنفترض أن السيد بيرسون هنا بدلًا منه".

صاحت فيوليت: "لا تشارك فيها يا برايان. أتوسل إليك، أرجوك لا تفعل".

"وما أهمية هذا؟ إنه مجرد هراء على أية حال".

قال السيد ريكروفت بصرامة: "هذه وضعية روحانية خطأ تمامًا".

لم يجبه برايان بيرسون، ولكنه أخذ موضعه إلى جانب فيوليت.

بدأ السيد ريكروفت قائلًا: "سيد أنديربي..."، ولكن تشارلز قاطعه بقوله:

"أنا لست مشاركًا في هذا الأمر. أنا صحفي وأنتم لا تثقون بي. وسوف أدون ملاحظات موجزة عن أية ظاهرة... تحدث، أليست كلمة ظاهرة هي الكلمة التي تستخدمونها لوصف ما يحدث؟".

واستقرت الأمور على هذه الحال، واتخذ الأفراد الستة الباقون أماكنهم حول الطاولة. وأطفأ تشارلز الأنوار، وجلس عند حافة المدفأة، وقال:

"لحظة واحدة، كم الساعة الآن؟". ونظر في ساعته على ضوء النار، ثم قال:

"هذا غريب".

"ما الغريب؟".

"إنها الساعة الخامسة وخمس وعشرون دقيقة تمامًا...".

صدرت عن فيوليت صيحة خفيفة.

فقال السيد ريكروفت بصرامة:

"صمتًا".

مرت الدقائق. وكان الجو مختلفًا في هذه المرة عن المرة السابقة منذ أسبوع؛ فلم تكن هناك ضحكات مكبوحة ولا تعليقات هامسة... لم يكن هناك سوى الصمت، الذي قطعته أخيرًا طقطقة قصيرة من الطاولة.

رفع السيد ريكروفت صوته قائلًا: "هل هناك أحد؟".

انطلقت طقطقة خافتة أخرى... بدا صوتًا مخيفًا في تلك الحجرة المظلمة.

"هل هناك أحد؟".

ولم تصدر في هذه المرة طقطقة، بل طرق هائل يصم الآذان.

صرخت فيوليت، وأطلقت السيدة ويليت صيحة.

وارتفع صوت برايان بيرسون يطمئنهما قائلًا:

"لا بأس. إنها طرقة على باب المنزل، وسأذهب لفتحه".

خرج من الحجرة من دون أي تعليق من أحد.

وفجأة، انفتح الباب بقوة، وأضيئت الأنوار.

وفي مدخل الباب، كان المفتش ناراكوت واقفًا. وكانت خلفه إيميلي تريفوسيس والسيد دوك.

تقدم ناراكوت خطوة إلى داخل الحجرة، وقال:

"يا جون برنابي، أنا أتهمك بقتل جوزيف تريفيليان في يوم الجمعة الموافق الرابع عشر من هذا الشهر، وأحذرك من أن أي شيء ستقوله سيسجل وقد يستخدم كدليل ضدك".

الفصل 30

إيميلي تشرح القضية

تجمع حول إيميلي تريفوسيس حشد أكثر اندهاشًا من أن تصفه الكلمات.

اقتاد المفتش ناراكوت المتهم برنابي إلى خارج الحجرة.

وكان تشارلز أنديربي أول من تمكن من السيطرة على اندهاشه، فقال:

"بالله عليك يا إيميلي، أخبرينا؛ فأنا أريد الوصول إلى مكتب التلغراف، وكل دقيقة تعد غاية في الأهمية".

قالت إيميلي: "الميجور برنابي هو من قتل الكابتن تريفيليان".

قال تشارلز: "حسنًا، لقد رأيت ناراكوت وهو يقبض عليه، وأحسب ناراكوت رجلًا عاقلًا... لم يصب بالجنون فجأة. ولكن كيف يمكن للميجور برنابي أن يقتل تريفيليان؟ أعني كيف يمكن لبشر أن يفعل هذا؟ أعني إذا كان تريفيليان قُتل في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة...".

"لم يُقتل في هذا التوقيت، بل قُتل في الساعة السادسة إلا الربع تقريبًا".

قال تشارلز: "حسنًا، ولكن حتى في ذلك الحين... عرفت! لن يمكنك تخمين ذلك إلا إذا فكرت فيه. لوحا التزلج... هذا هو التفسير... لوحا التزلج".

قال الجميع: " لوحا التزلج؟".

أومأت إيميلي برأسها مصدقة على كلامه وقالت:

"نعم، لقد دبر مسألة تحضير الأرواح عامدًا. ولم تكن مجرد مصادفة وجرت دون وعي كما ظننا يا تشارلز، بل كان الافتراض الآخر الذي رفضناه... جرت عن عمد. وقد رأى أن الثلج سيتساقط قريبًا، وهذا من شأنه أن يجعل الأمر آمنًا تمامًا ويمحو آثار الأقدام كلها. وأثار انطباعًا بأن الكابتن تريفيليان قُتل... ودفع الجميع إلى القلق، ثم تظاهر بالقلق الشديد عليه وأصر على الذهاب إلى إكزامبتون.

وذهب إلى منزله، وثبت لوحي التزلج بقدميه (وكانا في المخزن الصغير الموجود

في الحديقة مع الكثير من الأشياء الأخرى)، وبدأ الرحلة. وكان خبيراً في التزلج. والطريق إلى إكزامبتون عبارة عن سهل منبسط... مسار رائع للتزلج. ولن يستغرق الأمر منه سوى عشر دقائق تقريباً.

ووصل إلى إحدى النوافذ وطرق عليها، ففتح له تريفيليان وأدخله، من دون أن يساوره شك. وبعد ذلك، وعندما أدار له الكابتن تريفيليان ظهره، انتهز الفرصة، والتقط كيس الرمال ذلك و... وقتله. أف! التفكير في هذا الأمر يصيبني بالغثيان".

سرت بجسدها رعشة، ثم واصلت حديثها قائلة:

"كان الأمر برمته غاية في السهولة. وكان لديه متسع من الوقت. ومن المؤكد أنه مسح لوحي التزلج ونظفهما، ثم وضعهما في الخزانة الموجودة في حجرة الطعام، وحشرهما بين الأشياء الأخرى. وبعد ذلك، أظنه كسر النافذة وأخرج جميع الأدراج والأشياء الأخرى... لجعل الأمر يبدو كأن شخصاً ما اقتحم المنزل.

وبعد ذلك، وقبيل الساعة الثامنة، كل ما كان عليه فعله هو الخروج، والقيام بدورة على الطريق الصاعد والعودة إلى إكزامبتون وهو ينفخ ويلهث كما لو أنه حضر ماشياً طوال الطريق من سيتافورد. ونظراً لأنه لا أحد يشك في شأن لوحي التزلج، فهو في مأمن. ولا شك أن الطبيب سيقول إن الكابتن تريفيليان توفي منذ ساعتين على الأقل. وكما قلت، نظراً لأنه لا أحد يشك في شأن لوحي التزلج، فلدى الميجور برنابي عذر رائع لغيابه عن مسرح الجريمة".

قال السيد ريكروفت: "ولكنهما كانا صديقين... برنابي وتريفيليان. إن صداقتهما قديمة... ولطالما ظلا صديقين. هذا لا يصدق".

قالت إيميلي: "أعلم، وهذا ما ظننته، ولم أستطع فهم السبب. وظللت حائرة لوقت طويل، ثم اضطررت في النهاية إلى المجيء إلى المفتش ناراكوت والسيد دوك".

وصمتت لبرهة، ثم نظرت إلى السيد دوك الذي كان وجهه خالياً من أية تعبيرات، وقالت له:

"هل تسمح لي بأن أخبرهم؟".

ابتسم السيد دوك وقال:

"تفضلي إذا أردت ذلك يا آنسة تريفوسيس".

"على أية حال... كلا، لعلك تفضل ألا أخبرهم. لقد ذهبت إليهما، واستوضحنا الأمر معاً. هل تذكر يا تشارلز ما أخبرتني به عما ذكره إيفانز عن كون الكابتن تريفيليان كان معتاداً إرسال حلول للمسابقات باسم إيفانز؟ كان يعتقد أن منزل سيتافورد عنوان كبير للغاية. حسناً... هذا ما فعله في مسابقة كرة القدم تلك التي سلمت الميجور برنابي خمسة آلاف جنيه كجائزة عليها. لقد كان الكابتن تريفيليان هو

صاحب الحل في الحقيقة، وأرسله باسم الميجور برنابي؛ فقد رأى أن منزل رقم 1 في قرية سيتافورد يبدو عنواناً أفضل بكثير. حسناً، هل فهمتم ما حدث؟ في صباح يوم الجمعة، تلقى الميجور برنابي خطاباً يفيد بأنه فاز بخمسة آلاف جنيه (وبالمناسبة، كان من شأن هذا أن يثير شكوكنا؛ فقد أخبرك بأنه لم يتلقّ ذلك الخطاب... وأنه لم تأتِ أية خطابات في يوم الجمعة بسبب الطقس. كانت تلك كذبة؛ فآخر وقت وصلت فيه خطابات هو صباح يوم الجمعة). أين توقفت؟ أوه!... عند تلقي الميجور برنابي للخطاب. وقد أراد تلك الخمسة آلاف جنيه لنفسه... أرادها بشدة؛ فقد كان يستثمر أمواله في بعض الأسهم الخاسرة وخسر قدراً هائلاً من الأموال.

ومن المؤكد أن الفكرة خطرت بعقله فجأة بحسب اعتقادي. وربما خطرت بباله عندما أدرك أن الثلج سيتساقط في ذلك المساء. وإذا مات تريفيليان... فسيكون بوسعه الاحتفاظ بذلك المال، ولن يعرف أحد بالأمر".

قال السيد ريكروفت: "هذا مذهل... مذهل تماماً. ولم أحلم بحدوثه... ولكن يا عزيزتي الشابة، كيف عرفت كل هذا؟ ما الذي وضعك على المسار الصحيح؟".

وللإجابة عن هذين السؤالين، بينت إيميلي خطاب السيدة بيلينج، وأخبرتهم كيف اكتشفت الحذاءين في المدخنة.

وقالت: "كان نظري إلى الحذاءين هو ما غرس الفكرة في عقلي. لقد كانا حذاءي تزلج، وهذا ما جعلني أفكر في ألواح التزلج. وفجأة، تساءلت عما يحتمله الأمر... فاندفعت إلى الأسفل نحو الخزانة، فوجدت فيها بالفعل زوجين من ألواح التزلج، وكان أحدهما أطول من الآخر. وكان الحذاءان يناسبان الزوج الطويل... ولا يناسبان الزوج الآخر. وكانت أدوات تثبيت القدمين باللوحين الآخرين مضبوطة لتناسب زوجاً أصغر من الأحذية، أي أن لوحي التزلج القصيرين ينتميان لشخص آخر".

قال السيد ريكروفت بانتقاد فني: "كان يتعين عليه إخفاء لوحي التزلج في مكان آخر".

قالت إيميلي: "كلا... كلا. أين يمكنه أن يخفيهما في غير هذا المكان؟ ذلك مكان جيد للغاية حقاً؛ ففي غضون يوم أو يومين سوف تخزن المجموعة كلها، وفي تلك الأثناء ليس من المحتمل أن يزعج رجال الشرطة أنفسهم بتحري إذا ما كان لدى الكابتن تريفيليان زوج واحد أو زوجان من ألواح التزلج".

"ولكن لماذا خبأ زوج الأحذية؟".

قالت إيميلي: "أحسبه كان يخشى أن يفعل رجال الشرطة ما فعلته أنا بالضبط... فرؤية حذاءي التزلج قد توحي لهم بفكرة ألواح التزلج. ولهذا أخفاهما في المدخنة. وهذا بالطبع هو الخطأ الذي ارتكبه؛ لأن إيفانز لاحظ غيابهما، ومن ثم عرفت أنا بالأمر".

وسألها برايان بيرسون بغضب: "وهل تعمد إلصاق التهمة بـجيمس؟".

"أوه! كلا. ذلك من سوء حظ جيمس المعتاد. وقد كان أحمق، ذلك الساذج المسكين".

قال تشارلز: "إنه بخير الآن، ولا حاجة إلى أن تقلقي عليه. هل أخبرتنا بكل شيء يا إيميلي؟ لأنني أريد أن أسرع إلى مكتب التلغراف. وأرجو أن تعذروني جميعاً".

وخرج مندفعاً من الحجرة.

قالت إيميلي: "إنه شعلة نشاط".

قال السيد دوك بصوته الرخيم:

"لقد كنت أنت نفسك شعلة نشاط يا آنسة تريفوسيس".

قال روني بإعجاب: "لقد كنت كذلك بالفعل".

قالت إيميلي فجأة: "أوه! يا إلهي!"، وارتمت على نحو منهك على أحد الكراسي.

قال روني: "أنت بحاجة إلى مشروب منعش. ما رأيك في خليط من العصائر؟".

قال السيد ريكروفت: "بل فنجان صغير من القهوة".

قالت فيوليت: "بل كوب من الشاي".

قالت إيميلي بتلهف: "بل أريد مسحة من مساحيق التجميل؛ فقد نسيت علبة مساحيق التجميل الخاصة بي في السيارة، وأعلم أن وجهي يشع بالإثارة".

صحبتها فيوليت إلى الأعلى بحثاً عن هذا العقار المهدئ للأعصاب.

قالت إيميلي وهي تربت أنفها بقدر من مسحوق التجميل: "هذا أفضل. يا له من نوع حسن! أشعر بأنني أفضل حالاً الآن. هل لديك أحمر شفاه؟ الآن أشعر بأنني أكثر آدمية".

قالت فيوليت: "لقد كنت رائعة، وشجاعة للغاية".

قالت إيميلي: "ليس إلى هذا الحد؛ فخلف هذا المظهر الزائف كنت أرتعش كالهلام، وكنت أشعر بغثيان في معدتي".

قالت فيوليت: "أعلم، فقد راودتني المشاعر ذاتها. لقد كنت غاية في الرعب في الأيام القليلة الماضية... بشأن برايان. وإذا ما كانوا سيشنقونه بتهمة قتل الكابتن تريفيليان بالطبع، ولكنه لو أخبرهم مرة واحدة بالموضع الذي كان فيه خلال تلك الفترة، لاكتشفوا سريعاً أنه هو الذي خطط لهروب والدي".

قالت إيميلي وقد توقفت عن إصلاح وجهها بالزينة: "ماذا تقولين؟".

"والدي هو ذلك السجين الذي هرب. ولهذا السبب أتينا إلى هنا، أنا ووالدتي. يا لوالدي المسكين! لطالما كان كذلك... وكان يصبح غريب الأطوار أحيانًا، ثم يرتكب تلك الأفعال الشنيعة. وقد التقينا ببرايان في أثناء قدومنا من أستراليا، وكان من شأننا أنا وهو أن... أن...".

قالت إيميلي وهي تساعدها: "فهمت. لا بأس في ذلك بالطبع".

"وأخبرته بكل شيء، وتعاونا جميعًا على وضع خطة. وكان برايان رائعًا. ومن حسن الحظ أنه كان لدينا الكثير من المال، وقد وضع برايان جميع الخطط. وكان الهروب من سجن برينستاون أمرًا صعبًا للغاية كما تعلمين، ولكن برايان دبر لذلك. وقد كان الأمر أشبه بمعجزة حقًا. وكانت الترتيبات تقتضي أنه بعد هروب والدي عليه أن يعبر الريف مباشرة إلى هنا ويختبئ في كهف بيكسي، ثم يأتي هو وبرايان للعيش معنا كخادمين. وقد تخيلنا أن قدومنا إلى هنا قبل الأمر بفترة طويلة من شأنه أن يبعد عنا الشبهات تمامًا. وبرايان هو من أخبرنا بهذا المكان، واقترح علينا أن نعرض مبلغًا كبيرًا للكابتن تريفيليان نظير استئجار المنزل".

قالت إيميلي: "أنا آسفة للغاية... أعني لسير الأمور على نحو خطأ".

قالت فيوليت: "لقد حطم هذا الأمر أعصاب والدتي تمامًا. وأعتقد أن برايان شاب رائع؛ فليس كل شخص يرغب في الزواج من ابنة سجين. ولكنني لا أعتقد أن ذلك خطأ والدي في الحقيقة؛ فقد تعرض لرفسة أليمة على رأسه من حصان منذ خمسة عشر عامًا، ومنذ ذلك الحين أصبح غريبًا بعض الشيء. وقال برايان إنه لو حصل على استشارة قانونية جيدة، لنجا من العقوبة. دعينا لا نتحدث عن أموري أكثر من هذا".

قالت إيميلي: "ألا يمكن فعل أي شيء من أجله؟".

فهزت فيوليت رأسها نفيًا وقالت:

"إنه مريض جدًا... من جراء تعرضه للظروف الجوية كما تعلمين... ذلك البرد القارس. وقد أصيب بالتهاب رئوي. ولا أملك سوى الشعور بأنه إذا مات... فقد يكون ذلك أفضل له حقًا. ومن المروع أن أقول هذا، ولكن أنت تعلمين ما أعني".

قالت إيميلي: "يا لفيوليت المسكينة! إنه لموقف صعب للغاية".

هزت الفتاة رأسها، وقالت:

"أنا لديّ برايان، وأنت لديك...".

وتوقفت بحرج، فقالت إيميلي بتأمل:

"نعم، هذا صحيح".

الفصل 31

الرجل المحظوظ

بعد مرور عشر دقائق، كانت إيميلي تهرول على الطريق. وكان الكابتن وايت يطل من بوابته، فحاول إيقافها قائلًا:

"مرحبًا يا آنسة تريفوسيس. ما كل هذا الذي سمعته؟".

قال إيميلي وهي تسرع في مشيها: "هذا كله صحيح".

قال الكابتن: "نعم، ولكن اسمعي. تفضلي بالدخول... وتناولي كوبًا من الشاي وبعض الكعك. لا يزال لديك متسع من الوقت، ولا حاجة إلى الاستعجال. هذا أسوأ ما فيكم أيها المتمدنون".

قالت إيميلي: "أعلم، نحن فظيعون". ثم أسرعت الخطى.

وانطلقت نحو الآنسة بيرسهاوس بقوة صاروخ، وقالت لها:

"لقد جئت لأخبرك بكل شيء".

وعلى الفور، روت لها القصة كاملة، وتخللت روايتها العديد من التعبيرات التعجبية من قبل الآنسة بيرسهاوس مثل "فليرحمنا الله!"... "أيعقل هذا؟!"... "حسنًا، لقد قلت بذلك!".

وعندما انتهت إيميلي من روايتها، رفعت الآنسة بيرسهاوس جسدها مستندة إلى مرفقها ولوحت بأصبعها قائلة:

"ألم أقل لك؟ لقد أخبرتك بأن برنابي رجل حسود. ويا لهما من صديقين حقًا! لما يزيد على عشرين عامًا، ظل تريفيليان يؤدي الأمور على نحو أفضل بعض الشيء من برنابي، كان يتزلج، ويتسلق الجبال، ويصوب بالبنادق، ويحل أحاجي الكلمات المتقاطعة على نحو أفضل. ولم يكن برنابي جيدًا بما يكفي ليكون ندًا له. وكان تريفيليان ثريًا، أما هو ففقير.

وقد دامت هذه الحال لفترة طويلة. وبوسعي القول إن من الصعب على المرء الاستمرار في محبة شخص باستطاعته فعل كل شيء على نحو أفضل منه. وكان

برنابي رجلًا ضيق الأفق قليل الحلم. وقد سمح لهذا الأمر بإثارة غضبه".

قالت إيميلي: "أراك محقة. حسنًا، لقد تعين عليّ أن آتي لأخبرك؛ فليس من الإنصاف ألا تكوني على علم بكل شيء. وبالمناسبة، هل تعلمين أن ابن أختك يعرف الخالة جينيفر؟ وقد كانا يتناولان الشاي معًا في مقهى ديلر في يوم الأربعاء الماضي".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "إنها الأم الروحية له. إذن هذا هو "الصديق" الذي أراد رؤيته في إكسيتر. لقد كان يقترض منها بعض المال، إذا صح علمي بـ روني. سوف أتحدث معه".

قالت إيميلي: "إنني أمنعك أن توبخي أي أحد في يوم بهيج كهذا. إلى اللقاء! يجب أن أنصرف على الفور؛ فلديّ الكثير من الأعمال".

"ماذا تبقى لديك من أعمال أيتها الشابة؟ يمكنني القول إنك أديت كل ما عليك".

"ليس تمامًا. يجب أن أذهب إلى لندن وألتقي بموظفي شركة التأمين التي يعمل فيها جيمس وأقنعهم بألا يقاضوه على تلك المسألة البسيطة المتعلقة باقتراضه المال".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "همم".

قالت إيميلي: "لا بأس. سوف يمضي جيمس بقية حياته في استقامة؛ فقد لُقِّن درسًا مهمًا".

"ربما. وهل تعتقدين أنك ستكونين قادرة على إقناعهم؟".

قالت إيميلي بحزم: "نعم".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "حسنًا، ربما تتمكنين من ذلك. وماذا بعد؟".

قالت إيميلي: "بعد ذلك سأكون قد انتهيت، سأكون قد بذلت كل ما بوسعي من أجل جيمس".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "إذن. افترضي أننا قلنا... ما الخطوة التالية؟".

"ماذا تقصدين؟".

"ما الخطوة التالية؟ أو إذا أردت توضيح السؤال: فأيهما ستختارين؟".

قالت إيميلي: "أوه!".

قالت الآنسة بيرسهاوس: "بالضبط، هذا ما أريد معرفته. من منهما سيكون سيئ الحظ؟".

ضحكت إيميلي، وانحنت على العجوز لتقبلها وقالت:

"أنت تعرفين تمامًا أيهما سأختار".

ضحكت الآنسة بيرسهاوس.

وخرجت إيميلي من منزلها مسرعة بخفة، وما إن بلغت البوابة حتى جاء تشارلز مسرعاً إليها.

وأمسك بكلتا يديها وقال:

"إيميلي يا عزيزتي!".

قالت: "تشارلز! ألم يسر كل شيء على نحو رائع؟".

قال السيد أنديربي: "أود أن أقبل يديك". وقد فعل.

ثم قال: "أنا رجل ناجح يا إيميلي. والآن، اسمعيني يا عزيزتي، ما رأيك؟".

"ما رأيي في ماذا؟".

"حسنًا... أعني... بالطبع لم يكن الأمر مناسبًا وبيرسون المسكين ملقى في السجن وما إلى ذلك. ولكن لقد حصل على براءته الآن و... حسنًا، عليه أن يتقبل الأمر كالجميع".

قالت إيميلي: "ما الذي تتحدث عنه؟".

"أنت تعلمين تمام العلم أني هائم بحبك، وأنت تحبينني. وكان بيرسون مجرد خطأ. ما أعنيه هو... أنا وأنت، لقد خلق كل منا من أجل الآخر. وطوال الوقت كنا نعلم هذا - كلانا كان يعلم به - أليس كذلك؟ فأين تريدين أن نعقد قراننا؟".

قالت إيميلي: "إذا كنت تتحدث عن الزواج، فلن يحدث شيء من هذا".

"ماذا؟... ولكن...".

قالت إيميلي: "كلا".

"ولكن... يا إيميلي...".

قالت إيميلي: "إذا كنت مصراً على معرفة الحقيقة فسأخبرك بها. أنا أحب جيمس بشدة!".

حملق إليها تشارلز في ذهول تام، ثم قال:

"لا يمكنك ذلك!".

"بل يمكنني! أنا أحبه بالفعل! ولطالما أحببته! ولطالما سأحبه!".

"لقد... جعلتني أظن...".

قالت إيميلي باحتشام: "لقد قلت إن من الرائع للغاية أن يكون لدى المرء شخص

يمكنه الاعتماد عليه".

"نعم، ولكنني ظننت...".

"لا شأن لي بما ظننته".

"أنت شريرة منعدمة الأخلاق يا إيميلي".

"أعلم يا عزيزي تشارلز، أعلم. أنا كل ما تود أن تقوله عني، ولكن لا عليك. فكر كم ستصبح عظيماً؛ فقد حصلت على سبقك الصحفي! على أخبار حصرية خاصة بصحيفة دايلي واير. أنت رجل ناجح، فما قيمة المرأة بالنسبة لك على أية حال؟ ليست أقيم من التراب. وما من رجل قوي حقًا يحتاج إلى امرأة. إنها تعوقه وحسب مثل نبات اللبلاب. وكل رجل عظيم مستقل عن المرأة. الوظيفة... فلا شيء أفضل أو أكثر إرضاءً من وظيفة عظيمة. وأنت رجل قوي يا تشارلز، رجل يمكنه الاعتماد على نفسه...".

"هلا توقفت عن الكلام يا إيميلي؟ إنه أشبه بالحديث إلى الشباب عبر الراديو! لقد حطمت قلبي. ألا تعرفين كم بدوت جميلة عندما دخلت الحجرة مع ناراكوت. كنت كبطل منتصر نال ثأره".

سمع وقع خطوات على الطريق، وظهر أمامهما السيد دوك.

قالت إيميلي: "أوه! ها هو السيد دوك. يا تشارلز، أريد أن أخبرك بأمر. هذا هو السيد دوك، رئيس المفتشين السابق في شرطة سكوتلاند يارد".

صاح تشارلز وقد تعرف على الاسم الشهير: "ماذا؟! المفتش دوك؟!".

"نعم، عندما تقاعد عن العمل، جاء للعيش هنا، وللطفه وتواضعه لم يرغب في أن تلاحقه شهرته إلى هنا. وعرفت الآن لماذا لمعت عينا المفتش ناراكوت عندما أردت منه أن يخبرني بنوع الجرائم التي ارتكبها السيد دوك".

وضحك السيد دوك.

وارتعش تشارلز؛ فقد دار بداخله صراع قصير بين المحب والصحفي، لكن الصحفي فاز.

وقال: "لقد سررت بلقائك أيها المفتش. والآن، أتساءل عما إذا كان باستطاعتي إقناعك بإعطائي مادة مقال صحفي موجز - لنقل من ثمانمائة كلمة- عن قضية تريفيليان".

مشت إيميلي مبتعدة سريعًا، وتوجهت إلى منزل السيدة كورتيس. وأسرعت إلى غرفتها وجذبت حقيبتها. وتبعتها السيدة كورتيس إلى أعلى، وقالت:

"هل سترحلين الآن يا آنسة؟".

قالت إيميلي: "نعم، سأرحل؛ فلديّ الكثير من الأعمال... سأذهب إلى لندن وإلى خطيبي".

اقتربت منها السيدة كورتيس وقالت:

"أخبريني يا آنسة، بأي منهما ستتزوجين؟".

كانت إيميلي تلقي بالملابس في حقيبتها على نحو عشوائي فقالت:

"بالذي في السجن بالطبع. لم يكن هناك أي أحد غيره".

"آها! ولكن ألا تعتقدين يا آنسة بأنك ربما ارتكبت خطأً؟ هل أنت واثقة بأن الشاب الآخر يساوي هذا الشاب في القيمة؟".

قالت إيميلي: "أوه! كلا. لا يساويه. وهذا الشاب سوف ينجح".

ونظرت من النافذة إلى حيث كان تشارلز لا يزال ممسكًا برئيس المفتشين السابق دوك في حوار جاد، وقالت: "إنه ببساطة من النوع الذي وُلد ليكون ناجحًا... ولكن لا أدري ماذا سيحدث للآخر إذا لم أكن بجانبه لأعتني به. انظري ماذا كان سيحدث له لولاي!".

قالت السيدة كورتيس: "لا يوجد أبلغ من هذا يا آنسة".

وعادت إلى زوجها الذي كان جالسًا يحملق إلى الفراغ، وقالت له:

"إنها صورة حية لـ بليندا ابنة خالتي سارة، فقد ألقت بنفسها وتزوجت ذلك البائس المدعو جورج بلنكيت صاحب فندق ثري كاوز. وكان الفندق مرهونًا. وفي غضون عامين، تمكنت من فك الرهن وأصبح الفندق مشروعًا ناجحًا".

قال السيد كورتيس: "آها!". وحرك غليونه برفق.

وقالت السيدة كورتيس وهي تتذكر: "لقد كان جورج بلنكيت وسيمًا".

قال السيد كورتيس: "آها!".

"ولكنه بعد أن تزوج بليندا لم ينظر إلى امرأة أخرى".

قال السيد كورتيس: "آها!".

قالت السيدة كورتيس: "وهي لم تعطه أية فرصة لذلك".

قال السيد كورتيس: "آها!".

أجاثا كريستي

تُعد أجاثا كريستي أكثر الروائيات انتشاراً، حيث نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير؛ فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابيْ سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبتها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى القضية الغامضة في مدينة ستايلز. وفي رواية جريمة قتل في المعبد التي تم نشرها في عام 1930، قدمت محققة محبوبة هي الآنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيوبنس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي إسكوتلانديارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية The Mous التي كانت بداية عرضها في عام 1952، وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة في قطار الشرق السريع (1974) وجريمة قتل على ضفاف النيل (1978)؛ حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان "ألبرت فيني" و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن نسيانه أبداً، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الآنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكإيوان" و"جوليا ماكنزي".

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام 1971، تسلمت كريستي واحداً من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام 1976 عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها

المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام 2010.

جدول المحتويات

إهداء
الفصل 1
الفصل 2
الفصل 3
الفصل 4
الفصل 5
الفصل 6
الفصل 7
الفصل 8
الفصل 9
الفصل 10
الفصل 11
الفصل 12
الفصل 13
الفصل 14
الفصل 15
الفصل 16
الفصل 17
الفصل 18
الفصل 19
الفصل 20
الفصل 21
الفصل 22
الفصل 23
الفصل 24
الفصل 25
الفصل 26

الفصل 27
الفصل 28
الفصل 29
الفصل 30
الفصل 31
أجاثا كريستي